رواية الخناس

الجزء الثاني من أولاد لوسيفر

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)

اسم الرواية: الخناس

الجزء الثاني من سلسلة أولاد لوسيفر

تأليف: رانيا رمضان

تدقيق واخراج فني وتصميم غلاف: بنت البروفيسور

رقم التوثيق: GGKEY:SWNX7W1KQY8

هذه الرواية عملٌ أدبي خيالي من نسج خيال المؤلفة

رانيا رمضان بنت البروفيسور بالكامل، ولا تمتّ إلى الواقع أو إلى أيّ أشخاص أو أحداث أو جهات حقيقية بصلةٍ.

وإنّ أي تشابه قد يُلاحظ بين شخصيات الرواية أو أحداثها وبين الواقع هو محض صدفة غير مقصودة.

تنبيه: هذه الرواية محمية بحقوق الملكية الفكرية الخاصة بالمؤلفة وورثتها، ويُمنع نسخها أو اقتباسها أو إعادة نشرها أو استخدامها بأي شكل سينمائي أو كتابي دون إذن مسبق، وأي مخالفة لذلك تُعرّض مرتكبها للمساءلة القانونية.

إهداء

إهداء إلى والدي البروفيسور رمضان عبد الله، أهدي إليك عملي التاسع وأنا أشعر بألم رهيب يجتاح صدري، لأن هذا هو عملي الأول بعد رحيلك.

بعد رحيلك، فقدت شغفي ولم أعد تلك الفتاة المفعمة بالطاقة، لا أدري لِمَ انطفئت شمعة شغفي برحيلك. . . !

بل الحقيقة، لم تنطفئ شمعتي فقط، بل أنا انكسرت كذلك.

هل تتوقع يا أبي أن رانيا تنكسر وتعترف بهذا الاعتراف على الملأ؟

أنت من علمتني القوة، وفي وجودك لم يكن يهمني فقدان أي شيء؛ لا فقد الأصدقاء أثر بي، ولا فقد الأحبة شق لي قلبي، ولا فقد المال شغل بالي.

كان بداخلي يقين بأن أي شيء أفقده بسهولة يمكن أن أُعوض بغيره.

ما أكثر الأصدقاء والأحبة ومصادر المال! إلا أنت لا يمكن أن تعوض، ولا يوجد لك بديل يا أبي.

كنت أظن أنني قوية إلى يوم فراقك؛ حينها ذقت معنى الألم ولم أعد قادرة على الوقوف، شعرت حينها أن كل معاني ومصادر القوة تخلت عني .

بعد رحيلك ومرور الشهور على موتك، بقيت أنا محلي سرًا لا أحرك ساكنًا ، واكتشفت أنك لست مصدر قوتي فقط، بل مصدر شغفي كذلك .

كنت أتحدى نفسي كي أقوم بإكمال عمل جديد قبل أن أقابلك، كي أهرع إليك عند لقائي بك وأقول لك كطفلة صغيرة أكملت للتو واجبها المدرسي وترغب في رؤية نظرة الفخر والتشجيع في عيني والدها .

برحيلك اكتشفت أنني لن أرى هذه النظرة مرة أخرى .

ولكن هذا كان حالي إلى أن قابلتك في المنام ومعك ذاك الكتاب؛ حينها شعرت بدفء رهيب من لقائك، ومن هذا الدفء ولدت شرارة كانت كفيلة بأن تشعل شمعة شغفي من جديد كي استمر فيما بدأته، وكي أكمل حلمي وأترك أثري في الحياة .

وأثري وأثرك واحد ، سوف أفعل كل ما بوسعي كي أجعل اسمك خالدًا في الحياة يا والدي .

أعمال بنت البروفيسور رمضان عبد الله سيكون لها صيت يا عزيزي، ولن أكِل أو أمِل إلى أن أخلد اسمك قبل اسمي .

ونظرة الفخر التي كنت أشعر بها دفينة في عينيك تجاهي سوف أراها في عين كل من حولي بعون المولى، إلى أن ألقاك على خير يا والدي العزيز .

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

دقيقة من وقتك عزيزي القارئ،

أعلم أني أثقلت عليك بهذا الإهداء الطويل الذي يحوي على قدر كبير من ثرثرة شخصية لا دخل لك بها ، ولكن أنا عشمي بك كبير أن تتحملني دقيقة أخرى وتقرأ الفاتحة لوالدي البروفيسور رمضان عبد الله، ولا تنسَ أن تجعل النية شاملة لكل أموات المسلمين والمؤمنين كي تُرسل كرحمة لهم تغمدهم إلى أن نلتقي بهم حين يشاء المولى، على أمل أن نلتقي بهم في جنات النعيم .

تكفي ثرثرة جانبية ولندخل في صلب الموضوع،

تنفس الصعداء عزيزي القارئ ولنبدأ مغامرتنا الجديدة .

"الخناس"

الجزء الثاني من (أولاد لوسيفر)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

المقدمة

هل يا ترى لو تركنا العقل والمنطق جانبًا ،

وتركنا القلب يمسك دفة القيادة ويكون له السيطرة التامة على جوارحنا . . .

إلى ماذا سوف يقودنا . . . ! ؟

جنةً في الدنيا . . . !

أم حافةً على جرف هارٍ سوف تؤدي في النهاية إلى عمق الجحيم . . . ؟

وما زال الصراع مستمرًا في هذا الجزء بين

بني آدم "الإنس" وبني لوسيفر "الجن" ،

فلمن سيحسم الصراع في هذه المرة . . . ؟ !

خليفة الله أم خليفة لوسيفر . . . !

الفصل الأول

الزفاف

-مدينة السادس من أكتوبر – مصر مارس عام 2047

سيارة نفاثة هوائية فضية اللون تحلق في الهواء، يظهر بداخلها شاب وسيم ذا عيون رمادية خضراء وملامح عربية جذابة، ينظر على المقعد الذي بجواره حيث تظهر فتاة سمراء اللون يظهر على ملامحها التعب والإرهاق الشديد، فيحاول أن يوقظها:

-فريدة حبيبتي، هيا استيقظي لقد أوشكنا على الوصول.

تتحرك في مقعدها وتدير وجهها تجاه النافذة وتتمتم بتعب:

-لا توقظني إلا عندما نصل، لم أنم جيدًا بالأمس يا أبسل.

ها هي السيارة تهبط من الجو وتطير على ارتفاع بسيط على طريق الأرض.

ها هو أبسل للمرة الثانية يترك مقود السيارة ويلتفت لجميلته فريدة، ويلمس وجهها برفق، وبسعادة ولهفة همس لها:

-حبيبتي ريدا، هيا لقد وصلنا المجمع الخاص بك و. . .

قاطعته فريدة وهي تلتفت له بهدوء ونظرت له نظرة ناعسة وهمست بصوت واهن:

-أشعر أن عقلي يؤلمني جدًا يا أبسل .

ألقى أبسل نظرة على الطريق ومن ثم التفت لفريدة من جديد ، وأمسك بيدها وقبلها وتمتم برفق:

-انسي التعب يا ريدا ، ها نحن على بُعد خطوات من تحقيق حلمنا وسنبدأ حياة كلها حب وراحة فقط ، ولكن عليكِ أن تلتزمي بوعدكِ لي . . . !

نظرت له فريدة بتردد وتنهدت .

وفي تلك اللحظة التفت أبسل بحزن للطريق ، ولكن في تلك اللحظة كان الوقت قد فات؛ لأن السيارة ارتطمت بأحد المارة ، ارتطامًا قويًا .

قويًا جدًا . . .

صرخت فريدة من هول الصدمة وظلت مكانها مذهولة ، ولكن أبسل هرع مسرعًا خارج السيارة .

ها هو يرى شابًا يحاول الوقوف مستندًا على السيارة بيد ، واليد الأخرى يضم كلبًا صغيرًا ذهبي اللون لا يتوقف عن النباح.

وها هو أبسل يمد له يده كي يساعده على النهوض ويتفحصه بنظره كي يطمئن عليه، وبلهجة متوترة:

-هل أنت بخير . . . ؟

في هذه اللحظة كانت فريدة تنظر للمشهد من داخل السيارة، فرأت أمامها شابًا غطى وجهه شعره الطويل، ومن ثم التفت الشاب وأعطاها ظهره وتمتم لأبسل:

-لا تقلق . . . أنا بخير، كل ما في الأمر أني كنت ألحق بكلبي و . . .

لم يكمل كلامه لأن أبسل قاطعه بأسى وهو يضع يده على كتفه:

-لا ! يجب أن تركب معنا حالًا كي يتم فحصك في المستشفى لكي أطمئن عليك، صدقني لم أرك بسبب ظلمة الليل و . . .

بابتسامة محببة للنفس، نظر الشاب لأبسل وهو يربت على رأس الكلب كي يهدأ من نباحه وصدمته:

-لا داعي صدقني، ها هي فيلتي سوف أرتاح قليلًا وكل شيء سيكون على ما يرام.

ابتسم له أبسل وصافحه وأردف:

-وهذه هي فيلتنا أيضًا موازية فيلتك، لذا تقبل صداقتي وأنا أرغب بزيارتك بعد بضع ساعات تكون ارتحت قليلًا؛ ستكون زيارة سريعة فقط لكي يطمئن قلبي، هل ستكون مستيقظًا . . . !

هَمَّ الشاب بضم كلبه وبدأ في المشي وكأن لم يصطدم بالسيارة قط، ومن ثم التفت لأبسل بضحكة بشوشة:

-من دون استئذان يا صديقي، تنورني وقتما تشاء وسأكون بانتظارك.

لوح له أبسل مودعًا إياه:

-إلى اللقاء يا . . . !

-خالد . . . أنا خالد يا . . . !

-أبسل، أخوك من فلسطين.

وقف خالد أمام باب فيلته ونظر بفرحة لأبسل:

-إذن أنا في انتظارك يا غالي، ويا مِن أغلى البلاد على قلبي .

ها هو أبسل يهم واقفًا أمام باب سيارته ويهم بفتحها :

-على الموعد يا جدع، كما تقولون يا من من بلد الرجال .

بدأ أبسل يقود سيارته، وفريدة تنظر له بقلق وسألته بحيرة:

-هل هو بخير . . . ؟ كيف . . . !

قطع أبسل كلامها وكأنه يعلم السؤال الذي تنوي أن تسأله إياه:

-لا أدري كيف خرج منها سليمًا يا فريدة . . . !

نظرت فريدة بقلق لأبسل:

-الحمد لله، ولكن يجب عليك أن تنتبه للطريق أو تفعيل خاصية الأمان والقيادة الذاتية يا أبسل، أرجوك أنا . . .

أوقف أبسل السيارة أمام الفيلا، ومن ثم التفت لفريدة وأمسك بيدها ونظر لها برومانسية بعينيه الرمادية اللتين اختلطتا بالأخضر الساحرتين، وهمس لها :

-هل تخافين عليّ يا ريدا . . . ؟ !

ابتسمت له فريدة بخجل:

-ليس لي سواك يا أبسل، ولا أريد سواك .

أمسك أبسل بيدها وتمتم لها وهو مقترب منها :

-أتحبينني يا ريدا . . . ؟

-إن لم أكن أحبك لما كنا هنا الآن .

-حسنًا ، ولكن عليكِ أن تعطيني جهاز السفر عبر الزمن، لا أريدك أن تستمري باستخدام هذا الجهاز و . . .

قاطعته فريدة بحزن:

-ولكن يا أبسل، أنت تعرف إن هذا الجهاز مهم لي لأني من خلاله أُقابل أبي و . . .

سحبها أبسل في حضنه ومسح على شعرها الأسود الحريري:

-لا تحزني يا حبيبتي، أنا أعلم إن هذا الجهاز مهم بالنسبة لكِ لأنك تقابلين والدك، ولكن لا تنكري أن هناك مغامرات أخرى يسحبك فضولك إليها ، وعقلك تشتت كثيرًا هذه الفترة، لذا أرجوكِ دعي الماضي وراء ظهرك وعيشي الحاضر معي، وهيا نخطط للمستقبل وكفى .

خرجت فريدة من حضنه وعينيها تترقرق بالدمع:

-ولكن يا أبسل . . .

قاطعها أبسل بحزم ولكن عينيه بهما حنو الدنيا :

- من دون لكن يا ريدا ، دعينا نعيش الواقع وكفى ، لا داعي للرجوع للماضي ولا حتى تذكره أو الندم عليه ، تحرري من سجن الماضي .

-حسنًا يا أبسل ، أعدك لن أستخدمه أبدًا .

مد لها أبسل يده تجاه حقيبتها ، فنظرت له فريدة بتردد وتمتمت:

-قلت لك يا أبسل أعدك ألا أستخدامه ، هل وعدي لا يكفيك ؟

*لمعرفة المزيد عن مغامرات فريدة وحكاية جهاز السفر عبر الزمن ، عليكم بقراءة الجزء الأول من رواية أولاد لوسيفر بعنوان (الخطيئة) .

أبسل قال لها بنبرة صوت بها حزم ولكن أسلوبه أسلوب توسل:

-أرجوكِ يا ريدا ، دعيني أبدأ حياتي معكِ وأنا غير قلق عليكِ . . . أرجوكِ . . . !

أومأت ريدا برأسها بأسى ، وقامت بإخراج الجهاز من حقيبتها ، فهَمَّ أبسل بأخذه ، ومن ثم خرج من السيارة وهمَّ تجاه باب فريدة وفتحه لها ونظر لها برومانسية .

وبمجرد أن نزلت ريدا ابتسمت له ، فهمَّ معانقًا إياها .

ومن ثم بمجرد أن خرجت فريدة من حضنه، قام بتحطيم الجهاز ! حينها شعرت فريدة أن قلبها هو الذي تحطم، ومن ثم سحب فريدة وهَمّا بدخول الفيلا .

فُتحت بوابة الفيلا بمجرد تعرفها على وجه فريدة، ومن ثم بمجرد أن دخلا بهو الفيلا كانت وتين تجلس تقرأ كتابًا وتحتسي قهوتها كالعادة .

بمجرد أن سمعت الباب يفتح، همّت بترك الكتاب وقامت بلهفة فهرعت إليها فريدة وعانقتها بشدة، وها هو أبسل يقف متأثرًا .

وبمجرد أن خرجت فريدة من حضن أمها بعد الكثير من القبل ونحيب النساء المعهود المرتبط بالسعادة والحزن، نظرت وتين بتعجب لأبسل ومن ثم سألت فريدة بابتسامة وهي تكزها في ذراعها :

-من هذا الوسيم . . . ؟ لم تخبريني عنه شيئًا .

هنا نظرت لها فريدة ضاحكة، ومن ثم همّت تجاه أبسل وسحبته تجاه أمها :

-ومنذ متى وأنا أخبرك بشيء يا وتين . . .

هنا قاطعها أبسل ضاحكًا خجلًا :

-توقفي يا فريدة عن مزحك ذاك، أنا أبسل واسمحي لي أن أقول لكِ يا أمي .

عانقته وتين وهي تمسح على شعره وابتسمت وعينيها تترقرق بالدمع بمجرد سماعها كلمة "أمي" منه، فهمست له بمجرد أن أخرجته من حضنها وهي تلمس وجهه بيدها:

-قل ما تشاء يا بني، فكم كنت أتمنى أن أنجب ولدًا، ولكن فريدة بطبعها الذكوري جعلتني أشعر أن الله لم يحرمني قط.

من ثم ضحكت وهي تنظر لفريدة، ولكن فريدة وكزتها غاضبة ضاحكةً:

-أخ منك يا وتين، لم أكمل خمس دقائق وها أنتِ بدأتِ الحرب، لذا تحملي...

***

بعد مرور بضع ساعات، ها هو أبسل ينقر على جهاز الإنذار كي ينتبه من بالداخل أنه بالخارج، ها هي الشاشة الملحقة بالجهاز تظهر مقسومة نصفين، نصف به أبسل ونصف به خالد، هَمّ خالد مرحبًا بأبسل:

-أهلًا أبسل، تفضل يا رجل سيصاحبك الروبوت للأعلى.

ها هو أبسل بمجرد أن دخل حديقة الفيلا رأى الكلب مربوطًا وينبح بشدة، ولكن أبسل لم يكترث له وأقدم على دخول باب الفيلا الداخلي، وها هو رأى بهو الفيلا

المظلم الضخم ذا الأثاث الغريب الكئيب، يصعد الدرج وهو ينظر لكل شيء بتعجب بسبب الديكور الغريب الخاص بالفيلا، فيلا لا يوجد بها ألوان سوى الأسود الذي سيطر على أغلب الفيلا والقليل من الأحمر القاتم.

ولا يوجد أي مصباح مشتعل في الفيلا، بل إنه اكتفى فقط بإضاءة الشموع الهادئة.

ها هو الروبوت يفتح لأبسل باب غرفة خالد . . .

دلف أبسل بداخل الغرفة بخطوات بطيئة مترددة بسبب أنه متعجب من هذا الجو المغلق المكتوم في غرفته، حيث لا نافذة ولا شرفة حتى مفتوحة، ولكن سرعان ما قطع شروده صوت خالد مهللاً له بقدومه بصوت تخلله الوهن:

-أهلًا يا أبسل . . . أعذرني يا صديقي، لم أستقبلك بالأسفل لأني أُشعر . . . لأني أشعر بإعياء، سامحني.

من ثم أمسك رأسه وظهرت على ملامحه علامات الوهن، فنظر له أبسل بقلق وهمَّ بالجلوس بجواره:

-ماذا بك يا خالد . . . ؟ لقد كنت بخير منذ بضع ساعات . . . !

أخذ خالد مساكة شعره وقام برفع شعره الطويل، فظهرت ملامحه الباهتة الشاحبة التي لم يلاحظها أبسل أثناء الحادث لأن الكمامة والشعر كانا يغطيان أغلب وجهه، ومن هول الصدمة لم يركز به قط .

تمتم أبسل بقلق وتوتر:

–خالد ، أنت شاحب جدًّا ، يجب أن تأتي معي حالًا للمستشفى، لا يمكن أن أتركك هكذا و . . .

قاطعه خالد مبتسمًا بوهن:

–لا تقلق، في الغد سأكون بخير .

–ولكن إن لم تكن بخير في الغد ، ماذا أفعل حينها . . . ؟

–حينها سأذهب معك للمشفى، لا تقلق يا أبسل .

هَمَّ أبسل بالوقوف وهو قلق وأردف:

–حسنًا ، سوف أتركك ترتاح قليلًا ، وفي الصباح سوف أطمئن عليك . . .

اتفقنا . . . !

–اتفقنا يا صديق . . .

ها هو أبسل ينزل الدرج وشعلات الشمع تتحرك وكأن هناك حركة هواء كثيرة داخل البيت بالرغم من أن الجو لا يسمح بذلك قط، استحالة في مصر في مارس أن تكون هناك رياح قوية في ذلك الوقت . . . تعجب أبسل ولكن لم يركز لتساؤلاته وقرر أن يخرج مسرعًا من هذا البيت .

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا، ها هو يرى الباب يتحرك برفق وكأن للرياح يدًا في ذلك، ولكن لا توجد رياح! ولكن بمجرد ما كان أبسل يهم بالمرور من الباب، أُغلق في وجهه، ومن قوة ارتطام الباب انطفأت كل الشموع المشتعلة، وحل صمت رهيب قطع هذا الصمت نباح الكلب كأنه يواجه خطرًا ما، ولكن سرعان ما تحول نباحه إلى نواح واهن إلى أن تلاشى . . . تلاشى تدريجيًا . . . تلاشى تمامًا .

هنا قرر أبسل أن ينادي على خالد بصوت عالٍ جدًّا تخلله الخوف:

-خالد . . . خالد، هل يمكن أن تفتح لي باب الفيلا إذا سمحت .

لم يسمع أي رد . . . لم يسمع إلا صوت الصمت وكفى . . .

كرر ندائه بقلق وهو يهم بلمس حجر خاتمه، فانبعثت منه شاشة منبثقة تظهر محتواها من الأمام ومن الخلف مبهمة، فاختار منها شعاعًا مضيئًا، ومن ثم هَمَّ

صاعدًا تجاه الدرج من جديد ، هنا زادت الرهبة بداخله أكثر من الفيلا وديكورها المقيت بمجرد سقوط الضوء المنبعث من حجر أبسل؛ لأن حجر خاتمه هو الحجر الروبي أي الأحمر القاتم .

ولكن الذي جعل قلبه يسقط في رجليه بمجرد ما سقط الضوء على لوحة امرأة في الخمسين من عمرها باكيةً، تحركت له رأسها أي: لا . . . !

هنا انتفض جسده للخلف ردة فعل لذعره مما رآه، ولكن بمجرد أن مسح عينه لم يرَ سوى صورة المرأة مبتسمة وبجوارها خالد واقفًا مبتسمًا كذلك .

التقط أنفاسه بعد ما أثلج الدم في عروقه من هول الموقف، وأكمل صعوده وهو يحاول أن يتمتم بصوت خافت:

-إنه إرهاق السفر يا أبسل، كل ما أحتاج إليه هو النوم وكفى .

هنا طرق الباب على خالد ولكن لم يصله أي رد ، فبدأ ينادي عليه بقلق:

-خالد . . . هل أنت بخير يا خالد . . . ؟ خالد . . . !

هنا قرر أن يفتح الباب عليه ودخل الغرفة المظلمة، وبمجرد ما سقط ضوء مصباحه على سرير خالد وجده فارغًا .

ومن ثم نظر للغرفة فوجد أن شرفة غرفته صارت مفتوحة على عكس عندما دخل أول مرة.

ها هو أبسل يتقدم تجاه الشرفة وهو ينادي بصوت متردد:

-خالد . . . ! هل أنت . . .

لم يكمل ندائه إلا وشعر بيد باردة توضع على كتفه! هنا قفز مذعورًا صارخًا والتفت مسرعًا، وبمجرد أن سقط ضوء مصباحه ورأى من أمامه وسمع الصوت، هدأ قليلًا:

-ماذا بك يا أبسل . . . ؟ ولماذا أنت هنا . . . ! كنت أظن أنك رحلت عندما سمعت صوت الباب قد أُغلق.

ازدرد أبسل لعابه وتنفس الصعداء وحاول أن يتمالك أعصابه:

-لا يا خالد، بل الباب أُغلق قبل أن أخرج مباشرةً، لذا ناديت عليك ولكنك لم تسمعني . . .

ها هو خالد يبتسم وهو يعبث بساعته فانبثقت منها شاشة، فقام بتفعيل إضاءة الشموع الإلكترونية وتمتم ضاحكًا:

-سامحني يا صديقي، كنت أقضي حاجتي فلم أسمعك .

ظل أبسل ينظر له بقلق، ولكن خالد أكمل كلامه:

-لا تؤاخذني، ولكن توجد مشكلة في إعدادات الكهرباء في البيت، يجب من حين لآخر أن أقوم بضبطها .

هنا يحاول أبسل أن يفيق من شروده وتساؤلاته، ويقرر أن يهم خارج الغرفة متمتمًا :

-ولا يهمك يا صديق، يكفي أنك بخير .

هنا قال له خالد بصوت عالٍ كي يوقف أبسل وهو عند باب الغرفة:

-هل ترغب في أن أوصلك للخارج . . . ؟

التفت له أبسل مترددًا وأردف:

-لا يوجد داعٍ، أعرف الطريق جيدًا . . . ارتح أنت الآن .

ابتسم له خالد ، فابتسم له أبسل بابتسامة تخللها القلق وهَمَّ بالنزول .

وبمجرد وصوله بهو الفيلا، وجد أمام الباب المفتوح يقف الروبوت الذي عاد للعمل من جديد بعدما تعطل مع باقي أجهزة البيت منذ قليل .

خرج أبسل من الفيلا، وها هو يلتفت للفيلا التي تعجب من بساطة مظهرها الخارجي وغرابة ما بداخلها .

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا، التفت حوله متذكرًا صوت الكلب ولكنه لم يجده في أي جزء من أرجاء الحديقة، ولكنه قرر ألا يكترث وهمَّ عائداً لفيلا فريدة .

***

ها هو أبسل يرمي جسده على كرسي في الصالون ويغمض عينيه، من ثم شعر بيد تلمس يده ففتح عينيه فزعًا ، ولكن قطع فزعه صوت فريدة المطمئن إياه:

-ماذا بك يا أبسل . . . ؟

عدل أبسل من جلسته وتنفس الصعداء ونظر لفريدة بتعب، ولكن سرعان ما رسم ابتسامة والتمعت عينيه بالحب بمجرد شعوره بالأمان برؤيتها ، ومن ثم همس لها :

-أنا على ما يرام طالما أنت معي يا فريدتي .

ابتسمت له فريدة بلين ومن ثم همت واقفةً وقامت بسحبه تجاهها كي يقف، وهمست له:

-عليك أن تصعد وتنام في غرفتك، لقد جهزتها من أجلك .

ها هما يصعدان الدرج، ومن ثم التفتت له فريدة بلهفة وقالت:

-نام وارتاح يا حبيبي، غدًا وراءنا الكثير من المهام علينا أن ننجزها .

-أهلي سوف يصلون من فلسطين ولندن خلال هذا الأسبوع، سيكون أسبوعًا مرهقًا ولكن علينا أن ننجز كي يأتي اليوم الذي نتمناه .

تنظر له فريدة بخجل وهما يقفان أمام باب غرفته، وتهمس له بحياء :

-توقف عن نظرتك تلك يا أبسل .

-لي الحق أن أفعل ما أشاء، ستكونين زوجتي بعد بضعة أيام .

ومن ثم سحبها لحضنه، ولكنها أبعدت نفسها عنه بتمنع ودلال وابتسمت:

-ها أنت قلت بعد بضعة أيام . . .

ومن ثم هرعت تجاه باب غرفتها ونظرت له مبتسمةً بدلال، ولكنه تبعها لباب غرفتها ، ولكنها منعته بيدها ضاحكةً:

-تصبح على خير يا من ستكون زوجي بعد أسبوع .

وأرسلت له قبلة في الهواء ومن ثم أغلقت الباب .

وها هو أبسل ما زال واقفًا شاردًا في جمالها بعدما التقط قبلتها من الهواء .

من ثم سمعت فريدة همس (أحبك يا عجيبتي) .

من ثم مشى متبخترًا تجاه غرفته والسعادة تغمره، ونسى ما مر به في بيت خالد .

وبمجرد ما ألقى جسده على سريره غاص في نوم عميق والبسمة على وجهه وهو يضم وسادته . . .

في غرفة فريدة، بعد ما كانت تدور من الفرحة، ها هي تقف شاردة أمام مرآتها بمجرد سماعها كلمة "أحبك يا عجيبتي" .

ها هي فريدة تنظر لنفسها في المرآة وتكلم نفسها بتعجب:

-هذه أول مرة يقول لي فيها أبسل "يا عجيبتي"، بل لم يقل لي أحد هذه الكلمة سوى فارس . . . !

ها هي تلتفت من أمام المرآة وتصفع وجهها وتقول في قرارة نفسها :

-فارس ! لقد انتهت تجربتك مع فارس منذ أكثر من تسع سنوات، وها أنتِ سوف تتزوجين، فلا يصح أبدًا أن تفكري في أحد سوى أبسل، أبسل وكفى . . .

ومن ثم تمددت على السرير وأغمضت عينيها وبدأت في النوم .

***

ها هي فريدة ترتدي فستانًا أحمر وشعرها الأسود الطويل الحريري يطير في الهواء، وعلى رأسها تاج ذهبي كبير مرصع بالمجوهرات، وخاصة الحجر الروبي .

ها هي تمشي في مكان مثل الملكات، تمشي في مكان كله زرع وأشجار وأنهار إلى أن وصلت لمكان به عرش ذا كرسيين .

يجلس على أحد الكرسيين شاب وسيم ذا ملامح عربية وشعر طويل يصل للمنكبين، ويرتدي ملابس بيضاء أشبه بالملوك في العصور القديمة وتاجًا ذهبيًا ضخمًا ، وحوله الكثير من الفتيات الفاتنات يرتدين فساتين بيضاء وشعرهن طويل أسود حريري، يحومن حوله والبعض منهن تحت قدميه، ولكنه عيونه زائغة يلتفت حوله إلى أن تقع عينيه على ذات الفستان الأحمر التي تمشي في الحديقة لا تدري وجهتها .

ها هو يهم واقفًا تاركًا خلفه الفاتنات ويهرع خلفها إلى أن وصل إليها فأمسك بذراعها ، فالتفتت إليه فذاب في سحر عينيها ، وهي شردت في عينيه السوداء المكحلة وشعرت أنها وجدت وجهتها أخيرًا .

ها هو سحبها وها هي تجري معه وهي تطير من السعادة إلى أن وصلا أمام العرش. هنا وقفت ذاهلةً، فنظر لها وأومأ لها أي تفضلي.

هنا اصطفت الفتيات عن يمين ويسار العرش، وها هو قد أمسك بيدها وأجلسها على العرش بجواره، ومن ثم نظرا لبعضهما البعض وابتسما و. . .

***

-فريدة. . . فريدة، استيقظي يا حبيبتي، ها قد صرنا الظهر يا عزيزتي.

ها هي فريدة تمسح وجهها بيدها وتنظر لأمها وتتمتم متعجبةً:

-أين أنا. . . ؟

ها هي أمها تجلس بجوارها وتمسح على شعرها وقالت لها مبتسمةً:

-هذا هو الحال يا حبيبتي عندما نترك مكاناً معتادين عليه ونذهب إلى مكان آخر نشعر أننا مثل التائهين، وأنا أعلم جيدًا أنكِ متعبةً من السفر، لذا تركتك ترتاحين إلى الآن.

***

قبل الزفاف بيوم، ها هي فريدة تسأل أبسل بلهفة وهو يهم بالخروج:

-إلى أين ستذهب يا أبسل . . . ؟

-سأذهب لكي أطمئن على خالد . . . منذ أن ذهبت إليه في يوم وصولنا لم يخرج قط ولم يسمح لي بزيارته حتى، أقصى شيء يطمئنني عليه برده عليّ من خلال جهاز التنبيه الملحق بالبوابة .

-إذن دعه على راحته .

-لا، بل أريده أن يحضر زفافنا، أريده أن يختلط بنا، لا أدري لِمَ هو معتزل كل شيء هكذا . . .

-لِمَ تشغل بالك به إلى هذا الحد يا حبيبي . . . ؟

-أشعر أن وراءه سرًا . . . حياته مليئة بالغموض يا فريدة، أنتِ لم تري فيلته من الداخل، إنها . . .

قاطعته فريدة بلهفة وأمسكت يده:

-ولِمَ تصفها وتحكي لي ما رأيت، وبإمكاننا أن نراها سويًا .

-ولكن يا ريدا . . .

-أششش، أنت تعرف جيدًا أني أحب المغامرات كثيرًا والغموض، وأظن ليس لك مانع بما إنك معي . . . !

-ولكن الموضوع لا يستحق كل هذا الحماس، كل ما في الأمر أن . . .

قاطعته فريدة وهي تسحبه من يده وهي تخرج من باب الفيلا:

-لا توضح لي شيئًا، دعني أحكم أنا على الأمر بنفسي إن كان يستحق أم لا . . .

-يا لَكِ من عنيدة ! ولكني أعشقك .

ابتسمت له فريدة وها هما يجريان في الشارع ويضحكان بطفولية برغم عمرهما الذي تجاوز السابعة والعشرين عامًا .

ها هي فريدة تسبق أبسل وترن جرس الفيلا قبل أن يضع أصبعه على الجرس بثوانٍ، ها هما يضحكان ويلهثان، ولكن سرعان ما يقطع ضحكهما صورة خالد المنبثقة من الشاشة . . .

هنا أخذت فريدة نظرتها الجادة الحازمة الذكورية مرة أخرى بمجرد سماعها للصوت، وبمجرد أن نظرت للشاشة لم تلمح ملامح خالد جيدًا لأن شعره الطويل

يواري أغلب وجهه، بالإضافة إلى إضاءة غرفته الخافتة. ظهر صوت خالد الواهن:

-أهلًا، أهلًا أبسل . . .

هَمَّ أبسل قائلًا بأسلوب معاتب بعض الشيء:

-هل تسمح لنا بزيارتك يا أستاذ خالد ؟ لا يصح كل يوم لقاؤنا يكون هكذا . . .

أعطى خالد أمرًا للبوابة ففتحت لهما، وها هما يدلفان بداخل الحديقة ومن ثم داخل الفيلا المفتوح بابها لهما على مصراعيه، وبمجرد دخولهما أُغلق الباب مرة واحدة فصدر عنه صوت مُقبض وعالٍ جدًا، وخاصة أن فيلا خالد خالية تقريبًا من الأثاث.

فريدة ذعرت بمجرد سماعها للصوت فأمسكت بيد أبسل، فقام باحتوائها بذراعه وها هما يتقدمان تجاه الدرج، ولكن فريدة تمتمت بقلق عندما رأت الضوء يخفت:

-لمَ بيته غريب هكذا . . . ؟

حاول أبسل أن يقلل من قلقها وبصوت مطمئن همس لها:

-لا تقلقي يا عزيزتي، كل ما في الأمر أن خالدًا قال لي إن بيته يوجد به خلل في الأجهزة، لذا كل شيء لا يعمل بشكل جيد .

ولكن كلما صعدا أكثر وأكثر، كلما وجدت فريدة الإضاءة المهتزة تزداد حدة أكثر، إلى أن وصلا لغرفة خالد .

الضوء برغم اهتزازه صار قويًا وكل شيء صار واضحًا للرؤية .

ها هما يطرقان الباب فسمح لهما خالد بالدخول .

كان خالد ممددًا في سريره، إلى أن اقتربا أبسل وفريدة وجلسا على الأريكة على يمين باب غرفته والمقابلة لسريره الضخم بشكل مبالغ فيه ذا الأعمدة الخشبية السوداء .

تنحنحت فريدة ومن ثم أردفت:

-ألف سلامة عليك يا أستاذ خالد . . .

وبمجرد ما سقطت تلك الكلمات على أذن خالد، ها هو جسده انتفض بقوة على السرير كمن أصابه الصرع، فهَمّ كل من فريدة وأبسل إليه قلقان وصرخا :

-خالد . . . خالد . . . ماذا بك، هل أنت بخير . . . ؟ !

ها هو أبسل يحاول أن يمسك بيد ، وفريدة من جانب آخر أمسكت باليد الأخرى، ولكن بمجرد أن لمست يد فريدة يده هدأت حركته، وبمجرد ما هدأ تنفسا كل من فريدة وأبسل الصعداء وجلس كل منهما بجواره في اتجاه .

قال له أبسل بقلق:

-ماذا بك يا خالد . . . ؟مما تعاني . . . ؟ أخبرني يا صديقي . . . ؟

حاول خالد أن يهم ويجلس، وتنفس الصعداء وها هو يلتقط مساكة الشعر وقام بلم شعره الطويل، وهنا كشف عن وجهه .

وهنا كانت الصدمة لكل من أبسل وفريدة . . .

نظر لهما خالد بتعجب وأردف:

-ماذا بكما . . . ؟

التفت كل من فريدة وأبسل لبعضهما البعض ونظرا بتعجب، ولكن سرعان ما تحولت ملامح أبسل من التعجب إلى الابتسام لفريدة وأردف:

-هل ترين ما أراه . . . ؟

ولكن ما زالت ملامح الصدمة مرسومة على وجه فريدة، وها هي تشيح بنظرها عن أبسل وتوجهها لخالد، وها هي عينيها تترقرق بالدمع . . .

هنا ابتسم أبسل متعجبًا وسأل فريدة:

-ماذا يا فريدة، هل الأمر يستحق كل تلك الصدمة . . . ؟

فاقت فريدة من شرودها وتمتمت بصوت ما زالت الدهشة مسيطرة عليه:

-كل ما في الأمر أني لا أصدق ما تراه عيناي.

قاطع خالد حديثهما بصوت غير فاهم لما يحدث:

-ما الذي تقصدانه . . . ! شاركاني مرادكما من الحديث.

ابتسم له أبسل وقال له متعجبًا:

-ألا ترى أننا نشبه بعضنا في الكثير من الملامح . . . ؟

رد خالد بسرعة متعجبًا:

-ولكني لا أهتم بالتركيز في شكلي.

ضحك أبسل وأشار إلى مرآة ضخمة موجودة على الجدار على يسار الباب ومقابلة لشرفة الغرفة وأردف:

-كل هذه المرآة الضخمة ولا تهتم لشكلك . . . !

تمتم خالد موضحًا :

-أقصد أني . . .

قاطعه أبسل وقال له بتعجب وسعادة:

-يا صديق، نحن لا نختلف إلا في لون العيون؛ أنت عيونك بنية عسلية وأنا عيوني رمادية خضراء، وأنا بشرتي قمحية وأنت ذو بشرة فاتحة . . . أوه، كأننا توأم لولا فارق السن أظن أني أكبرك بعدة أعوام قليلة . . .

ومن ثم سأله متعجبًا :

-أه صحيح، كم عمرك . . . ؟

نظر له خالد متعجبًا ومن ثم أردف له بصوت غير مكترث:

-لا أدري يا صديق، لا أحسب عمري و . . .

قاطعتهما فريدة وهي تهم وقد تغير لونها وقالت بقلق اختلط بالحزم:

-أبسل، أريد أن أعود للبيت . . .

نظر لها أبسل غير فاهم ما سبب تغيرها هكذا وأردف:

-حسنًا ولكن انتظري أ . . .

قاطعته فريدة بجزم:

-حالًا يا أبسل . . .

رفع أبسل حاجبيه غير مستوعب ومن ثم همَّ واقفًا وحول نظره عنها إلى خالد وابتسم وقال له:

-ها يا صديق، سوف أتركك الآن، ولكن عليك أن تأتي لفيلتنا في الغد لكي تحضر زفافنا أنا وفريدة.

ابتسم لهما خالد وأردف:

-مبارك عليكما . . . ولكن لن أعد . . .

ها هو أبسل يهم تجاه فريدة التي قررت النظر للأرض حزنًا بعدما رأت ابتسامة خالد، من ثم قاطعه أبسل:

-لا توجد أعذار يا صديق، وإن لم تحضر سوف أتي بنفسي لكي أخذك، ألا ترى كيف تغير وجهك وكأن رُدت به الروح بمجرد بضع دقائق تحدثنا بها سويًا ؟ على

العموم أنت صديقي، وكما تعلم أنا جديد في مصر فأنت رفيقي وأخي هنا . . .

اتفقنا . . . !

ابتسم له خالد وهمَّ من سريره:

-لي الشرف يا أبسل . . .

هنا قاطعه أبسل متعجبًا ضاحكًا:

-آوه، إلى أين أنت ذاهب يا أستاذ خالد . . . ؟ !

ضحك خالد وهو يقترب منهما وأردف:

-ماذا بك يا رجل . . . ! وأستاذ ماذا وأنت الذي تكبرني . . . ! أنا أخوك الصغير ومن واجبي احترامك وتقديرك وتوصيلك بنفسي .

وضع أبسل يده على كتف خالد وربت عليه تشجيعًا له وبسعادة لتغير حاله:

-سعيد لأن قلبي اطمئن عليك . . .

قاطعه خالد وهو ينظر لكلا من أبسل وفريدة وأردف مستغربًا مبتسمًا:

-أقسم لك يا صديق، لا أدري كيف رُدت بي الروح هكذا . . . ؟ دائمًا أشعر أني من الأموات . . .

هنا نظرت له فريدة، وبمجرد أن التقت عيناهما توترت فريدة وهمست لأبسل وهي تسحبه من يده برفق:

-هيا يا أبسل، وراءنا الكثير من الأشياء علينا الانتهاء منها .

نظر لها أبسل برومانسية هامسًا :

-حسنًا يا حبيبتي، فهمت ماذا تريدين . . . لكِ ما تشائين .

ومن ثم هما بالنزول على درج الفيلا الواسع وبجوارهما خالد .

التفت له أبسل وأضاف مكملًا حديثه لخالد :

-يا صديقي، الوحدة قادرة على قتلنا أحياء، إذا أردت الراحة والسعادة فعليك بالناس؛ الناس تعني الأُنس، وأنا سأكون أول من تأنس به يا صديق .

ابتسم له خالد وأردف له:

-سعيد بك يا أبسل، أقسم لك بذلك .

ضحك له أبسل وها قد أوشك على الوصول لباب الفيلا وأردف له:

-أرى أن إضاءة البيت راضية عن لقائنا اليوم، أنها تعمل بشكل شبه جيد . . .

-سوف أقوم بإصلاح كل شيء، لا تقلق يا صديق .

ودعه أبسل وأشار له بعدما خرج هو وفريدة:

-حسنًا، في انتظارك غدًا يا خالد .

أشار لهما خالد مودعًا، ومن ثم التفت أبسل مستغربًا لفريدة التي تمشي بجواره شاردة:

-ماذا بكِ يا عزيزتي، لَم تغيرتِ هكذا برغم أنكِ كنتِ متحمسةً جدًّا في البداية. . . !

ابتسمت له فريدة ابتسامة مصطنعة وهي تمسك يده بدلال:

-كل ما في الأمر أني لم أشعر بالراحة أثناء وجودي في هذا البيت، وكما تعلم أنا متوترة ومتقلبة المزاج جدًّا بسبب ضغط التجهيزات الخاصة بزفافنا . . .

ابتسم لها أبسل وقال متهكمًا:

-لا توجد امرأة يسهل على المرء فهمها، كلكن مجنونات يصعب فهمكن . . .

ضربته فريدة برقة على ذراعه وضحكت:

-لا تشبهني بأحد ها . . .

ومن ثم تأبطت ذراعه وأضافت متهكمةً:

-وإن جئت للحق، أنا لا أفهم نفسي في بعض الأحيان، سحقًا لمَ جئتُ بنتًا تسيطر عليّ تقلباتي المزاجية.

مسح أبسل على شعرها وهما يسيران:

-ولكني أحبك وأحب جنانك يا فريدة، أنتِ خُلقتِ أنثى من أجلي، كي تكمليني. أنا ناقص من دونك، كنت سأضيع إن لم تخلقي.

رفعت فريدة نظرها فالتقت عيناهما برومانسية وأردفت بدلال وضجر مصطنع:

-إن لم أخلق لكنت مع غيري الآن و. . .

قاطعته أبسل ضاحكًا:

-يبدو أنكِ نسيتِ سبب لقاءنا الأول يا ست فريدة.

ابتسمت له فريدة بدلال وأردفت هامسةً:

-بل أتذكره جيدًا يا أستاذ أبسل.

وقف أبسل وصارت فريدة أمامه تنظر له برومانسية وهو ينظر لها بلهفة عاشق، وأردف وهو يمسك يدها وهما أمام فيلتهما:

-فريدة، أنتِ خُلقتِ من أجلي وأنا خُلقت من أجلك، أنتِ من أحييتِ قلبي وجعلتِني أحب الحب صدقيني .

ابتسمت له فريدة وقالت له بضحكة مغيرة مجرى الحديث:

-أعلم هذا يا مريضي الجميل، هيا لا داعي لتذكر الماضي، وهيا بنا نستعد لتجهيزات الغد .

***

ها هو الأسبوع قد مر سريعًا ، وها هي فريدة تقف أمام مرآتها وبجوارها المنسقة ترى طلتها الأخيرة التي تتكون من لباس زفاف يتكون من بنطلون أبيض واسع وقميص أبيض من الستان، وعلى كتفها شال طويل يصل للأرض مرصع بالجوهرات المتلألئة، وشعرها مسدول حريري، وعلى رأسها تاج فضي اللون، وعلى وجهها القليل من مساحيق التجميل "الميك أب" ، ولكن لا غنى عن كحل عينيها الذي يبرز وسعهما ورسمتهما الساحرة .

ها هي وتين تدخل غرفة فريدة، وبمجرد ما دخلت ورأت ابنتها الوحيدة ترقرقت عيناها بالدمع .

رأتها فريدة في المرآة فالتفتت إليها وابتسمت لها، وها هما تقتربان لبعضهما البعض، وكلما اقتربتا يزداد بكاء وتين الذي اختلط بابتسامة مكسورة، فعانقتها فريدة فزادت وتين من ضمها لفريدة وكأن جزءًا من جسدها سوف ينتزع منها وأجهشت في البكاء.

من ثم خرجت فريدة من حضن أمها وحاولت أن تتمالك دمع عينيها، من ثم مسحت دمع عيني أمها وقالت لها ممازحة إياها:

-ماذا بكِ يا بومة، لمَ تبكين الآن...؟

ضحكت لها أمها وقالت لها بضحكة مكسورة:

-لأنكِ كبرتِ وسوف تتزوجين.

رفعت فريدة أحد حاجبيها ونظرت لأمها بأسلوب مهدد لها بمزح:

-حسنًا، انزلي أخبري الضيوف أن العرس قد أُلغي، ولكن لا تذكري لي بعد ذلك أنكِ ترغبين أن تفرحي بي ها...

ضحكت لها وتين واقتربت منها، ومن ثم تحولت ضحكتها إلى ابتسامة أمومية بها حنان العالم كله وهي تمسك ذراعي ابنتها وأردفت:

–هذا اليوم الذي أنتظره يا حبيبتي، اليوم الذي أطمئن عليكِ أن هناك من يحبك ومن تشعرين معه بالأمان، فأنا لن أدوم لكِ و . . .

قاطعتها فريدة بغضب:

–وتين، يا منكدة، ارحميني من عاطفتك ونبرك وفألك السيء ذا، أرجوكِ أريدكِ متفائلة لمرة . . .

أقسم لكِ، ما توجد مرة "نبرتي" قلتِ فال سيء إلا وتحول اليوم لنكد ها . . .

نظرت لها أمها بأسى ومن ثم جلست على الشيزلونج الموجود أمام سرير فريدة ومن ثم نظرت أرضًا وتمتمت:

–لا أقصد أبدًا أن أقول فالًا سيئًا لكِ يا فريدة، كل ما أتمناه لكِ هو السعادة وكفى . . . ولكن كل ما في الأمر أن قلبي يؤلمني بشدة وأشعر أني لن أقدر أن . . .

فريدة اقتربت منها ومدت لها يدها وابتسمت لها ابتسامة ذابت في بحر الحزن وأردفت:

-هل يمكن أن تقومي معي وننزل سويًا ونفرح وننسى ولا نفكر فيما يحزننا ؟ أرجوكِ لا تفكري فيما فات ولا تخافي مما هو آت، كل ما عليكِ أن تظني بالله الخير وكفى، وسوف ينعم قلبك الجميل ذا بالراحة والفرحة صدقيني . . .

ابتسمت لها أمها وهمّت واقفةً وأردفت:

-أنا فخورة بكِ يا بنيتي، ولو كان أبوكِ معنا لكان سعيدًا بما حققتِه إلى الآن .

ترقرقت عيون فريدة عندما سمعت سيرة والدها وقالت بأسى، ولكن سرعان ما حاولت أن تكبح مشاعرها وأردفت:

-أرجوكِ يا أمي، حاولي ألا تذكري سيرة أبي اليوم، أنا أحاول أن أتجاور . . . وأتعمد تجاهل عدم وجوده بكل ما أستطيع من قوة .

نزلت دموع وتين، ولكنها حاولت أن تتمالك نفسها وابتسمت لفريدة وقالت:

-سامحني يا بنيتي، لم أقصد أن . . .

قاطعتها فريدة وهي ترسم الضحكة على وجهها وتغير مجرى الحديث:

-ها أنا ذا بجوارك، حتى أني سوف أعيش معكِ في نفس الفيلا، وعملي سيكون في مصر كذلك، لذا لا أريدك أن تشعري بالوحدة ولا الحزن مرة أخرى ها ، ليس لي في الدنيا سواكِ، لذا حافظي على قلبك من الحزن من أجلي لا من أجلك .

أومأت لها وتين وابتسمت، فنظرت لها فريدة مبتسمةً وأدارت وجهها كمن فقد الأمل:

-أدري ألا فائدة من الكلام معكِ يا وتين، عذبي نفسك بالحزن يا "نكدو" ها ، هيا أمامي، هيا .

ضحكت لها وتين وقالت لها متعجبةً:

-لا أدري من هي أم من . . . !

***

الزفاف بدأ، وها هم الحاضرون يرقصون على صوت الأغاني والبعض منهم جالسون.

لم يتجاوز عدد الحاضرين الثلاثين لكلا العائلتين ولم يكن بينهم أي من الأطفال، وهذا ما أفضله؛ فكم هم مزعجون حقًا ويحولون أي لحظة إلى مأساة بسبب أفعالهم الشيطانية أو بكائهم الهستيري المصطنع! آه، لا أدري من صاحب مقولة أن الأطفال ملائكة وأحباب الله، بل الحقيقة أنهم ماكرون أشد مكر و. . .

آه، أعذروني، لا أدري لِمَ أقحمكم دائمًا في خواطري النفسية المعقدة، دعوني أكمل لكم سرد ما حدث. . .

من وسط الحضور تبرز فريدة التي ترقص مع أبسل بسعادة، ولكن سرعان ما يقع نظرها على شخص فيخطف نظرها وانتباهها وتركيزها . . .

أبسل ينظر لها مستغربًا، وها هو ينظر تجاه نظرها ولكنه لا يفهم فيما هي شاردة.

ها هو يحرك يده أمام عيني فريدة كي تستعيد تركيزها إليه، ولكن فريدة تتركه وتتحرك تجاه الشخص الذي جعلها تشرد هكذا . . .

ها هي تمشي بصعوبة وهي شاردة وعيناها تترقرق بالدمع كمن لا يصدق ما يراه أمام عينيه . . .

ها هي تقف وتضع يدها على كتف رجل يعطيها ظهره، ولكن بمجرد ما يشعر بها يلتفت لها ، هنا تقول له فريدة بلهفة:

-هل أنت هنا حقًا . . . ؟ !

هنا تقع عين الرجل عليها ويراها وهي تبكي، فيقول لها مستنكرًا :

-كيف . . . ؟ !

هنا تنظر فريدة جيدًا فيتحول شكل الرجل لملامح رجل آخر .

هنا تلتفت فريدة باكيةً فتجد أبسل وراءها ، ويسألها مستغربًا :

-ماذا بكِ يا فريدة . . . ؟ ما الذي غيركِ فجأة هكذا . . . !

تركته فريدة وهرعت لداخل الفيلا باكيةً بشدة، فلحقها أبسل لغرفتها .

ها هي فريدة تجلس على سريرها متطأطئة الرأس تبكي بحرقة، حينها وصل أبسل ومشى تجاهها ببطء متسائلًا :

-ما الذي يتعب نفسيتك هكذا يا حبيبتي . . . ؟ أحكي لي، أنا زوجك حبيبك .

هنا كان قد جلس بجوار فريدة وأخذها في حضنه ومسح على شعرها وهي تجهش في البكاء وتقول بحرقة:

-أقسم لك ، أقسم لك أني رأيته يا أبسل . . .

قاطعها مستغربًا :

-من هو يا ف . . .

خرجت فريدة من حضنه وقالت بحرقة وغضب:

-أبي يا أبسل، أبي هنا ، وكان يقف مع أمي في ال . . .

مسكها أبسل من ذراعيها وهزها وقال لها بحدة كي تفيق من وهمها :

-فريدة، والدك مات، مات يا فريدة .

أبعدت فريدة يده عنها بقوة وغضب، ووقفت وقالت له بحزن اختلط بالغضب:

-أبي لم يمت، أبي ما زال على قيد الحياة بداخلي، حتى وإن لم أعد أقوم بالسفر عبر الزمن للقائه ولكنه يأتي لي في منامي .

أنا أصدق بعالم الأرواح يا أبسل، لم أستبعد أنه قد يحضر زفافي . . .

وقف أبسل وسحبها من يدها وعانقها بشدة كمن يصعب عليه حالها ومسح شعرها وهو يقبل رأسها، وهمس لها:

-أنا أعلم أنكِ متعلقة به بشدة، ولكن لا يصح يا سيادة الدكتورة النفسية ألا تتجاوزي هذه الصدمة برغم كل هذه السنين . . .

هنا رفعت فريدة رأسها كي تنظر له وقالت بحسرة:

-كم كنت أتمنى لو كان هو الذي رأيته يا أبسل.

-أنتِ قوية يا فريدة، أنتِ من تعلمين الناس كيف يتجاوزون الصعب و . . .

خرجت فريدة من حضنه وتحركت تجاه باب شرفتها الزجاجي، وقالت منكسة الرأس:

-صدقني، الشخص الذي ينصح الناس ويوجههم ويساعدهم على تجاوز نكبات حياتهم هو نفس الشخص الغارق في مصائب حياته.

هنا سحبها أبسل للشرفة وتطلّعا على الحديقة وعلى الزفاف ومظاهر السعادة، من ثم همس لها:

-ومن قال لكِ أنكِ غارقة في المصائب، بل أنتِ غارقة في النجاحات والإنجازات يا حبيبتي .

ابتسمت فريدة وقالت بصوت به نبرة ندم:

-عندك حق يا أبسل، الحمد لله على كل حال، ولكنك تدري عندما ينفعل المرء يجحد وينكر كل نعم الله وتسود الدنيا في وجهه و . . .

هنا قطع كلامها ظهور طائر في حجم النسر ذي ريش صبغ باللون الناري وذي رأس عليها عدد من الريش يشبه التاج، كاد أن يرتطم بوجهها ، إلا أن أبسل قام بإزاحتها قليلًا .

نعق الطائر نعيقًا عاليًا ، ومن ثم طار عاليًا في السماء بسرعة خارقة .

التفتت فريدة تجاه أبسل وحاولت أن تلتقط أنفاسها ، وها هو أبسل يحاول تهدئتها بقوله:

-لا تقلقي يا حبيبتي، إنه مجرد طائر .

قاطعته فريدة وهي تضع يدها على صدرها :

-أنا لا أخاف من الطيور، ولكني فزعت من ظهوره هكذا فجأة و . . .

-نحن لم نلاحظه لأننا كنا شاردين في حديثنا و . . .

لم يكمل كلامه وفجأة رأت فريدة أن عين أبسل تنظر لغيرها ، فالتفتت كي ترى على من تقع عينه، وفي نفس اللحظة التي التفتت بها ها هو أبسل يصيح مرحبًا :

-خالد . . . مرحبًا .

كان خالد في الأسفل يتطلع إلى شرفة فريدة بتركيز ويبتسم لهما .

سحبها أبسل من يدها وقال لها بلهفة:

-هيا يا حبيبتي، أظن لا يجب علينا أن نترك الحاضرين هكذا من دوننا في زفافنا .

ها هو خالد كلما رآه أحد الحاضرين بدأ يمزح معه ومع أبسل لكثرة الشبه بينهما .

رقص الجميع وجاءت لحظة الصورة الجماعية لكل الحاضرين، وكان خالد في وسط فريدة وأبسل من الخلف .

***

الفصل الثاني

ساتوريني

ها هي فريدة ترتدي فستانًا أحمر قاتمًا ذا طراز من العصر العثماني، ويزين رقبتها عقد به شكل بومة، ورأسها من حجر الروبي.

ها هي تنام على سرير ضخم ذا أعمدة سوداء، تفتح عينيها فتجد نفسها في غرفة أشبه بغرف القصور القديمة، تحاول أن تقوم من مكانها فتشعر بتعب وألم رهيب يمنعها من القيام، تشعر أن هناك من ثبت ظهرها في السرير فلم تعد قادرة على الحراك أبدًا، ولكن بمجرد ما تنظر لجسدها تجد ما يجعلها تشعر بالذهول...

رأت أن بطنها كبير جدًّا أشبه ببطن الحوامل، أو أنها حامل بالفعل.

حاولت فريدة أن تقوم من مكانها بصعوبة، وبمجرد أن قامت وجلست على طرف السرير بإجهاد، ها هي تسمع صوت تحطم زجاج شرفة غرفتها، وبمجرد ما ترفع رأسها لكي ترى مصدر الصوت تفزع وتهم صارخةً و...

***

ها هي فريدة نائمة تقاوم في نومها ، وتتصاعد أنفاسها وتأن .

أبسل بجوارها نائم، ولكنه يستيقظ على صوتها ويهم بإيقاظها متمتمًا :

-فريدة . . . فريدة حبيبتي .

هنا تفتح له فريدة عينيها بذعر كمن رأى هول الدنيا كلها ، وتشهق كمن تم إنقاذه من الغرق .

همس لها أبسل وهو يفرك عينيه:

-ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ هل ما زلتِ تعانين من تلك الكوابيس المزعجة . . . ؟

ها هي فريدة تحاول أن تلتقط أنفاسها وتهم بالجلوس وتتمتم بصوت خافت:

-لا أدري يا أبسل لمَ تلاحقني الكوابيس، إنها تؤرقني جدًّا .

هم أبسل بالوقوف وقال لها بنفاد صبر:

-ماذا سيحدث إن أخذتِ أيًا من المهدئات التي تصفينها للمرضى كي تنعمي ببعض الراحة ؟

داعبت فريدة شعرها محاولة أن تفيق من نعاسها وأردفت:

-أحيانًا الحياة من دون ألم وأرق تجعلنا لا نشعر بقيمة الراحة، يجب أن أعاني يا أبسل، وغير ذلك أحلامي أكيد لها دلالة، ويجب عليّ أن أركز كيف أفهم ما سيجري لي جيدًا .

التفت لها أبسل ووقف تجاهها ومد لها يده وقال لها مبتسمًا برومانسية:

-حسنًا يا عاشقة المعاناة، هل يمكن أن تأتي معي الآن كي نستعد ونبدأ جولتنا ؟ لدينا الكثير من الأماكن لزيارتها .

قامت فريدة بحماسة تناقض فزعتها منذ قليل، وقالت بلهفة وهي تضمه:

-لن نترك مكانًا في جزيرة سانتوريني إلا وسوف نذهب إليه .

أخذها أبسل وهم بها ماشيًا تجاه الحمام وقال لها هامسًا :

-بل سنقوم بزيارة كل معالم اليونان، ولن ينتهي شهر العسل إلا باكتفائك يا عزيزتي .

خرجت فريدة من البيت، وها هي تتنسم الهواء الجميل وهي تغلق عينيها وهي تهمس له:

-آه، إن جو إكروتيري رائع جدًا، أشعر أنه يزيل كل ما بداخلي من تعب وأرق الفترة الماضية .

ضمها أبسل وهو يمشي بجوارها في شوارع إكروتيري المميزة وهمس لها :

-انتظري، إنكِ لم تري شيئًا بعد ، وبما أني أعلم جيدًا أنك تحبين الطبيعة والأماكن الأثرية، فأحببت أن نبدأ رحلتنا بزيارة موقع إكروتيري و . . .

قاطعته فريدة وصاحت بلهفة طفولية وخرجت من حضنه:

-موقع إكروتيري . . . أوه أنه من أهم المعالم السياحية في اليونان بأسرها ، كم أتشوق لأرى ما به من كنوز وآثار تعود للقرن السادس عشر .

سحبها أبسل تجاهه كأنه يسحب طفلته وداعب شعرها وأردف:

-لن أقول لكِ ماذا سنفعل بعد ذلك، خطوة بخطوة وسوف أبهرك يا حبيبتي .

تخاصرا وصارا يمشيان بهيام وشرود في سحر الطبيعة والبيوت المميزة ذات اللون الأبيض والأزرق .

ها قد وصلا الموقع الأثري، وهناك دهشت فريدة وأخذت ترى كل مكان في الموقع بلهفة ونهم كمن هو متعطش لبحر العلم والتاريخ .

وبعد جولة دامت لساعتين، ها هو أبسل يقول لفريدة بحماسة:

–يكفي هذا يا عزيزتي، لا نريد أن نقضي باقي اليوم في ذات المكان، هناك المزيد من الأماكن الآسرة يجب أن نراها سويًا .

نظرت له فريدة بلهفة وحزن وأردفت وهي مبهورة بالمكان:

–ولكن يا أبسل، ألا ترى ما أراه ؟ لم أكن أتوقع قط أن هذا الموقع كان مدفونًا ، وكل هذا الموقع كان تحت أنقاض رماد الحمم البركانية، إلى أن جاء يوم ونجح العلماء في التنقيب وإيجاد هذا الموقع عام 1967 .

أكيد سيأتي يوم ويجد العلماء المدينة المفقودة "مدينة أطلانتس" و . . .

قاطعها أبسل بلهفة وهو يمسك يدها :

–حاضر يا سيادة المؤرخة، هل يمكن أن تنجزي قليلًا ؟ نريد أن نصل إلى قرية كاستيلي من بيرغوس كي لا يفوتنا الغروب من قلعة البندقية . . . !

التمعت عينا فريدة وقالت بلهفة:

–أوه، سنرى الغروب من القلعة، أنت تعلم جيدًا كم أعشق المرتفعات .

قال لها أبسل ضاحكًا :

–سترين ما لم تريه من قبل يا حبيبتي، أعدك .

وبالفعل، لقد وصلا لقلعة البندقية، وهي عبارة عن تحفة من تحف الهندسة المعمارية في العصور الوسطى، وهي موجودة على رأس تل، وكانت في يوم هي المركز الإداري لبيرغوس .

ها هي فريدة على القمة مع أبسل، وترى كل ما يحيط بهما من علٍ وتقول في انبهار :

-إنها تحفة يا أبسل، تحفة حقًا .

هل ترى هذه الجدران المحصنة وتلك الممرات والمتاهات والشوارع الضيقة ؟

ابتسم لها أبسل وجذبها إليه، مالت فريدة برأسها على كتفه في هدوء وقال لها هامسًا وهما بمحاذاة سور القلعة:

-ماذا كنتِ تظنين يا حبيبتي . . . ؟

همهمت فريدة بصوت هادئ شارد في سحر التاريخ والطبيعة:

-لم أكن أظن أني سوف أرى كل هذا الجمال يا أبسل .

جعل أبسل فريدة تنظر له وهو يمسك ذقنها برفق وقال لها بشاعرية:

-يبدو أنه ليس هناك أي جمال في الكون قادر على أن يبهرني بعد ما رأيت جمالك يا فريدة .

ابتسمت له فريدة في خجل، من ثم عادت تميل برأسها على كتفه وشردت في المتاهات التي أمامها وهي تتنفس بهدوء وعمق .

***

ها هي فريدة تمشي في المتاهة وتنظر لكل شيء بتعجب رهيب، ولكن فجأة تشعر أن هناك شيئًا ما ارتطم برأسها من السماء ، ولكن قبل أن ترفع رأسها أو أن تلتفت لكي ترى مصدر ذاك الشيء ، كانت قد فقدت الوعي .

ها هي فريدة تستعيد وعيها وترى نفسها ملقاة أرضًا ، ولكن سرعان ما تتحول نظرة عينيها إلى نظرة ذعر بمجرد أن تدرك ما الذي يجثو على صدرها . . .

طائر ضخم الهيئة ذا ريش ناري تكاد تشعر أنه قد لبد في ريشه النار ، ومنقاره يشبه منقار النسر .

ها هو يهم لكي يهوي على بطنها التي صدمت بكونها كبيرة جدًا أشبه ببطن الحامل .

من ثم حاولت أن تبعده عنها صارخةً ، ولكن الطائر ثبت جسدها بمخالبه، وها هو انقض على بطنها بمنقاره بقوة مما جعلها تعوي من شدة الألم، ولكن في ذات

اللحظة من قوة الطعنة همت بنزع الطائر من فوقها ورمته بعيدًا فارتطم بصخرة مجاورة أفقدته توازنه .

تحاملت على سور بجوارها كي تستطيع الوقوف والهرب .

ها هي تضع يدها على بطنها الذي ينزف بشدة، وكذلك أعلى صدرها ، لقد لطخ فستانها الأبيض بالدم .

ها هي تهرب وتنظر وراءها وتلتفت حولها وتنادي بخوف:

-أبسل، أنقذني يا أبسل .

ولكن لا وجود لأبسل، ولا تدري أين هي؛ أهي في بداية الطريق أم في نهايته . . . !

إنها في متاهة لا أول لها ولا آخر .

فجأة سمعت نعيق الطائر، كان الطائر من شدة وقوة نعيقه كادت فريدة أن تصم، قامت بسد أذنيها بوضع أناملها بهما من بشاعة صوت الطائر الصارخ .

رفعت رأسها للسماء فرأت أن الطائر قد أوشك على أن يهوي عليها ، رسمت على ملامحها أعتى ملامح الذعر وكادت عيناها أن تخرجا من محجريهما .

التفتت مسرعة متجاهلة ألمها ، تهرع في طريقها عسى أن تجد مخرجًا ، ولكنها في مأزق الآن؛ إن الطريق نهايته سور . . . !

ومن ورائها ذاك الطائر الناري . . . !

ازدرت فريدة لعابها بعدما لهثت بشدة بسبب كثرة الجري .

أعطت ظهرها للجدار وهي تنظر للطائر الذي صار يمشي على الأرض تجاهها وجسده يتضخم أكثر وأكثر .

ها هي قدماه تحولتا إلى أقدام أشبه بأقدام بشرية مغطاة بريش أسود فاحم .

ترجع فريدة للوراء ببطء تجاه السور وقد تملكها الذعر بعدما أدركت أن نهايتها محتومة .

ها هو جسد الطائر يزداد ضخامة وتحول لجسد رجل طويل القامة مغطى بذاك الريش الضخم، وما زاد فزع فريدة أكثر عندما فتح جناحيه الضخمين اللذان امتدا على اليمين واليسار فأغلقا الطريق من أمامها وحجبا عنها الرؤية .

هنا استندت فريدة بظهرها على الجدار بعدما شعرت أن قدميها لم تعد قادرة على حملها وقررت الاستسلام لنهايتها .

ولكن فجأة شعرت أن الجدار يتحرك تدريجيًا من ورائها .

ها هو الباب يفتح، ها هي تنظر للباب وهو يفتح وهي جالسة على الأرض غير مستوعبة ما تمر به .

ها هي ترى هيئة رجل تتكون تدريجيًا بمجرد تحرك الباب . . .

تنظر له بدهشة وكأنها تعرفه . . .

إنه يشبه ذاك الرجل الذي رأته في أحلامها ، الذي يرتدي ملابس بيضاء من عصور قديمة وتوجها كملكة له . . .

نظرت له فريدة كمن يستنجد بقشة في عرض البحر .

ها هو ينظر لها ويقترب منها ببطء ، كان يرتدي نفس الملابس ولكنها ذات لونين؛ الأحمر والأسود ، وفجأة بدأت ملامحه تأخذ ملامح الشر . . .

بدأت فريدة بالزحف بجسدها أرضًا للخلف ووجهها له وهي تنظر إليه بذعر اختلط بالفزع والصدمة . . .

ولكن سرعان ما يقطع صدمتها وفزعتها صوت الطائر ، فالتفتت له مذعورة بعدما نسيت أمره لوهلة . . .

صارت عيناها زائغة، إنها محاصرة وليس لها مفر .

ها هو الطائر البشري يتحول سريعًا إلى طائر مثل حجمه منذ قليل، وانقض على بطن فريدة كي ينهشها ، ولكن الرجل ذا الرداء الغريب ذا اللون الأحمر والأسود ها هو يمسك الطائر من عنقه بقوة هائلة ويرميه بقوة فيرتطم في الجدار .

هنا تنظر له فريدة وهي تبكي مذعورة مشتتة لا تدري ماذا يريد منها .

ها هو يقترب منها ، يقترب بهدوء ، وها هي الابتسامة ترسم على وجهه .

وفريدة تزحف بجسدها وهي تنظر إليه وقد ران الرعب على قلبها ، تبكي من دون صوت، مجرد نحيب خافت وكأن نفسها قد أوشك على النفاد من هول الموقف الذي هي به، من ثم وقف بجوارها ونزل تدريجيًا بجوارها بهدوء تام فزاد الخوف في قلب فريدة، وها هو ينظر لها بابتسامة سيكوباتية وهو يمرر يده على شعرها برفق، ويده الأخرى يمررها على بطنها وهو يزيد في ابتسامته إلى أن كشفت عن أسنانه، وهم يقترب من أذنها يهمس لها :

-إنها ليست النهاية بل مجرد بداية يا عجيبة . . .

***

هنا دوت صرخة رهيبة من فريدة .

هنا نظر لها أبسل متعجبًا :

-ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ ما الذي أفزعك إلى هذا الحد . . . ؟

هنا رفعت فريدة رأسها ونظرت لأبسل بتعجب وأخذت تنظر حولها وقالت له بعدم استيعاب:

-أين أنا . . . ؟ وماذا حدث . . . ؟

ضحك أبسل وقال لها :

-لم نتحرك من مكاننا يا حبيبتي، ما زلنا نشاهد الغروب سويًا ، وكنت أقول لكِ إن المناظر هنا تعجبك لأنها غير معتادة بل إنها مثلك فريدة وعجيبة، ولكنك صرختِ، لا أدري ماذا رأيتِ كي تفزعي هكذا . . . ؟

نظرت له فريدة بشرود وتمتمت:

-ماذا قلت . . . ؟

قطب أبسل حاجبيه وقال لها غير فاهم:

-لتوي قلت لكِ ما قلتهُ يا فريدة . . . ؟ ماذا بكِ . . . ؟ ! لمَ أنتِ شاردة هكذا . . . ؟

سألته فريدة وهي متعجبة وتنظر للسماء :

-منذ متى ونحن هنا . . . ؟

-فريدة، لقد جئنا هنا لمشاهدة الغروب وأنتِ كنتِ تشاركيني الحديث ولكنك فجأة صرختِ . . .

أمسكت فريدة برأسها وقالت بتعب:

-لا أدري، ولكنيِ أشعر أني رأيت كابوسًا ، لذلك ظننت أن الوقت قد مر .

أخذ أبسل يهدئها ويمسح على شعرها وقال لها هامسًا :

-حسنًا ، ما رأيك في تناول كوب قهوة لكي . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بلهجة متعبة:

-لا يا أبسل، أفضل العودة للبيت .

قطب أبسل حاجبيه ولكن سرعان ما تفهم وضعها وقال لها بتنهد :

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي .

وصلا كل من أبسل وفريدة بيتهما ، ها هو أبسل يمسك يد فريدة، ولكن فريدة تترك يده وهما عند باب البيت وتمشي بعدم اتزان بعض الشيء وتمسك رأسها .

ينظر لها أبسل متعجبًا قلقًا وينادي عليها بصوت قلق:

-ريدا ، حبيبتي، إلى أين أنتِ ذاهبةً . . . ؟ !

تقف فريدة أمام الدرج وتلتفت له بوهن:

-أنا متعبة يا أبسل صدقني، أريد أن أصعد للغرفة كي أنام .

يهم أبسل بالمشي تجاهها وينظر لها برومانسية اختلطت بالحزن وتمتم:

-ألن نجلس سويًا يا حبيبتي ونتحدث إلى أن تصيري بخير من ثم نكمل سهرتنا بالخارج.

قاطعته فريدة بصوت منهك وهي تهم بصعود الدرج:

-آسفة يا أبسل، سوف أستريّح الليلة ونكمل في الغد .

يهم أبسل بالصعود وراءها ويمسك يدها ويهمس لها برومانسية:

-ولكني جهزت لكِ مفاجأة متأكد أنها ستع . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بنفاد صبر وتعب:

-قلت لك متعبة، متعبة يا أبسل، ألا تفهم . . . ! ؟

ظل أبسل مكانه لا يحرك ساكنًا مصدومًا من ردة فعل فريدة وتركها إياه من دون أن تنظر له حتى أو أن تقدم اعتذارًا عما بدر منها .

ها هي فريدة تقوم بفك شعرها المرفوع لأعلى وتخلع حذاءها بتعب هنا وهناك مثل معظم الرجال، وتلقي بجسدها على السرير من كثرة التعب من دون أن تبدل ملابسها حتى، وسرعان ما غاصت في نوم عميق، عميق جدًا بسبب كثرة الإجهاد العقلي لا الجسدي .

بعد قليل، ها هي تفيق من نومها بعدما شعرت أن أبسل جاء لكي ينام .

كانت نائمة على جنبها الأيمن، من ثم سمعت صوت أبسل يهمس لها :

-آسف يا حبيبتي لأني لم أقدر تعبكِ، أرجو أن . . .

قاطعته فريدة بصوت ناعس خالطه الندم:

-سامحني أنت يا حبيبي عما صدر مني، أعلم أنك ترغب في إسعادي ولكن لا أدري ما بي صدقني، أرجوك سامحني .

بدأت تشعر باقتراب أبسل منها وهو يكمل كلامه هامسًا :

-لم أحزن مما صدر منكِ كي أسامحك، أنا أحبك يا حبيبتي، ولا يوجد سبب للاعتذار بين الأحبة.

حاولت فريدة الابتعاد عنه وقالت:

-أبسل، أرجوك، يكفي كلام اليوم فلننم...

ولكن أبسل أصر على الاقتراب منها، فانفعلت فريدة من تصرفه وقررت أن تغير اتجاه نومها كي تنظر له وتمنعه بحزم، ولكن بمجرد ما نظرت إليه وجدت أبسل يضحك لها ضحكة شريرة، وعلى عنقه تلك العلامة، علامة الشعلة؛ كانت العلامة تضيء في وسط الإضاءة الخافتة.

هنا صرخت فريدة بعدما أدركت من هو:

-ابتعد عني، ابتعد عني يا جواد، ابتعد...

ولكنه استمر فيما بدأ فيه وهي ما بيدها حيلة سوى المقاومة والصراخ.

-فريدة، فريدة، استيقظي يا فريدة.

ها هي فريدة تستيقظ وتقوم من شدة فزعتها بعدما رأته بجوارها.

أبسل ينظر لها بتعجب وهو يحاول أن يضع يده عليها كي يهدئ من روعها:

-ماذا بكِ و . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة قامت بصفع يده بقوة وهي تبتعد عنه وتنظر له بقلق وذعر وأردفت:

-ابتعد عني، أنت جواد، لقد كشفت حقيقتك.

شعر أبسل بضجر وقال لها غير فاهم ما تقصده:

-من هو جواد . . . ؟

ها هي فريدة تقوم من مكانها وتقف وتبتعد عنه وتقول له بجزم:

-لم أصدق رؤياي تجاهك، ولكن تعددت الرؤى التي تثبت لي أنك جواد وعِدتَ لكي تنتقم مني.

رفع أبسل حاجبيه غير مستوعب كلامها وقام من مكانه ووقف أمامها كي يواجهها ويسألها:

-جواد من . . . ؟ أنا لا أفهم عمن تتحدثين . . . ! ولماذا أنتقم منكِ . . . ؟

تبتعد عنه فريدة كي لا يقترب منها أكثر من ذلك وتقول بغضب:

-يكفي تمثيل عليّ يا أبسل، أحب أن أقول لك إنك نجحت في خداعي.

ها هو أبسل يتبعها ويمسكها من ذراعها بقوة كي تلتفت إليه وأردف:

-يبدو أنكِ جننتِ من كثرة المجانين الذين تتعاملين معهم .

أزاحت فريدة يده بقوة وقالت له بكره:

-لا تنسَ أنك كنت واحدًا منهم يومًا ما .

ها هي فريدة تهم بالخروج من الغرفة متأهبة لترك البيت، ولكن أبسل يتبعها وقال لها بصوت عالٍ:

-إن كنت أرغب في الانتقام منكِ، لَما أنتقم منكِ منذ البداية، ولِمَ جعلت علاقتنا تصير وطيدة هكذا وتزوجنا . . . ! ؟

ها هي فريدة تقف عند بداية الدرج تحاول أن تستوعب كلامه، من ثم عم الصمت للحظة، من ثم التفتت فريدة له ونظرت له نظرة ريب وندم في ذات اللحظة بعدما رأت الحزن قد خيم عليه، من ثم أمسكت رأسها وقالت بندم وهي تهم بالاقتراب منه:

-لا أدري يا أبسل ما يحدث لي، أنا مشتتة جدًا بسبب تلك الكوابيس التي أراها .

اقترب منها بدوره وأمسك يدها وهمس لها بتعب:

-دعكِ من الأحلام وأرجوكِ دعينا نعيش الواقع .

نظرت له فريدة نظرة ندم وطأطأت رأسها أرضاً ، فرفع رأسها وابتسم لها هامسًا :

-واقعنا الجميل الذي حلمنا به وخططنا له يا فريدة، أرجوكِ لا تدعي شيئًا يفرقنا عن بعض أبدًا مهما كان، لا شيء في الحلم ولا في الحقيقة سوف يبعدنا عن بعضنا ، أنتِ لي وأنا لكِ .

نظرت له فريدة وابتسمت له ابتسامة يشوبها القلق .

***

ها هي فريدة تعوم هي وأبسل ويتسابقان من هو أسرع من الآخر ، ها هما يضحكان، يرشان على بعضهما المياه، من ثم همست له فريدة:

-دعنا نخرج من المياه قليلاً ، دعنا نتمدد على رمال الشاطئ الحمراء .

-أنتِ تطلبين وأنا أنفذ ما ترغبين به فقط يا فريدتي .

ها هي فريدة ملقاة بجوار أبسل على الرمال الحمراء بسبب الصخور البركانية التي اكتسبت اللون الأحمر مما جعلها فريدة ومميزة في مظهرها .

رمال الشاطئ والصخور المحيطة به ليس لها مثيل أبدًا، فسبحانه الخالق الذي أبدع.

ها هي فريدة وأبسل مسترخيان على الرمال الدافئة سارحان في جمال الشاطئ الأحمر الذي اختلطت زرقة مياهه بحمرة رماله.

ها هي فريدة بدأت عيناها تنعسان قليلًا، فنظر لها أبسل وقال لها بلهفة:

-هاي فريدة حبيبتي، أرجوكِ لا تنامي، صرت أخاف من نومك صراحةً.

فتحت فريدة عينيها وقالت بصوت مرهق بعض الشيء مع ابتسامة على وجهها:

-لا تقلق يا عزيزي، قلت لك إن ما حدث بسبب تعب متراكم، ولكن دفء الجو جعل جسدي يسترخي تمامًا، كدت أنام.

أمسك يدها وهو يهم بالنهوض وقام بسحبها وأردف بلهفة ضاحكًا:

-لن نقضي العطلة كلها نوم، هيا معي، لَمصرتِ كسولة هكذا؟ أين فريدة متسلقة الجبال وصاحبة المغامرات؟ ألا تكوني صرتِ عجوزاً...؟!

قامت فريدة من على الرمال من ثم تركت يده وهي تضحك وبدأت تزيل الرمال عن جسدها وقالت ساخرة:

-عجوز . . . ! ؟ آه يا أبسل، ما مررت به يشيب الشعر، لذا يبدو أني صرت عجوزاً .

هم أبسل بضمها وبدآ يمشيان تجاه مطعم مجاور للشاطئ وقال لها :

-أنتِ لستِ عجوزاً يا فريدة، وحتى لو صرتِ عجوزاً فسأظل أحبك إلى الأبد .

نظرت له فريدة مبتسمة وهي ترفع حاجبيها غير مصدقة، فتوتر أبسل وضحك وأردف:

-أقسم لكِ، أنا لا أمزح، هذه الحقيقة، وفكرة رغبتك في النوم أنا أعرف السبب، كل هذا لأني أيقظتكِ باكرًا لكي نبدأ يومنا المليء بالمغامرات .

-حسنًا ، أصدقك يا سيادة الرومانسي، هل يمكن أن نأكل الآن ؟ أنا أتضور جوعًا .

وقف أبسل ونظر لها متعجبًا :

-أتعجب لمَ البحر يجعل المرء يجوع هكذا . . . ؟ ! ولكن الذي يجعلني أتعجب أكثر هو لمَ أنا لا أجوع مثل باقي البشر . . . ؟

تنظر فريدة في حيرة وقلق وتقول له:

-لمَ . . . ؟ !

يبتسم لها ويقول:

-لأنكِ بجواري يا فريدة، وما دمتِ أنتِ معي فأنا لا أحتج شيئًا .

هنا فريدة تضربه على صدره وتنفخ في ضجر مصطنع وتبتسم وهي تهم بالمشي وتقول بصوت عالٍ:

-حسنًا ، سأذهب لكي آكل أنا ، ولا أريد أن أراك تأكل شيئًا واحدًا .

هنا يلحق بها ضاحكًا ويمسك بذراعها ويوقفها ويردف لها مبتسمًا :

-ليس إلى هذه الدرجة يا فريدة . . .

هنا ترفع فريدة حاجبها وهي تبتسم وتكمل سيرها وهو بجوارها وتهمهم:

-هذا من أجل أن تتأكد أنك كاذب كبير .

يبتسم لها ويردف:

-لست بكاذب يا حبيبتي، ولكني أحب أن أعبّر عن حبي لكِ بهذه الطريقة .

-حسنًا يا مبالغ .

ضمها وأردف:

-قولي عني مبالغ ولكن لا تقولي أبدًا أني كاذب.

ها هما فريدة وأبسل يتناولان طعامهما في مطعم راقٍ جدًّا يسيطر عليه اللون الأبيض مع القليل من الأزرق القاتم، مما يجعل الراحة تستعمر الروح وتقضي على ما بها من آلام.

***

ها هما يضحكان، ها هما يمشيان سويًا على الشاطئ، من ثم جلسا كي يشربا مشروبًا باردًا كي ينعشهما قليلًا وهما شاردان في جمال البحر المتلألئ بسبب أشعة الشمس المنعكسة.

ها هو أبسل ينظر لفريدة ويبتسم وهو يغمز لها من ثم ينظر للصخور العالية، من ثم تنظر فريدة للجبل وتعود بنظرها مرة أخرى له وتبتسم متسائلة:

-أتقصد أن. . . ! ؟

هنا قام أبسل بلهفة وسحبها وابتسم وقال:

-بالفعل. . . والآن.

هنا صرخت فريدة ضاحكةً وقالت:

-أشعر أني مثل دمية الماريونيت التي تتحرك بواسطة أحد يتحكم بخيوطها ، كفّ عن سحبي يا أبسل .

تركها تزيل الرمال التي علقت في جسدها وبدأ يهرول وهو يهتف لها ويؤشر لها كي تسرع:

-هيا أيتها الكسولة، فلنبدأ بالتسلق .

ها هي فريدة تهرع نحوه وهي ما زالت تحرك يدها على جسدها كي تزيل ما تبقى من الرمال وهي تبتسم بلهفتها المعتادة .

ها هما يتسلقان الجبل الذي اختلط لون صخوره بين الأحمر والأسود إلى أن وصلا قمة الجبل وجلسا كي يستريحا قليلًا ويتأملا المنظر من علٍ .

ها هي فريدة تميل رأسها على كتف أبسل وهما شاردان في الجمال الذي يحيط بهما من كل اتجاه .

بعد قليل من التأمل، ها هي فريدة تنظر لأبسل وتبتسم، من ثم تغمز له وتنظر للبحر .

هنا ابتسم لها أبسل، من ثم ضحك وقال:

-يبدو أن حبيبتي المجنونة قد عادت من جديد .

ها هي فريدة تهم بحماس من مكانها وتصرخ فرحة وتهم بالقفز من علٍ .

هنا يقف أبسل بعدها وينظر لها بعدما رفعت رأسها فوق سطح المياه ونظرت له وابتسمت .

هنا ضحك لها وأردف وهو يهم بالقفز:

-أنا أحب مجنونة، أحبك يا فريدة .

من ثم صار معها في المياه وعادا لضحكهما سويًا ، ومن كثرة الضحك تعبا إلى أن عم الهدوء وبدءا يرخيان جسديهما على سطح البحر وهما يمسكان أيديهما وأغلقا عينيهما كي يتجنبا أشعة الشمس .

همس لها أبسل برومانسية وبصوت يتخلله الراحة والفرحة الكامنة في أعماق قلبه:

-فريدة، أنا محظوظ لأنكِ في حياتي، لم أكُ لأشعر بكل هذه السعادة إن لم تكوني أنتِ معي .

قالت له فريدة بصوت خافت:

-وأنا أشعر براحة وسعادة معك ليس لهما مثيل .

من ثم عاد الصمت من جديد ، ولكن سرعان ما شعرت فريدة أن هناك شيئًا ما يدغدغ قدمها ، فقالت ضاحكة وهي مغلقة العينين:

-أبسل، توقف عن دغدغتي، أنت تعلم جيدًا أني لا أحب هذا .

تعالت ضحكات فريدة بسبب أن الدغدغة ما زالت مستمرة، فقالت فريدة صارخة من شدة الضحك:

-أرجوك يا أبسل، توقف أ . . .

لم تكمل كلامها بمجرد أن فتحت عينيها ، فنظرت بتعجب وغاب عنها الضحك وخيم عليها القلق والتوتر بعدما أدركت أن أبسل ليس بجوارها .

من ثم بدأت تتكلم بصوت أكثر حزمًا :

-أبسل، أخرج من تحت المياه، لا يتطلب المزاح أن تجلس كل هذه المدة تحت المياه من أجل مقلب .

ولكن لا رد ، والدغدغة توقفت بمجرد ما فتحت عينيها .

بدأت تشعر بالقلق لأنها لم ترَ أبسل، قررت أن تقوم بالغطس كي تطمئن عليه .

ها هي تغطس وتنظر في عمق البحر ولكن لا وجود لأبسل .

ها هي فريدة تلتفت في كل الاتجاهات عسى أن تجد أبسل، تنظر بعين يسيطر عليها القلق، ولكن سرعان ما تتحول نظرة القلق إلى طمأنينة بمجرد ما نظرت جيدًا في القاع ووجدت طحالب بحرية فعرفت أنها السبب في دغدغتها؛ لأنها غطست هي وأبسل في مكان بعيد عن الشاطئ الذي يملأ قاعه الحصى والرمال الحمراء .

ولكن عادت من جديد للقلق وتمتمت بداخل نفسها وهي تهم بالصعود لسطح البحر كي تتنفس:

-ولكن أين أبسل . . . ؟ !

ولكن قبل أن تصل للسطح، ها هي تشعر أن هناك شيئًا قد أمسك بقدمها .

ها هي تحاول أن تخرج أنفها فوق سطح البحر كي تتنفس وهي تقوم بجذب قدمها بكامل قوتها ولكن بلا جدوى.

أدركت أن الطحالب هي التي تشابكت برجلها ، ولكنها تحاول أن تفك هذا التشابك ولكن لم تستطع .

بدأت الحيرة تسيطر عليها : كيف لنباتات بحرية أن تكون بكل هذه القوة ؟ فقررت الغطس من جديد كي تفك هذا التشابك بيدها ، ولكن بمجرد ما نظرت للأعماق

صعقت من هول الصدمة وصارت تصرخ صرخات مكتومة تحت المياه، مما صدر عن هذا الكثير من الفقاقيع المحملة بصرخاتها .

رأت أبسل يمسك رجلها ويسحبها لأسفل .

كان أبسل ذا بشرة رمادية أشبه بالأموات، كان نصف جسده مدفوناً تحت قاع البحر ونصفه العلوي فوق القاع، ويمد يده بكامل قواه كي تنجذب إليه وهو يضحك ضحكة هستيرية مما برزت عنها أسنانه الصفراء الحادة .

ها هي فريدة تقوم ولكنها تنجذب نحوه أكثر وأكثر، وكلما تقترب أكثر للقاع يختفي جزء من جسد أبسل تحت قاع البحر .

ها هي فريدة تحاول أن تركل رأسه بقدمها كي يفلت قبضته ولكن بلا جدوى، ها هو جسد أبسل اختفى تحت القاع، وها هي قدم فريدة لامست رمال القاع وما زالت قبضة أبسل تسحبها من أسفل رمال القاع، وكأن رمال هذا القاع رمال متحركة تسحب من يلمسها .

فريدة تصرخ لأنها أدركت أنها ستموت في كلا الحالتين، سواء مدفونة تحت قاع البحر أو بسبب عدم تنفسها .

ها هي فريدة أوشكت على فقدان وعيها ولكنها ما زالت تقاوم بوهن، ولكن فجأة رأت من علٍ يدًا تمتد لها ولحقت هذه اليد جسد يغطس لها، ولكن فريدة أغمضت عينيها . . .

ها هي فريدة تخرج لسطح البحر وهي في حضن أبسل .

أبسل قلق عليها ويحاول إفاقتها، يضرب خديها وينادي عليها بخوف:

–حبيبتي، فريدة، أرجوكِ ردي عليّ .

ولكن لا يوجد رد، بدأ القلق يسيطر عليه وبدأ في البكاء، ومن ثم حاول أن يقوم بعمل تنفس صناعي لها، ومن ثم تمتم باكيًا مثل الطفل التائه الذي لا يدري كيف يعود لأمه من جديد :

–أرجوكِ يا حبيبتي، ردي، لا أستطيع أن أراكِ هكذا .

فريدة . . . أرجوكِ يا فريدة، أرجوكِ . . .

ها هو يصرخ باكيًا كي يلاحظه أحد :

–النجدة، ساعدوني، أرجوكم، معي حالة غرق هنا، النجدة . . .

ولكن سرعان ما قطع صراخه وعاد لكي يقوم بعمل تنفس صناعي لفريدة، وسرعان ما سمع صوت سعالها .

هنا توقف عن البكاء وبدأت الطمأنينة تجتاح ملامح وجهه .

ها هي فريدة تسعل بقوة وتفتح عينيها بوهن غير مدركة ما يحدث، ولكن بمجرد أن أدركت وفتحت عينيها جيدًا، أزالت يد أبسل من حولها وابتعدت عنه قلقة ونظرت له نظرة كره .

من ثم نظر لها بقلق وهو يقترب منها، وقبل أن ينبس ببنت شفة أوقفته صارخةً:

-ابتعَد عني . . . لا تقترب مني نهائيًا، أتفهم . . . ؟

من ثم شرعت في السباحة، اتبعها أبسل إلى أن وصل إليها وأمسك يدها ولكنها أزاحت يده بقوة وكره إلى أن وصلت للشاطئ .

اتبعها غير فاهم ينادي عليها :

-فريدة، لِمَ تعاميلني هكذا . . . ؟ فريدة، ردي عليّ، أنا أتحدث معكِ . . . !

ها هي فريدة تمشي بسرعة ولكنه أوقفها صارخًا بها بغضب وهو يوقفها :

-قلت لكِ ردي عليّ .

هنا نظرت له فريدة بكره وقالت بابتسامة متهكمة:

-ها قد بدأ يظهر وجهك الحقيقي . . .

لم تكمل كلامها لأن أبسل استشاط غضبًا وقال لها:

-أي وجه تتحدثين عنه . . . ! أنا قمت بإنقاذكِ وفي النهاية لا تريدين أن تردي عليّ حتى و . . .

قاطعته فريدة بغضب خالطه التهكم وهي تهم بالتحرك:

-آه، تقوم بإنقاذي بعدما أغرقتني . . .

صار أبسل يمشي بجوارها ويجاري سرعتها وينظر لها بنفاد صبر:

-ولِمَ أنقذك ما دمت أريد أن أغرقك . . . ؟ !

لم تنظر له فريدة وقالت له بضجر:

-اسأل نفسك .

من ثم زادت من سرعتها ، وأبسل لم يتبعها ولكن قال لها بصوت عالٍ سيطر عليه الغضب:

-أنتِ مجنونة يا فريدة، مجنونة مثل مرضاكِ يا مريضة .

عادت فريدة إلى بيتها ، صعدت وتحممت كي يسترخي جسدها ويرتاح عقلها بنزول قطرات الماء على رأسها ، ذلك الماء أشبه بحبات المطر المنهمر الذي يقوم بإزالة الطبقة الخارجية من الصخور وتركها لامعة مصقولة، فالماء الآن قادر على إزالة طبقة الإجهاد والتعب والحزن الذي قد ران على عقلها .

ها هي انتهت من حمامها الدافئ ولم ترتد سوى روب التجفيف وقامت لَفّ شعرها بمنشفة .

تمتمت في قرارة نفسها أن تقوم بتجفيف شعرها وهي أمام مرآتها ولكن بمجرد أن قامت بنزع المنشفة من على رأسها شعرت أن ما تبقى من قواها التي ادخرتها قامت باستخدامها في نزع المنشفة عن رأسها ، لذا قررت أن تتحامل على نفسها وتسحب أقدامها إلى أن تصل للسرير ونامت ملقاة مثل القتيل بروب التجفيف وغاصت في ذات اللحظة في نوم عميق .

إن هذا هو حال أي أحد بعد يوم من السباحة، فما بالك هي التي مرت بموقف مفزع قد أوشك على نزع روحها من جسدها .

مر وقت وما زالت فريدة مثل ما هي لم تغير وضع نومها حتى، ما زالت نائمة على بطنها فاتحة أحد ذراعيها كأنها تعانق السرير كي تكسب منه بعض الدفء والحنو والطمأنينة.

واليد الأخرى بجانبها، أقسم أنها سوف تقوم متألمة وجسدها متكسر من هذه النومة التي تشبه نومة سكان الفضاء لا نومة بني آدم.

أترون معي ملامح وجه فريدة بدأت تتغير، ها هي تحرك أنفها كأنها تشم شيئًا، ولكن من ملامحها يبدو أنها ليست رائحة جميلة، ها هي فريدة تفتح عينيها وتحاول أن تقوم وتجلس على السرير وظهرها لنا، تحاول أن تحرك رأسها من اليمين موضع نومها إلى الأمام، ولكنها حركت رأسها بألم رهيب بسبب ثباتها على نفس الوضع.

التفتت وهي تشم كي تعرف سبب هذه الرائحة، ولكن بمجرد أن التفتت صدمت، بل صرخت وأخذت وسادتها وهرعت سريعًا تجاه الأريكة الموجودة بجوار الجدار، كانت هذه الرائحة رائحة حريق، ولكنه لم يكن حريقًا عاديًا، بل كان أبسل هو الذي يحترق، وبالأخص شعره، ها هي فريدة في ثانية كانت أمامه

ووضعت الوسادة على رأسه كي تطفئ النار التي نشبت في شعره، وهي تنفخ في الشمعة المجاورة لأبسل .

ولكن في ذات اللحظة شعرت أن يد أبسل تدفعها ، وبسبب هذه الدفعة لم تكن فريدة تحسب حسابها فسقطت، فجأة رأت أبسل أمامها يقف وكل ملامح الغضب سيطرت على وجهه برغم أن إضاءة الغرفة ضعيفة لا يوجد بها سوى شمعة واحدة، قطع شرودها في ملامح أبسل الغاضبة صوت أبسل الذي صاح بحزم:

-هل فقدتِ عقلك يا فريدة، كثرت اتهاماتك ولم أعتب عليكِ، قلت أنكِ مضغوطة متوترة أو أي جنان من جنان البنات ذا ، ولكن يصل جنونكِ أن تخنقيني وأنا نائم . . . !

هنا حركت فريدة جسدها فسندت ظهرها على السرير من ثم نظرت لأبسل غير مصدقة وأردفت:

-أقسم لك إن شعرك كان يحترق وأنا أردت أن أساعدك .

أمسك أبسل بشعره وقد جن جنونه وقال بنفاد صبر:

-هل هذا شعر محترق ها ، كيف جاء في بالك أن يحترق شعري ولا أشعر به، قولي لي كيف . . . ؟ !

تنفست فريدة الصعداء ونظرت للأرض وقالت بنفاد صبر:

-لا أدري، كل ما أعلمه أن نومك ثقيل، وفي كل الحالات كانت نيتي خيرًا أن أساعدك .

هنا تنفس أبسل بعمق كي يهدأ وازدرد ريقه واقترب من فريدة وها هو يهم بالجلوس بجوارها ، وبمجرد ما لمس يد فريدة، أبعدت فريدة يده عنها وهمت تجاه الشرفة وقالت بصوت مشتت:

-أرجوك يا أبسل، دعني بمفردي قليلًا .

هم أبسل وراءها قبل أن تدخل الشرفة:

-ولكن . . .

بتر عبارته لأن فريدة أغلقت زجاج الشرفة .

وقفت فريدة في الشرفة شاردة في جمال المباني المضيئة من علٍ لأن بيتها على حافة تل، ولكن عينها فقط الشاردة فيما حولها ولكن عقلها شارد فيما يحدث لها .

ها هي تقول في قرارة نفسها :

-ترى ماذا يحدث لي . . . ! هل حقًا أنا فقدت صوابي وصار يخيل لي . . . !

ممكن ولِمَ لا . . . !

دكتور جون حذرني كثيرًا من استخدام جهاز السفر عبر الزمن، ولكني لم أصدق تحذيره، أكيد ما يحدث معي بسبب إرهاقي الشديد لخلايا عقلي السنين الماضية و . . .

فجأة قطع كلامها صوت فتح زجاج الشرفة، التفتت مفزوعة ولكن سرعان ما هدأت بمجرد ما سمعت صوت أبسل وهو يهمس لها :

-سامحيني يا حبيبتي لأني غضبت عليكِ، أدري أنه يجب عليّ أن أقف بجانبك في أصعب حالاتك وألا تكون ردة فعلي هكذا .

طأطئت فريدة رأسها أرضًا وتنهدت قائلة:

-سامحني أنت يا أبسل، لا أدري ما يحدث لي صدقني .

ابتسم لها أبسل وهو يلمس خدها بحنو وأردف:

-لا تقلقي يا عزيزتي كل ما في الأمر أنكِ يجب أن ترتاحي قليلًا وبعد شهر العسل نسافر سويًا للندن وتتابعي مع إيفانا عسى أن نجد حلًا لحالتك تلك .

-ولكني طبيبة نفسية وأعرف حالتي جيدًا .

-وكذلك إيفانا طبيبة نفسية وصديقتك، حتى الطبيب يحتاج لطبيب مثله كي يعالجه ليست بمشكلة .

التفتت له فريدة وسألته:

-هل تظن أني مجنونة . . . ؟

أردف مبتسمًا وهو يقترب منها أكثر:

-لستِ مجنونة يا حبيبتي . . .

ولكن سرعان ما تحولت ابتسامته الرومانسية إلى ابتسامة شر وهم بدفع فريدة من على سور شرفة البيت وقال ساخرًا:

-ولكني سأدفعكِ للجنون .

***

ها هي فريدة تسقط من على سريرها أرضاً ، فيستيقظ أبسل على صوت سقطتها ، فيهرع إليها فزعًا ، وأردف ملهوفاً وهو يقترب إليها :

-فريدة هل أنتِ بخير . . . ؟

مد لها يده ولكنها سندت ظهرها للكومود المجاور للسرير ونظرت له نظرة ريبة ولم تنبس ببنت شفة ولم تأخذ بيده، نظر لها بحيرة بسبب صمتها وأردف:

-فريدة حبيبتي، ردي عليّ . . . ! هل أنتِ بخير . . . ؟ !

شعر أبسل أن فريدة في حالة صدمة فهرع إلى المطبخ كي يحضر شيئاً لها كي تشربه .

ظلت فريدة مكانها تتكلم في قرارة نفسها متعجبة من حالها :

-يمكن ما قاله لي أبسل صحيح، يبدو أن عليّ أن أقابل إيفانا ولنرى ما هو الجديد في حالتي، حتى الطبيب النفسي يحتاج إلى من يفضفض إليه، قد تكون تلك الكوابيس بسبب ضغوطات على عقلي، وعقلي يفرغ هذه الضغوطات على هيئة كوابيس، ولكن تلك الكوابيس قد أهلكتني، أظن أن الفضفضة لن تأكل من روحي هكذا وسوف تريح عقلي بالتأكيد ، يبدو أن أبسل على حق .

ها هو أبسل في المطبخ يعطينا ظهره ويحضر عصيرًا بلهفة وسرعة كي يرجع من جديد لحبيبته، ولكن بمجرد ما التفت فزع، ورسمت على وجهه ملامح الذعر فثبت مكانه لم يحرك ساكنًا .

كانت فريدة أمامه تنظر له بريبة وشك وكره، وفجأة قطع صوتها الصمت الذي حل للحظة:

-ما الذي وضعته لي في العصير . . . ؟

ازدرد أبسل لعابه الذي كاد أن يجف من حلقه وأردف مترددًا :

-أنا ، أنا لم أضع شيئًا .

اقتربت منه فريدة وهي تهم بوضع يدها في جيبه ولكنه منعها وقال لها بحزم:

-قلت لكِ لم أضع شيئًا ، كفي عن جنانك ذا .

استمرت فريدة فيما تسعى إليه وهتفت تحاول وضع يدها في جيبه وهي تقول:

-إذا كنت أنا مجنونة دعني أتأكد من ذلك .

وبالفعل استسلم لها بنفاد صبر وأسى . . .

وهنا كانت الصدمة . . .

لقد وجدت فريدة علبة بيضاء لا تحوي أي اسم وكان بها حبوب، ها هي ترفعها أمام عينيه وكأنها قد وجدت دليل إدانته، وأردفت بحزم وكره:

-ما هذا . . . ؟ قل لي . . . ! صارحني ما هذا . . . ؟ !

أبسل لم ينبس ببنت شفة، ولكن فريدة قامت برمي العلبة على صدره وتركت له المطبخ وهي تهم تجاه غرفتها وهي تقول بصوت عالٍ وغضب:

-كنت أعلم جيدًا أن أحلامي لها أساس ولها معنى ودليل، ولكني لم أنتبه لتحذيرات الأحلام منك .

صرخ بها أبسل وهو يلحقها ووقف أمام باب الغرفة:

-أنتِ مجنونة وتتبعين سبيل الوهم والتخاريف، وهذه الحبوب يا دكتورة فريدة هي حبوب لكي تقلل من الأرق الذي ينتابك هذه الفترة .

ولكن فريدة لم ترد على كلامه وكل ما تفعله أنها تجهز حقيبتها بمنتهى الحزم، ولكن أبسل لم يكترث وكان كل همه أن يوضح موقفه كي يرتاح ضميره:

-بالأمس بعدما تركتني على الشاطئ قررت أن أذهب لطبيب نفسي كي استشيره في حالتك ويكتب لي اسم مهدئ إلى أن ينتهي شهر العسل وتتابعي بنفسك مع طبيب تثقي به .

توقفت فريدة ونظرت له بكره وكأنها لم تحبه في يوم من الأيام، وقالت له وهي تضغط على أسنانها :

-توقف قليلًا عن الكذب، كلامك ذا لن . . .

قاطعها بحزم وهو يقترب منها ويمسك ذراعها كي تنظر له مرة أخرى بعدما انكبت تنظر لحقيبتها وتهم بغلقها ، سحبها بعنف فتحرك شعرها الأسود الحريري على وجهها وقال لها بغضب خالطه الثقة:

-أنا لست بكاذب يا فريدة، أنا أحبك ولكن يبدو أنكِ لم تحبِني ومع أول موقف ويا ليته موقف أنه مجرد شك ها أنتِ ترغبين في هجري .

أزاحت فريدة يده بقوة وأخذت حقيبتها من على سريرها وقامت بسحبها وأعطته ظهرها وقالت بغضب:

-أهجرك لأنك كاذب ومخادع وأنا لا أحب الكاذبين أمثالك .

هتف بها بثقة ونفاد صبر وهو يتبعها وهي تغادر البيت:

-إن كنتِ ترغبين في التأكد من صدق كلامي خذي الحبوب وسوف تتأكدي أنها مجرد مهدئات ولكني استبدلت العلبة كي لا تتعرفين عليها ، وكان لدي أمل أن بانتهاء شهر العسل واستمرارك على هذه المهدئات تكوني بخير و . . .

قطع كلامه صوت ارتطام الباب .

***

الفصل الثالث

العيادة

ها هي وتين تسمع صوت بوابة فيلتها أي أن هناك من دخل، ها هي تلمس سلسلتها ذات الحجر الأزرق فينبثق منه شاشة تختار منه خيار الكاميرات، فيظهر كل أرجاء الفيلا، وهنا تندهش عندما ترى بنتها فريدة في بهو الفيلا، فتهرع خارج غرفتها بلهفة كي تقابلها .

ها هي وتين تقف على الدرج أمام بنتها ، فتقف فريدة أمام أمها وسرعان ما تشيح نظرها عن أمها محاولة الهرب، ولكن وتين تنزل درجتين لكي تقترب من فريدة ولكن سرعان ما تحولت لهفتها إلى قلق وريبة، لم تمنع فضولها من السيطرة عليها فسألتها :

-فريدة . . . ؟ بنيتي . . . ! هل أنتِ بخير . . . ؟ !

أشارت فريدة للروبوت كي يستمر في الصعود كي يضع حقيبتها في غرفتها ، من ثم تنهدت وتمالكت أعصابها وقالت لأمها وهي تهم بالصعود :

-ها أنا أمامك يا أمي وهذا يعني أني بخير .

نظرت لها وتين ووضعت يدها على كتفها كي تمنعها من الصعود وقالت لها بتعجب:

-أمي . . . ؟ أنتِ لا تقولين لي يا أمي إلا نادرًا . . . قولي لي يا بنيتي ما الذي حدث . . . ! وأين أبسل . . . !

نظرت لها فريدة بنفاد صبر من ثم تنهدت وقالت وهي تهم بالصعود متجهة لغرفتها :

-يكفي أرجوكِ . . . ؟ إلى متى ستظلين هكذا . . . ؟ لمَ أنتِ مصرّة على إقحام أنفك في حياتي . . . ؟

ظلت وتين ثابتة في مكانها مصدومة من ردة فعل بنتها ، وشعرت للحظة أن لسانها قد انعقد وبمجرد ما سمعت صوت باب غرفة بنتها عندما قامت بغلقه بقوة اهتز جسد وتين النحيل من قوة الصدمة، وكان هذا الصوت قادرًا على أن يحل عقدة لسانها ويفيقها من صدمتها فأردفت وهي تهم تجاه باب فريدة:

-أقحم أنفي في حياتكِ لأنها حياتي، أنتِ أنا يا فريدة، وفي يوم ستكونين أمًا وسوف تشعرين بما أشعر به .

لم تتلق إجابة من فريدة، شعرت وتين بألم في قلبها من الحزن الذي أصابها، وضعت يدها على قلبها، وجرت قدمها تجاه غرفتها كي تهدأ قليلًا .

فريدة في غرفتها تجلس أمام مرآتها، تنظر لملامحها بعدم استيعاب من ثم تحولت نظرتها لذاتها لنظرة تعجب اختلطت بالكره وهي تتمتم في قرارة نفسها :

-من أنتِ . . . ؟ لمَ صرتِ هكذا . . . ؟ ! هل هذه هي الحياة التي كنتِ ترغبين في بدايتها . . . ؟ يا ترى العيب بهم أم بي أنا . . . ؟

تمسك فريدة رأسها من شدة الألم، ولكن سرعان ما يقطع شرودها صوت ارتطام شيء في نافذة شرفتها الزجاجية، فرفعت فريدة رأسها فنظرت في المرآة فرأت زجاج شرفتها منعكسًا أمامها في المرآة وهناك طائر ناري الريش يحاول أن يرتطم في زجاج الشرفة ولكن بلا جدوى .

ها هي فريدة تلتفت وتنظر للشرفة وتقول في قرارة نفسها وهي تهم بالحركة تجاه الشرفة:

-هل يا ترى هذا واقع أم مجرد هلوسة أو كابوس . . . ؟

ها هي كلما تقترب من الشرفة يقلل الطائر من هياجه ومحاولته في الطيران والارتطام في الزجاج.

من ثم هدأ تمامًا بمجرد أن وقفت فريدة بالقرب من الشرفة، وبعدها رفع رأسه لها بعينين لامعتين مما زرع في قلب فريدة الطمأنينة تجاهه.

نزلت فريدة على ركبتها من وراء الزجاج كي تراه بوضوح، وعندما تأكدت من هدوءه، قامت فريدة بفتح زجاج الشرفة وبدأت تمسح بيدها على ريش هذا الطائر.

رأت فريدة أن هذا الطائر جميل على عكس أي طائر رأته في حياتها لأن به لطافة غير معهودة وغير ذلك أنه لونه برتقالي وهو لونها المفضل.

جلست على الأرض ومدت له يدها فصعد عليها، ها هي تقربه من وجهها، وتحرك خدها على ريش جسمه الناعم وهي تبتسم وهي مغلقة العينين سارحة.

ولكن سرعان ما تفيق من شرودها وتتحول ابتسامتها لملامح ألم بعدما وخزها الطائر بمنقاره في رقبتها ونعق وطار في ذات اللحظة، ها هي فريدة ترفع رأسها وتنظر له وهو يطير في السماء، تنظر له غير فاهمة ما جرى، وتقول في قرارة نفسها:

-لَم يحدث معي هكذا . . . ؟ لمَ الأذى يلاحقني . . . !

ها هي تقوم وتقف أمام مرآتها فرأت ذلك الخدش في رقبتها قامت بتعقيمه من الدم وعلى وجهها ملامح الألم وقامت بوضع ضمادة وهي تتمتم غاضبة وهي تضغط على أسنانها :

-آه كل ذلك منها . . . هي السبب .

خرجت فريدة من غرفتها بغضب واقتحمت غرفة أمها الممددة على سريرها ، وظهرها تجاه فريدة، فقالت فريدة غاضبة وهي تهم بالوقوف أمام أمها من الاتجاه الآخر:

-كل ما يحدث لي بسببك . . .

رفعت وتين رأسها وقالت لها بأسى:

-كيف يا فريدة . . . ؟

أشارت لها فريدة على رقبتها وقالت لها بغضب ولكن ملامحها أخذت ملامح أنها تشاغب أمها :

-لا يوجد مرة أدخل في جدال معكِ إلا وتحدث لي مصيبة .

تحاول وتين النهوض وتسند ظهرها على السرير، من ثم تقول بصوت واهن لا يتناسب مع سنها الذي قارب على الخمسين:

-صدقيني يا بنيتي كل أمنيتي في هذه الحياة أن تكوني بخير وألا يصيبك مكروه.

جلست فريدة أمامها على السرير وهي تنظر بلوم وابتسامة في ذات اللحظة:

-وكيف سأكون بخير ما دمت إن لم أفعل ما ترغبين به تصيبني بلعنتك تلك.

-أقسم لكِ لا أقصد ذلك أبدًا.

أمسكت فريدة يد أمها وقبلتها ونظرت لها بعينين لامعتين:

-آسفة يا أمي لأني انفعلت عليكِ وأنتِ ليس لكِ ذنب فيما أمر به.

وضعت وتين يدها على يد بنتها وربتت عليها وقالت بصوت دافئ:

-وما الذي تمرين به يا حبيبتي...؟

تنهدت فريدة وقالت بنفاد صبر ولكن سرعان ما ابتسمت ابتسامة خفيفة:

-آه منك ومن فضولك يا وتين، ألن تكفي عن استجوابي...!

-لا، بل أريد أن يطمئن قلبي عليكِ.

تضرب فريدة ناصية رأسها بيدها الأخرى وتقول لأمها بلهفة:

-آه صحيح، طمئنيني عليكِ، هل كنتِ تأخذين أدويتكِ أم لا . . . ؟

أشاحت وتين نظرها قليلًا وأردفت:

-بصراحة أغلب الوقت يفوتني موعده لأن . . .

قاطعتها فريدة بغضب وفي ذات اللحظة تلمس حجر خاتمها وتصدر أمرًا من الشاشة المنبثقة كي يحضر الروبوت:

-لماذا تفعلين بي هكذا . . . ؟ لمَ تشغلين بالك بي وتكفين عن الانشغال بنفسك وبصحتكِ . . . ؟

في خلال ثوانٍ كان الروبوت أمامهما ، فلمست فريدة وجه الروبوت فتحولت ملامح وجهه المرسومة على شاشة رأسه إلى عدة إعدادات تقوم فريدة بها وهي تكمل كلامها لأمها التي لا ترد:

-يبدو أن الاعتماد عليكِ في الانتباه لصحتك لا يفيد ، روبوت سوف يعطيكِ الدواء وسوف يرسل لي في حال أخذك للدواء وسوف أراكِ مباشرةً من شاشة الروبوت على شاشة خاتمي، لا مفر يا وتين .

-حسنًا يا فريدة اتفقنا ، ولكن ما الذي حدث معكِ أنتِ لم تكملي بضعة أيام في شهر ال . . .

قاطعتها فريدة وهي تهم بالوقوف:

-مجرد سوء تفاهم بيني وبين أبسل، والبعد أفضل من أن نلتقي ويحدث جدال يزيد الأمر تعقيدًا .

-ولكنكما لم تكملا شيئًا كي تبدأ الخلافات .

بدأت فريدة بالتحرك تجاه الباب وهي تقول:

-هذا ما حدث، لا تشغلي بالك ولا توجعي قلبك بسبب حياتي، كل شيء سيكون على ما يرام .

فريدة وهي عند باب الغرفة تقف بسبب صوت أمها الذي ينادي عليها بلهفة:

-فريدة، إلى أين أنتِ ذاهبةً . . . ؟

التفتت لها فريدة وهي تمسك بالباب وهي تبتسم وتهز رأسها وتقول:

-لا فائدة منكِ يا وتين، أظن أن أنفك ذا خلق كي يتدخل في حياتي وكفى .

ابتسمت لها وتين وقالت لها بإصرار:

-هذا لا يمنع من ردكِ على سؤالي .

-حسنًا لا مفر منكِ، عليّ أن أرد عليكِ لأني أخاف إن لم أرد عليكِ الآن تحدث لي مصيبة وأنا في الخارج.

-الخارج . . . ؟ إلى أين . . . ؟

-سأذهب لأرى احتياجات شقة العيادة أريد أن أبدأ بالعمل كي أشغل عقلي قليلًا .

-سوف أنتظرك على العشاء، لذا لا تتأخري عليّ .

ها هي فريدة في الممر تجاه غرفتها وهي تلمس حجر خاتمها فاختارت من الشاشة المنبثقة جزء غرفة الملابس من ثم قامت بتكبير الشاشة وقامت باختيار سروال أسود وقميص حريري قصير لونه برتقالي كما تعلمون أنه لونها المفضل وحذاء كعب لونه أسود، وبمجرد دخولها للغرفة كانت الملابس جاهزة على السرير ويقف بجوارها الروبوت وعلى وجهه ابتسامة .

همت فريدة بخلع قميصها الأبيض وبمجرد أن خلعته نظرت تجاه شرفتها وتمعنت في النظر فأدركت أن هناك أحدًا أمامها في شرفة الفيلا المقابلة يتطلع عليها ، أدرك أنها رأته فتوتر وفي ذات اللحظة لمست حجر خاتمها وأمرت بإغلاق ستار الغرفة .

خرجت فريدة من فيلتها وتمشي في الحديقة متجهة للباب الخارجي وهي تلمس حجر خاتمها ومن ثم تعدل نظارة الشمس الخاصة بها ، ولكنها تصدم .

فترفع رأسها فترى أمامها خالد ، فتشيح نظرها عنه بسرعة وتهم بلمس خاتمها كي تفتح باب سيارتها ، يوقف حركتها صوت خالد متنحنحًا :

-جئت لكي أعتذر لكِ عن الموقف الذي حدث منذ قليل .

لم تنظر له فريدة وهمت لكي تدخل سيارتها ذات الباب المفتوح لأعلى وقالت:

-لم يحدث شيء كي تعتذر .

همت بلمس زر كي تغلق باب سيارتها ولكن خالد وضع يده فالباب تلقائيًا توقف عن النزول، نظرت له فريدة للحظة بغضب وفي ذات اللحظة أشاحت بنظرها بعيدًا وهي تتنهد وقبل أن تنطق بحرف سألها خالد مستغربًا :

-هل يمكن أن أعرف إن كنتِ تتجاهلين النظر لكل الناس أم لي أنا فقط . . . ؟

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لا، أنا هكذا مع الغرباء عني.

ابتسم لها خالد وقال لها بود:

-ولكن يمكن أن نكون أصدقاء... ها ما رأيك...؟

هزت فريدة رأسها وهي تضغط على الزر مرة أخرى في السيارة كي ينزل الباب وهي تقول:

-حسنًا، ولكن في وقت آخر.

طرق خالد على زجاج السيارة فأنزلت فريدة الزجاج وتنفست الصعداء فابتسم لها متسائلًا:

-هل يمكن أن أعرف إن كان أبسل في الفيلا أم لا...؟

-لا، ليس في الفيلا، ولكن هل تسمح لي بالرحيل؟ لدي عدة أمور يجب أن أقوم بها.

-هل ترغبين بأن أرافقك...؟

خلعت فريدة نظارتها ونظرت له نظرة حيرة صاحبتها ابتسامة وأردفت:

-هل أنت الخجول الذي حكى لي عنه أبسل . . . ؟

ضحك خالد وأردف وهو يرفع حاجبه:

-كل شخص خجول أو منطوٍ هو شخص لم يجد من يرتاح معه، ولكن في حالة أنه وجد من يطمئن إليه يكون شخصًا مرحًا جدًّا .

رفعت فريدة حاجبها وقالت مبتسمة:

-أوه كلام موزون يا دكتور خالد .

ضحك لها خالد وقال بثقة:

-يمكنني أن أبهرك أكثر ولكن اعطني الفرصة .

-حسنًا تشرفت بك يا خالد ، وفي حالة عودة أبسل سوف أخبره بأنك سألت عنه .

ضم خالد شفتيه متحيرًا هل يبوح بما في داخله أم لا . . . ؟ ! هنا أنقذته فريدة من حيرته:

-هل تريد أن تقول شيئًا آخر قبل أن أرحل يا خالد .

ابتسم لها خالد وهو يلف يده في توتر:

-بصراحة، أريد أن أكون معكِ، أساعدكِ .

-ولكن ها هو روبوت معي في السيارة إن احتجت لمساعدة .

فجأة شحب وجه خالد ولكن سرعان ما تداركت فريدة الوضع وقالت بابتسامة:

-حسنًا ، تعال اركب، يبدو أنه صار لي أخ صغير أخيرًا .

ابتسم لها خالد وهمّ مسرعًا بركوب السيارة .

ها هي فريدة بدأت في القيادة، فارتفعت السيارة عن الأرض، وفي لحظات وصلا لعمارة راقية جدًّا، ها هما يصعدان المصعد الزجاجي للدور السابع والعشرين وبمجرد أن وصلا وجدت عدة صناديق وبجوار الصناديق روبوت، انبثقت من عيني أي شاشة رأسه شعاع فحص وجه فريدة وصدر منه صوت "تم التسليم" .

أعطت فريدة أمرًا للروبوت الخاص بها أن يقوم بحمل الصناديق وإدخالها للشقة، ها هي فريدة تصدر الأوامر للروبوت والروبوت يقوم بتنفيذها وكذلك هي وخالد يقومون بتعديل بعض اللمسات وهما يبتسمان لبعضهما البعض .

مجرد عدة ألواح زجاجية في عرض اللاب توب يتم فتحها وترتيبها فتكون في النهاية طاولة وباستخدام جهاز التحكم يمكن تغيير لونها أو حتى أشكالها على حسب

الحالة المزاجية، وكذلك تلك مجرد كرة مطاطية يتم فتحها ويقوم الروبوت بملئها بالهواء فتتحول إلى أريكة جلدية مريحة، مجرد جهاز دائري ذي أربع كاميرات واحدة في كل اتجاه، ولكنها ليست بكاميرات بل ينبعث منه لوحة على كل جدار أو الزاوية التي يرغب بها المرء، ها هي فريدة تقوم بالتبديل بين اللوحات العالمية الشهيرة التي تظهر على الحائط الذي أمام مكتبها، لم يعجبها أغلب اللوحات ولكن فجأة ظهرت أمامها لوحة تحولت بسببها ملامحها من ضجر وملل وعدم الرضا إلى الدهشة، هنا قطع خالد شرودها متسائلًا:

-هل أعجبتك تلك اللوحة يا فريدة...؟

هزت فريدة رأسها معلنة إفاقتها من شرودها وقالت:

-آه، نعم، أعجبتني ولكن...

رجعت مرة أخرى تتأمل في الصورة المنبثقة على الجدار بتقنية أقرب للحقيقة يكاد المرء منا في عصرنا ذا يشعر أنها حقيقية من شدة انبثاقها خارج الجدار لا موجودة عليه فقط، من ثم تمتمت فريدة لخالد وهي تقترب من اللوحة:

-أعجبتني ولكن ذلك الطائر لقد رأيته...

قاطعها خالد ضاحكًا:

-أكيد في الأحلام يا فريدة.

التفتت له فريدة مصدومة وأردفت:

-كيف عرفت أني أراه في أحلامي...؟

أردف خالد منتهى الثقة وهو يستند على المكتب الزجاجي:

-لأنه طائر أسطوري، لا وجود له في الواقع.

نظرت له فريدة غير مستوعبة وقالت بتعجب:

-ولكني رأيته في الواقع مرتين.

نظر لها خالد غير مصدق وسألها:

-رأيتِ طائر الفينيق في الواقع...!

التفتت فريدة مرة أخرى للصورة وقالت له بحيرة:

-بصراحة أنا لا أعلم اسمه حتى، ولكن للحق الذي رأيته كان مثل الطائر الموجود في اللوحة تمامًا ولكن الفرق أن في الصورة عملاق جدًا بينما في الواقع هو بحجم النسر تقريبًا.

من ثم التفتت فريدة لخالد وسألته:

-هل أنت تحب الطيور . . . ؟

-يعني إلى حد ما . . . لا أستطيع أن أقول لكِ إنني ملم بكل شيء عن الطيور لأن هذا سيكون غروراً مني، كما تعلمين أن الدنيا بها الكثير من العلوم وكل علم ما هو إلا بحر مهما حاول المرء أن يجترع منه لا يستطيع أن يأخذ منه إلا القليل، وكاذب من يقول لكِ إنه ملم بعلم ما ، لأن مهما ذهب المرء للبحر استحال أن يرجع منه ممتلئًا بل سيظل دائمًا عطشان، وقد ينفد عمر المرء ولا ينفد بحر العلم أبدًا .



طائر الفينيق {العنقاء}

ابتسمت له فريدة، وأخذت تكمل أوامرها للروبوت بوضع تلك الكرة المطاطية لكي يتكون شيزلونج "الكرسي الذي يتمدد عليه المريض في العيادة النفسية"، وكذلك يضع تلك الشريحة المطاطية على أماكن معينة على كرسي مكتبها أو الكرسي المجاور للشيزلونج، ويقوم بتعبئتها بمجرد لمسة فتتحول إلى وسائد جلدية مثبتة على الكراسي الزجاجية.

ها هي فريدة وهي تتابع لمسات الروبوت تتابع حديثها مع خالد وهي تقول بابتسامة:

– حسنًا يا خالد، أحببت تواضعك، ولكن هل يمكن أن تخبرني بما تعلمه عن ذلك الطائر، أو كما تقول الأسطورة؟

أخذ خالد يتبعها حيث تذهب ويحكي لها:

– هذا طائر الفينيق أو كما يقولون عنه طائر العنقاء كان...

التفتت فريدة فجأة ونظرت للوحة وقالت بتردد فقاطعت كلام خالد:

– ولكن يا خالد، أشعر أن الصورة غير ملائمة في العيادة.

بتر خالد كلامه بعد ما قاطعته فريدة بجملتها وهي تبدل بين اللوحات، وبعد ثاني لوحة توقفت وقالت بلهفة وهي تلتفت لخالد :

– أوه، كم أحب هذه اللوحة إنها لوحة "قيظ يونيو" .

ابتسم خالد وقال لها :

– إنها لتحفة فنية للفنان البريطاني "فريدريك ليتون" .



لوحة "قيظ يونيو" بريشة الفنان "فريدريك ليتون"

فريدة نظرت له بدهشة ومن ثم ابتسمت:

-يبدو أنك لست سهل يا خالد برغم صغر سنك .

-لست صغير كما تتوقعين، ولكن كل ما في الأمر أن هذه اللوحة من أهم لوحات العصر الفيكتوري، ذات تركيبة عبقرية من حيث الانسجام بين الألوان بين الثوب البرتقالي "الزعفراني" الشفاف الذي ترتديه الفتاة الحسناء، حيث أن فريديك ليتون قام بلمسة مختلفة بأنه لم يتبع خط رسم النساء العاريات، ولكن رسم تلك الشابة التي يُذكر أنها كانت الموديل الخاصة به التي شاركت معه في عدة أعمال وكانا سوف يتزوجان ولكن لم يكتمل الأمر .

تنظر له فريدة وتبتسم وهي تهم بالجلوس على الكرسي المجاور للشازلونج، فابتسم لها خالد وقال بإحراج:

-أعلم إن هذا ليس موضوعنا .

ضحكت فريدة وقالت ساخرة:

-يبدو أن الفتاة الحسناء أعجبتك بشدة لدرجة أنك أحببت أن تعرف قصة حياتها .

ضحك خالد وأكمل بمنتهى الثقة كي يتجنب إحراج فريدة له:

-وجود دورثي دين في هذه اللوحة هي رمز للإغراء المتستر وراء ذلك الثوب الشفاف، والتناغم يزيد بين اللون البرتقالي النابض بالحياة مع اللون الأزرق المنعكس من البحر في الخلفية وعليه بعض التلألؤ بسبب أشعة الشمس .

قاطعته فريدة وقالت بثقة وهي تبتسم:

-ولا تنسَ اللغز المحير في الصورة .

هز خالد رأسه بثقة وقال ضاحكًا في نفس الوقت الذي قالت فيه فريدة:

-زهرة الأولياندر .

ضحكا الاثنان سويًا لأنهما قالا نفس الكلمة في ذات اللحظة .

همت فريدة هي وخالد وتأملا اللوحة وقالت بحيرة وهي تبتسم:

-وما رأيك بخصوص هذه اللمسة يا خالد . . . ؟ إلى أي رأي تميل أكثر . . . هل الزهرة زادت من جمال اللوحة بما إن زهرة الأولياندر هي رمز للإغراء أم تميل إلى رأي أن هذه الزهرة سامة فوجودها في هذه اللوحة يجعلنا لا نثق في هدوء الجميلة النائمة بل علينا أن نشك بها بأنها أنثى قاتلة ؟

ابتسم لها خالد ونظر لها وقال ضاحكًا كأنه يأخذ حذره من عدوه الذي يريد أن يمكر به:

-آه إنه لسؤال ثعباني ماكر، لن أجاوب عليه يا فريدة.

ضحكت فريدة وسندت نفسها على المكتب وواجهت خالد وقالت له بحيرة:

-ولِمَ لا يا خالد . . . ؟

سند خالد نفسه على المكتب بجوارها وهو يهز رأسه ناكرًا:

-لا لن أجاوب، لست مجنوناً كي أجاوب عليكِ، منذ قليل كنت أصف حال الصورة فاتهمتني أني اتبعت خط حياة دورثي دين.

وأنا أعرف تحليلك لأجوبتي في كلا الحالتين، في الحالة الأولى إذا قلت لكِ إن زهرة الأولياندر هي رمز للإغراء وزادت من جمال اللوحة التي تزينها الجميلة النائمة ذات الثوب الشفاف الزعفراني سوف تقولين عني شهواني.

التفتت له فريدة ونظرت له وهي ترفع حاجبها وتبتسم، فأكمل خالد كلامه:

-لا تضحكي عليّ يا فريدة انتظري سوف أكمل لكِ، وإذا قلت لكِ إن هذه الزهرة سامة فهذا يدل على ألا ينخدع المرء في جمال النساء لأن في النهاية سوف يؤدون به

إلى الهاوية، إذا قلت لكِ ذلك ستقولين عني أني رجعي كيف لي أن أظن في المرأة هكذا، وإذا صدقت هذا، فهذا يدل على أني أصدق أن حواء هي سبب خروج آدم من الجنة، وابنتها هي السبب في أن قابيل يقتل هابيل، وباختصار أن المرأة هي أساس كل الشر، لذا لن أقول رأيي.

ضحكت فريدة وهمت تتحرك وتتابع اختيار الأوامر من الشاشة التي انبثقت عندما لمست حجر خاتمها عندما همت بالحركة خارج الغرفة وهي تقول وهي تضحك:

-حسنًا يا خالد يا لئيم.

اتبعها خالد وقال لها بتسامة وهو ينظر لها وهي بجواره في ردهة العيادة:

-لست لئيمًا أقسم لكِ.

قالت فريدة بثقة وهي تختار الترتيب المناسب لحجرة الاستقبال:

-للعلم أنا طبيبة نفسية، يعني إذا أحببت أن تحكي عن أفكارك، ميولك، رغباتك الدفينة أو ما يتعبك سوف تجدني معك، لذا لا تخبئ عني شيئًا.

أمسك خالد ذراعها ولكنه تردد في ذات اللحظة فترك ذراعها وهو يقول لها وهي تواجهه:

-بالعكس هذه أول مرة أفتح قلبي هكذا وأتحدث مع أحد ، أشعر أني أعرفكِ منذ زمن .

ما زالت تنظر له فريدة بشرود بعد ما أمسك ذراعها ولكنها أفاقت من شرودها وقالت وهي تبتسم:

-وأنا أيضاً أحببت الحديث معك .

ولكن سرعان ما ابتسمت وسألته:

-هل أنت من النوع الخجول . . . ؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها :

-ولِمَ استنتجتِ هذا . . . ؟

-لأن وجهك اكتسب حمرة بمجرد أن لمست ذراعي بالرغم من أننا اتفقنا أنك أخي الصغير .

-أوه، لا أدري حقاً .

أشاحت فريدة نظرها عنه لوهلة كي لا تحرجه، ولكن عندما نظرت لشاشتها المنبثقة من حجر خاتمها انتبهت للوقت، فتحولت ابتسامتها إلى ملامح الجد وقالت لخالد:

-يجب أن أعود للبيت، أمي تنتظرني على العشاء.

ظل خالد شاردًا قليلاً، لم تفهم فريدة ماذا يريد فقطعت الصمت الذي دام للحظة وقالت بمجاملة:

-ما رأيك أن تأتي لتتناول معنا العشاء وتتعرف على أمي...؟

ابتسم لها خالد وقال:

-أوه، لن أستطيع، ولكن يمكن أن أمر عليكم بعد العشاء.

ابتسمت له فريدة وفي قرارة نفسها قالت:

-أوه، يبدو أنه أعجبه الصحبة، ولكني أرغب أن أرتاح.

هنا قطع خالد شرودها وقال لها بلباقة:

-هذا في حالة إن كنتِ بحالة مزاجية جيدة يمكنكِ التأكيد عليّ برسالة، بينما إذا أردتِ أن ترتاحي فسوف نعوضها في يوم آخر.

هنا ابتسمت له فريدة ابتسامة، وفي عينيها لمعت لمعة التوتر، وقالت في قرارة نفسها:

-وكأنه سمع ما يجول في خاطري.

ولكن سرعان ما تحولت نظرتها إلى نظرة طمأنينة وهي تهم بالحركة كي تقلل من توترها وأكملت في قرارة نفسها:

-أو يمكن أنه شاب يفهم في الذوق.

قطع شرودها خالد بصوت هادئ:

-هل تسمحي لي أن أكون معكِ في طريق العودة، صدقيني أنا ارتحت كثيرًا للحديث معكِ.

بمجرد أن وصلت فريدة أمام بيتها وخرجت من سيارتها هي وخالد، سرعان ما رأت أبسل أمامها.

نظر لهما أبسل مبتسمًا ولكن فريدة مرت بجانبه من دون أن تنظر له أو تبدي أي تعبير على وجهها، ولكن سرعان ما صاح أبسل مرحبًا بخالد:

-أهلًا أهلًا يا خالد، يبدو أنك خرجت من قوقعتك أخيرًا.

ابتسم له خالد وهو يمد له يده بالسلام:

-أهلًا يا أبسل، سررت بعودتك يا عريس .

ضحك له أبسل وهو يهمس له:

-لا تذكرني بأني عريس، يبدو أن شائعة الجواز تدمر كل شيء جملة حقيقية .

نظر له خالد مبتسمًا وأردف:

-لماذا تقول ذلك يا رجل . . . ؟ إن فريدة يتمناها كل من يراها .

نظر له أبسل متعجبًا من ثم ابتسم وقال:

-يبدو أنها صارت صديقة لك كي تكون في صفها .

ضحك خالد وهو يدلف لحديقة الفيلا مع أبسل:

-صدقني يا صديق، أنتما الاثنان فرقتما في حياتي بشكل كبير ودخلتما قلبي سريعًا، لذا أنا في صفكما لا أنحاز لأي منكما .

-خير ما فعلت يا صديق، ولكن نصيحتي لك ألا تغلط غلطتي وتتزوج، صدقني كل شيء كان جميلًا قبل اتخاذ هذا القرار .

نظر له خالد بحيرة وقال له:

-أي قرار . . . ؟

ضربه أبسل ضربة خفيفة على كتفه مداعبًا إياه مبتسمًا وأردف:

-قرار الزواج يا خالد ، أين عقلك يا صاح . . . !

ابتسم له خالد محرجًا وهو يضرب جبهته بكف يده، ولكن سرعان ما أكمل أبسل ممازحًا إياه:

-يبدو أنك جائع يا صديق، لذا هيا أدخل معي، نتعشى سويًا ونسهر، ها ما رأيك . . . ؟

وضع خالد يده على صدره مبتسمًا وهو يمد قدمه متجهًا للخارج وبذوق قال:

-لا يا أبسل، تعوض في مرة أخرى، ارتح أنت اليوم .

-أقسم لك سوف تقضي سهرتك معنا ، أنا أقسمت .

ابتسم له خالد وأردف:

-حسنًا يا صديقي ولكن لا تعتاد أن تقسم هكذا ، لا تورطني معك .

ضحك له أبسل وقال بثقة:

-أنا أخوك الكبير، اسمع كلامي من دون أن تضطرني أن أقسم، اتفقنا . . . !

-اتفقنا . . . وهل أقدر أن أقول لك شيئًا غير هذا .

وضع أبسل يده على كتف خالد وقال ضاحكًا:

-آه، الآن فهمتني يا خلّود .

من ثم دلفا للفيلا ودخلا غرفة الطعام وجلسا على المائدة، من ثم دخلت وتين مرحبة بالضيف:

-أهلًا أهلًا، لدينا ضيف .

من ثم عندما ركزت في ملامح خالد تحولت ملامحها من الترحيب والابتسامة إلى حيرة من ثم أشارت لخالد وأبسل وقالت متسائلة وهي تهم بالجلوس على الكرسي الأساسي للمائدة:

-هل هو من أقاربك يا أبسل . . . ؟

ابتسم لها أبسل وقال بثقة:

-آه، إنه أخي .

هزت وتين رأسها وقالت بثقة:

-صحيح أخوك لأنه يشبهك كثيرًا .

وكزه خالد في ذراعه وهو يضحك، فنظرت لهما وتين وسألتهما بابتسامة:

-ماذا بكما يا شباب . . . ؟ شاركاني ما يضحككما .

هنا همّ خالد بالحديث:

-أنا خالد . . .

ولكنه لم يكمل كلامه لأن فريدة قد دخلت الغرفة مقاطعة كلامه وهي تهم تجاه مقعدها المقابل لمقعد أبسل وقالت بثقة خالية من المزح:

-إنه خالد يا وتين، خالد جارنا .

نظرت وتين بحيرة وابتسمت لأبسل الذي يضحك لها وقالت:

-حيرتموني معكم يا شباب . . . !

توقف أبسل عن الضحك وقال بجد وهو يبتسم ويمسك يد وتين:

-أمزح معكِ يا توتة . . . ما قالته فريدة صحيح، ولكن قولي لي أليس خالد يشبهني . . . ! ؟

ألقت وتين نظرة على كليهما وقالت بابتسامة وهي ترفع كلا حاجبيها :

-يشبهك بشدة .

داعبها أبسل وهو يدغدغها في جانبها وأردف ساخرًا:

-لا يشبهني بفتحة.

ضحكت وتين وقالت بضيق:

-أرحمني يا أبسل من مزحك الثقيل ذا.

تصنع أبسل الحزن بمبالغة وأردف:

-مزحي ثقيل، ولكن أمي كانت تقول لي أني حلو مثل الشربات في القلب والقالب.

تمتمت فريدة بصوت خفيض وهي ترفع شفتها معترضة:

-القرد في عين أمه غزال.

هنا نظر لها أبسل متعجبًا أنها أخيرًا نطقت بكلمة له، ولكن سرعان ما تمالكت وتين الموقف وهي تمسك بيد أبسل كي تقلل من إحراجه:

-بل الحقيقة أن أبسل جميل في كل شيء، أنتِ محظوظة لأنه لكِ.

مضغت فريدة تلك اللقمة التي كانت في فمها وهي تنظر لهما غير معجبة بما يحدث، من ثم قالت وهي تهم بالوقوف:

-حسنًا، اعتبريني تركته لكِ ولكِ مني عليه قبلة.

من ثم طبعت قبلة على خد أمها بحزم وقوة وهمت خارجةً، نظرت لها وتين بحيرة واتبعتها بعينيها من ثم التفتت إلى أبسل مستغربةً مبتسمة:

-ماذا يجري يا شباب . . . ؟ أكيد كل شيء يحدث من الصباح مع فريدة مجرد مزح . . . أليس كذلك . . . !

رسم أبسل ضحكةً على وجهه وقال:

-أكيد يا أمي نمزح معكِ .

من ثم ألقت نظرة على خالد الذي لا يضع منطقًا وقالت له:

-خالد يا بني . . . أنت لم تأكل شيئًا ولم تتكلم حتى .

همّ خالد موضحًا مبتسمًا بعد أن فاق من شروده وترك الشوكة التي في يده:

-لا بل أنا . . .

قاطعه أبسل موضحًا لوتين:

-القصة وما فيها يا أمي أنه خجول بعض الشيء .

نظرت له وتين بحنان وأردفت:

-خذ راحتك يا خالد ، ومن الآن اعتبرني مثل أمك، أوه كم أنا محظوظة صار لدي ولدان .

هز خالد رأسه وأردف:

-هذا شرف لي يا أستاذة وتين .

وكزه أبسل وقال له هامسًا :

-قالت لك إنها تعتبرك ابنها يا صاح . . .

تنحنح خالد عندما نظر لوتين فرآها تبتسم له:

-حسنًا يا أمي .

تناولت وتين لقمة أخرى من ثم همت واقفةً وهي تبتسم وأردفت:

-سوف أترككك على راحتك أنت وأبسل هذه المرة، ولكن المرة القادمة لا تخجل مني، أنت في بيتك .

بمجرد خروجها أكمل أبسل أكله ولكنه تحير من خالد الذي يمسك الشوكة فقط ولا يأكل، فسأله مستغربًا :

-ماذا بك يا صاح. . . ؟ قلت إن الخجل هو الذي يمنعك من الأكل، ها لِمَ لا تأكل الآن. . . ؟ هل تعتبرني غريبًا أيضًا . . . !

هز خالد رأسه نافيًا وهو يبتسم قائلًا :

-لا يا صاح، كل ما في الأمر أني آكل طعامًا مخصوصًا ، لأن أغلب الطعام يسبب لي حساسية .

زفر أبسل من ثم هز رأسه مستغربًا :

-أوه، أنت غريب يا خالد ، ولكن لا يهمك يا صاحبي، قل لي ما يناسبك ونجهزه لك مخصوص .

-يكفيني وجودي معكم، لا تشغل بالك بأكلي .

اكتفى أبسل من الأكل وهمّ واقفًا وقال بحماسة:

-حسنًا يا خالد ، هيا بنا نجلس في غرفة الضيوف قليلًا .

هز خالد رأسه موافقًا .

ها هما يدخلان غرفة الجلوس، كانت فريدة تحتسي كوب القهوة سريعة التحضير وبجوارها أمها تحتسي فنجان قهوة وهي تهمس لها ضاحكةً:

-كم أنتِ محظوظة به يا فريدة .

وفريدة تجاريها بضحكةً خفيفة ولكن سرعان ما يبتران حديثهما بدخول خالد وأبسل الذي همّ عائداً للمشاغبة:

-آه، إذا حضرت الشياطين كفت الملائكة عن الحديث .

نظرت له فريدة بعناد :

-حمدًا لله أنك تعرف نفسك جيدًا .

أشار أبسل لوتين مشهدًا إياها وهو يهم بالجلوس مقابلًا أيهما :

-ها أيرضيكِ يا وتين ما يحدث . . . ؟

وكزت وتين فريدة وقالت له مبتسمة:

-لا يا بني لا يرضيني ولكنها تمزح معك .

هز أبسل رأسه موافقًا من ثم نظر لهما جميعًا ، وقال بحماسة:

-ها ما رأيكم أن نسهر على فيلم رعب جديد . . . ؟

همت وتين واقفة وسحبت أبسل من يده وجعلته يجلس بجوار فريدة ومن ثم أخذت يده ووضعتها على كتفها وقالت بابتسامة:

-قم باختيار برنامج السهرة على مزاجك ولكن أظن أن الوضع هكذا أفضل .

من ثم سحبت يد خالد وأجلسته بجوار أبسل ومن ثم جلست بجوار فريدة من الاتجاه الآخر وهمست لها :

-أليس هكذا أفضل يا ريدا . . . ؟

تمتمت لها فريدة وهي تنظر لها نظرة أن ليس في يدها حيلة:

-وهل أقدر أن أقول عكس ذلك .

ضحكت لها وتين ومن ثم طلب أبسل الروبوت من خلال صوته لخاتمه، ومن ثم اختار أن يقوم بعرض فيلم رعب عن مصاص دماء .

هم خالد واقفًا أول ما سمع اقتراح أبسل وأردف بتردد :

-اعذروني يا جماعة ولكني لا أحب هذه الأفلام .

سحبه أبسل من يده وقال له ممازحًا :

-أجلس يا رجل لا تكن جبانًا ، وإن خفت كثيرًا يمكنك أن تبيت هنا الليلة .

ابتسم له خالد وقال له:

-كف عن مزحك يا أبسل ليس الأمر كذلك ولكن . . .

سحبه أبسل بقوة وأجلسه وأردف بإصرار:

-أجلس يا رجل، ها ولا تنسَ اتفاقنا أنا أخوك الكبير اسمع كلامي.

بالفعل جلس واستمتعوا بالفيلم، ولكن في منتصف الفيلم نامت وتين ومن ثم بعد قليل ومض خاتم أبسل ذو الحجر الأحمر القاتم فأنزل يده من على كتف فريدة، فنظرت له بحيرة متسائلة ولكنه رد عليها هامسًا قبل أن تتكلم:

-اتصال مهم يجب أن أرد عليه يا حبيبتي وسوف أعود لكِ.

من ثم طبع قبلة على خدها، ولكن ظلت فريدة تنظر له بحيرة غير منتبهة للفيلم وتقول في قرارة نفسها:

-منذ متى وأبسل يخفي الشاشة المنبثقة من حجر هاتفه التي تعرفني المتصل، منذ متى يُفعِل الوميض فقط...؟

ولكن الفضول زاد في داخلها، فهمت تلحق به تاركة خالد مع أمها النائمة على طرف الأريكة الآخر، ولكن بسبب لهفتها وسرعتها وعدم انتباهها لطريقها ارتطمت بالطاولة الصغيرة الموجودة أمام الأريكة، فوقع كأس العصير الذي كان

يشربه أبسل، فانتبهت له فهمت لكي تلتقط الزجاج بسرعة غير مفكرة في أن تطلب ذلك من الروبوت .

ها هي تلتقط قطع الزجاج من على الأرض بسرعة وبسبب سرعتها ها هي تصدر صوت صرخة سرعان ما كتمتها بسبب إصابتها بجرح في يدها ، هنا همّ خالد مقتربًا منها هامسًا لها :

-هل أنتِ بخير يا فريدة . . . ؟

فريدة تنظر لإصبعها الذي ينزف بشدة ولكن سرعان ما يمسك خالد يدها ويبدأ في مص الدم من إصبعها .

فريدة تنظر له بتعجب ضاحكةً وهي تهمس له:

-يبدو أن الفيلم قد أثر عليك يا خالد .

توقف خالد عن مص الدم من إصبعها وقال مبتسمًا هامسًا :

-لا أبدًا ، كل ما في الأمر أنها طريقة فعالة لوقف النزيف .

من ثم عاد لكي يكمل مص الدم من إصبعها ، هنا مدت فريدة يدها الأخرى على كتف خالد وهي تهمس له:

-خالد هذا يك . . .

ولكن قبل أن تكمل كلامها قاطعها صوت أمها الناعس الذي ينظر لها بعينين ناعستين مستغربة:

-ماذا يحدث يا فريدة . . . ؟

تسحب فريدة يدها بسرعة وتنظر لأمها بتوتر وهي تهم بالوقوف هي وخالد :

-لا شيء يا أمي . . . كل شيء على ما يرام، مجرد كأس كُسر وجرح إصبعي .

في ذات اللحظة دخل أبسل مستغربًا من وقوف خالد وفريدة واستيقاظ حماته فأردف متسائلًا :

-ماذا حدث يا جماعة . . . ؟

التفت له خالد ولكن سرعان ما ردت وتين:

-فريدة سقط منها الكأس وجرح إصبعها .

همّ أبسل تجاه فريدة بلهفة وهو يمسك يدها بقلق وقال:

-دعيني أرى جُرح إصبعك يا حبيبتي . . . ؟

سحبت فريدة يدها بسرعة وقالت بصوت خفيض:

-مجرد جرح بسيط .

هنا قالت وتين وهي تهم من مكانها بتعب:

-انتبهي لنفسك يا فريدة .

نظرت لها فريدة بحيرة وقالت:

-ولكن إلى أين أنتِ ذاهبة . . . ؟ لم يكتمل الفيلم بعد .

ابتسمت لها وتين ضاحكةً وقالت:

-على أساس تابعت منه شيئًا ، أنا كنت مع الملائكة آكل رز بلبن، لذا سوف أصعد غرفتي لكي أكمل باقي طبقي .

ابتسم لها كل من خالد وأبسل وفريدة، ومن ثم برز صوت خالد وهو يقول مستأذنًا :

-أسمح لي يا صديق أن أعود لبيتي الآن .

وضع أبسل يده على كتف خالد وأردف:

-لا يا خالد ، أجلس أكمل معنا الفيلم على الأقل .

-لا، لا أقدر صدقني ولكن أشكرك على هذه السهرة الجميلة .

وهم يسلم عليهما مودعًا إياهما ، ولكن أبسل نظر له ممزحًا إياه:

-خالد ، إن كنت خائفًا يمكنك المبيت هنا ، لا تشعر بالحرج البيت بيتك .

ابتسم له خالد وقال له وهو يضربه ضربة خفيفة على كتفه:

-توقف يا أبسل عن مزحك ذا ، هيا تصبحان على خير .

بمجرد أن خرج خالد سحب أبسل فريدة وجلسا على الأريكة وضمها لحضنه، ولكنها خرجت من حضنه، فسألها :

-إلى متى سوف تبتعدين عني . . . ؟

لم تنظر له فريدة وهمت بسحب منديل من على المنضدة وأردفت وهي تلف المنديل على جرحها :

-أنا لا أبتعد عنك، ولكن أنت تزيد الشكوك حولك . . . ؟

أمسكها أبسل من ذراعها كي تواجهه وقال لها بحيرة:

-أي شكوك يا فريدة . . . ؟ قولي لي ماذا أفعل لكي ترضي عني وأنا مستعد لكي أفعله . . . !

نظرت له فريدة بشك وأردفت:

-لماذا فعلت خاصية الوميض فقط في حجر خاتمك . . . ؟ منذ متى يا أبسل . . . ؟

زم أبسل شفتيه ورفع كتفيه غير فاهمًا :

-وما بها يا حبيبتي . . . ! أنتِ دائمًا مفعلة هذه الخاصية ولم أقل لكِ شيئًا .

نظرت له فريدة بجد وحزم وقالت:

-أبسل، لا تقلب الطاولة عليّ ها ، أجب على ما قلته لك وكفى .

همّ أبسل ومسك يدها وقال لها بصوت هادئ:

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي، اعتبري أني لم أقم بتفعيلها من الأساس، هذه أول وآخر مرة، ها قولي لي ما الذي يرضيكِ وأنا تحت أمر معاليكِ .

ابتسمت له فريدة فهمّ بأخذها في حضنه وقال لها بلهفة:

-آه، كم أشعر أن روحي قد عادت لي من جديد بمجرد أن رأيت ضحكتك .

وكزته فريدة وقالت له مداعبة إياه:

-توقف عن كذبك ذا يا أبسل .

زاد أبسل من ضمته لفريدة وقال لها بعد أن تنهد كمن عاد للحياة من بعد البعث:

-آه يا فريدة، كم ساعة من دونك شعرت أن الدنيا ما هي إلا قبر معتم وبرغم وسع هذه الدنيا إلا أني شعرت أنها ضاقت عليّ إلى أن صرت لا أستطيع أن أتنفس في مكان أنتِ لستِ معي به .

خرجت فريدة من حضنه وقالت له بحيرة:

-لَمَ تحبني هكذا يا أبسل . . . ؟

زم أبسل شفتيه وقال في حيرة:

-أقسم أني لا أدري ما هو السبب، ولكن أشعر أن روحي متعلقة بروحك بجنون، أنا لا أستطيع العيش بدونك .

-يعني لم تفكر قط أن تؤذني . . . ؟

-أنا أؤذي نفسي ولا أؤذيكِ يا حبيبتي، أخرجي تلك الهلوسة من رأسك أرجوكِ .

هزت فريدة رأسها موافقةً من ثم توسدت حضنه، فهمس لها وهو يحرك يده بحنو على ذراعها وهو يهمس لها :

-يبدو أنكِ صرتِ أفضل بقليل هنا . . . !

أومأت فريدة وقالت وهي شاردة في الشاشة التي أمامها :

-آه، أفضل بكثير، يبدو أن طاقة المكان التي كنا بها لم ترحني أبدًا .

-أنا معكِ في المكان الذي يريحكِ يا حبيبتي .

***

ها هو أبسل يقف أمام المرآة ويعقد رابطة عنقه، في انعكاس المرآة تظهر فريدة وهي تتحرك في السرير معلنة استيقاظها وقبل أن تفتح عينيها يهلل لها بلهفة وهو ينظر لانعكاسها :

-صباح الخير يا حبيبتي، يبدو أنكِ لم تري كابوسًا الليلة . . . !

فتحت فريدة عينيها ونظرت له بعينها الناعسة باستغراب وهمست بتعب:

-الحمد لله لم أَرَ أي كابوس، ولكن إلى أين أنت ذاهب الآن . . . !

التفت لها وهو يهم تجاهها ويجلس على السرير وهو يقول:

-مضطر للسفر ومتابعة عملي .

عدلت فريدة من جلستها وقالت بتعجب:

-ومتى سوف تعود . . . ؟

نظر لها برومانسية وأردف:

-يومين أو ثلاثة بالكثير وسوف أعود لكِ يا حبيبتي .

أومأت له فريدة بصمت من ثم همّت من سريرها ، فسألها متعجبًا :

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا حبيبتي ، أكملي نومكِ يا عزيزتي ، يكفي أني رأيتكِ قبل أن أسافر .

وقفت فريدة بجوار سريرها وقالت بصوت متعب بعض الشيء :

-سوف أذهب للعيادة كي أشغل وقتي وأعود لحياتي مثلك .

تحرك تجاهها من ثم همس لها :

-المهم أن تطمئنيني عليكِ من وقت لآخر .

من ثم همّ بالخروج من الغرفة فقالت له:

-وأنت أيضًا ، أرسل لي فور وصولك لندن .

***

ها هي فريدة تخرج من الفيلا وتهم بفتح باب سيارتها ، ولكن سرعان ما ترفع رأسها وتنظر أمامها ، فتجد خالد يقف أمام فيلته ويؤشر لها بحماسة وبمجرد أن نظرت له همّ تجاهها ، فأشارت له فريدة وبمجرد أن أوشك على الوصول هلل لها :

-أهلاً فريدة، أوه أقصد صباح الخير .

فتحت فريدة باب سيارتها وهي تقول في عجالة:

-صباح النور يا خالد .

-سوف تذهبين للعيادة أليس كذلك . . . ؟ !

-نعم، سوف أذهب حالاً لأني متعجلة جدًّا .

-هل يمكن أن آتي معك واعتبري أني حالتك الأولى هنا .

أزالت فريدة نظارة الشمس التي ترتديها ونظرت له بتعجب من ثم أردفت:

-حسنًا ، ولكن أنسَ أني فريدة التي تعرفها ، أنا طبيبتك، لذا عليك أن تصارحني وتجاوبني على كل أسئلتي . . .

أومأ لها خالد برأسه موافقًا وفي ذات الوقت سمع صوت فريدة مؤكدة:

-اتفقنا . . . ؟ !

ابتسم لها خالد وقال بثقة:

-اتفقنا يا دكتورة فريدة .

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم وأردفت لخالد الذي يقف بجوار الباب:

-في العيادة فقط ليس هنا ، هيا اركب .

همّ خالد مسرعًا بلهفة وركب السيارة، بدأت فريدة في القيادة من ثم نظرت لخالد بتعجب وسألته:

-لِمَ ترتدي نظارة الشمس الآن، زجاج سيارتي يعزل أشعة الشمس المزعجة .

توتر خالد وقال لها :

-لا، أنا أفضل أن أرتديها في النهار دائمًا .

-هل أنت مصاب بمرض ما . . . ؟

-لِمَ تقولين ذلك . . . ؟

-لا أقصد أن أتدخل في أسلوب ملابسك، ولكني متحيرة لِمَ ملابسك دائمًا ذات كم طويل برغم أننا في فصل الربيع . . . !

ضحك خالد وقال لها :

-يبدو أن الجلسة قد بدأت في السيارة، ألم تقولي لي منذ قليل كل شيء سيكون في العيادة . . . !

نظرت له فريدة نظرة خاطفة ومن ثم نظرت لطريقها وقالت نافيةً:

-أنا لا أسالك بصفتي طبيبة أبدًا، وفي العيادة أنت من سيحكي أكثر من كوني سأطرح أسئلة.

نظر خالد للطريق وقال بأسى:

-لذا دعينا نبدأ هذا الموضوع في العيادة كي أكون متهيئًا بشكل أفضل.

أومأت له فريدة برأسها وقالت بمواساة:

-أفتح لي قلبك تمامًا وكل ما تقوله لي هو سر بينك وبين الدكتورة فريدة، يعني خارج العيادة أنا لا أدري شيئًا عنك.

ها هما خالد وفريدة دخلا حجرة فريدة في العيادة، أشارت لخالد أن يتمدد على الشيزلونج وقامت باختيار إعدادات من خاتمها بتفعيل خاصية تعتيم الزجاج تمامًا وتفعيل إضاءة هادئة تميل للأصفر والبرتقالي، واختارت من الجهاز الذي ينبعث منه الصور أن ينبعث منه مشعلا نار متحركة في زاوية الجدار الذي ينتصف به لوحة قيظ يونيو المقابل للشيزلونج، واختارت موسيقى هادئة تساعد على الاسترخاء.

ها هي فريدة تجلس على الكرسي المواجه لخالد وقالت له بهدوء:

-حسنًا يا خالد، أظن أن الجو هكذا يناسبك أكثر أليس كذلك...!

أومأ خالد برأسه وقال:

-يناسبني كثيرًا .

ابتسمت له فريدة وقالت له مشجعة إياه:

-لذا اخلع تلك النظارة والكمامة والقفاز ودعنا نبدأ وقل لي ما هو سبب بعدك عن الشمس هكذا . . . ؟

بدأ خالد بخلع كل تلك الأشياء ، أخذتهم منه فريدة ووضعتهم على المنضدة المجاورة، ومن ثم بدأ خالد في الحديث بعدما تنهد بعمق:

-بصراحة أنا لا أستطيع مواجهة الشمس لأن الشمس تسبب لي حروقاً في جسدي، لذا أهرب منها بعدم خروجي في النهار إلا نادرًا ، وأكون مضطرًا أن أخرج وأنا أرتدي قبعة وقفاز ونظارة وكمامة، والناس ينظرون لي نظرة ريبة لا أحبها ، لذا ابتعدت عن الناس .

-أتقصد أن ليس لديك أصدقاء أبدًا . . . !

-ليس لي سوى أنتِ وأبسل .

-يعني قبل ظهوري أنا وأبسل كنت بمفردك فقط . . . !

أومأ لها خالد برأسه بأسى، فأكملت فريدة متسائلة:

-هل تعيش بمفردك . . . ؟

أومأ برأسه مؤكدًا فنظرت له فريدة متعجبة وهي تدون على الشاشة المنبثقة من خاتمها وسألته:

-هل يمكن أن أعرف ما هو سبب اختيارك للعزلة .

قال لها خالد بأسى:

-لم أختر العزلة، بل العزلة هي التي اختارتني .

-كيف يا خالد . . . ؟

-ليس لي أهل، أنا وحيد .

-كيف ليس لديك أهل . . . ؟

-للصدق لم يكن لي سوى أمي في هذه الدنيا ولكن سرعان ما حرمت منها .

-متى فقدت أمك . . . ؟

-لا أتذكر بالضبط .

-كيف لا تتذكر وهي الوحيدة لك في هذه الدنيا . . . ؟

-أنا لا أشغل بالي بالتاريخ والأيام أبدًا .

-فقدتها في أي مرحلة في حياتك . . . ؟

-وأنا في شبابي .

-يعني منذ فترة قريبة . . . !

-يمكنك قول ذلك .

نظرت له فريدة وقالت له كي ينظر لها بعدما شرد :

-خالد ، عليك أن تساعدني وتجاوبني بدقة .

-أنا أجاوبك صدقيني .

-حسنًا ، ولكن كيف تعيش بمفردك، وهل تدرس أو تعمل، ماذا تفعل في حياتك . . . ؟

-لا أفعل شيئًا . . .

-كيف لا تفعل شيئًا ، وكيف تعيش . . . ؟

-أمي كانت سيدة لديها الكثير من المال وقبل وفاتها قامت ببيع كل ممتلكاتها وتركت لي كل أموالها ، وللحق أنا أعيش حياة بسيطة، لا يغرك تلك الفيلا التي أعيش بها ، حتى نظام أكلي مختلف .

-ولكن يا خالد كل شيء وله نهاية، حتى وإن كان المال معك كثيرًا سوف يأتي يوم وينتهي، عليك أن تدرس أو تعمل كي تعمل على زيادة هذا المال .

-لا أستطيع الخروج إلا في الليل لأني لا أحب أن ينظر لي الناس بتعجب هكذا .

-هل أنت مصاب بالبورفيريا . . . ؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها :

-كيف عرفتِ . . . ؟

-أنا أعلم أن هناك حالات مثلك يتجنبون الشمس لأن الشمس تضر جلودهم كثيرًا ، وبشرتهم شاحبة جدًا وأغلب الأطعمة لا يأكلونها .

-صحيح، كل هذه أعراض مرضي .

-هذا المرض يؤكد شحوبك عندما رأيتك أول مرة عندما زرتك أنا وأبسل، وكذلك حالة الهياج التي أصبت بها .

-لذا أنا أفضل أن أتجنب الناس، لأن ليس كل الناس مثلك أنتِ وأبسل .

نظرت له فريدة بابتسامة ولكن سرعان ما نظرت له بتعجب وأردفت:

-ولكن أنا متحيرة جدًا كيف أنت مصاب بالبورفيريا الحادة ولكنك صرت فجأة نضرًا هكذا وكأنك استعدت عافيتك ولكنك ما زلت تتجنب الشمس . . . !

-صرت ملتزمًا على جلساتي مع طبيبي الخاص وهو يقوم بنقل كمية الدم التي أحتاجها .

-صحيح مريض البورفيريا يحتاج إلى الهيم من الدم .

-صحيح، طبيبي الخاص يحاول أن يبتكر لي علاجًا خاصًا كذلك، طلب مني الاستمرار على الحيطة من الشمس إلى أن يجرب معي علاجًا لجلدي، وبصراحة أقول لكِ الحقيقة التي قالها لي طبيبي . . . !

-قل لي كل ما يجول في خاطرك، فأنت مريضي الوحيد الآن، كل الوقت لك .

-طبيبي تعجب جدًا من نتيجة استجابتي لبقية العلاج وعندما ذكرت له أني تعرفت عليكِ وعلى أبسل قال لي إن العامل النفسي له دور مهم في الاستجابة للعلاج .

-أنا وأبسل سنكون سندًا لك، لا تقلق إلى أن تكون بخير وتمارس حياتك مثل الآخرين . . . ولكن قل لي منذ متى أصبت بهذا المرض . . . ؟

-قلت لكِ لا أتذكر تاريخ أي شيء .

-يعني ما هي المرحلة العمرية التي أصبت فيها بالبورفيريا . . . ؟

-في مرحلة الشباب أيضًا .

-حسنًا هل يمكنك أن تحكي لي عن طفولتك أو فترة معينة في حياتك أثرت بك .

-لا أتذكر شيئًا أبدًا عن حياتي في طفولتي .

-كيف . . . ؟

-لا أدري . . . كل ما أتذكره أني في يوم كنت مع أمي في الحديقة وبمجرد أن فقت من نومي عانقتني أمي بشدة باكية . . .

قاطعته فريدة وسألته:

-ولِمَ كنت نائمًا في الحديقة . . . ؟

-أقصد أني كنت في غرفة في حديقة فيلتي على سرير، وعندما أفقت عانقتني أمي وبكت وبدأت تقول لي "حمدًا لله على سلامتك" وهي تقبلني بلهفة .

أومأت له فريدة برأسها على أن يكمل فأكمل خالد شاردًا:

-نظرت لها بتعجب وسألتها: "من أنتِ. . . ؟ وأين أنا . . . ؟" .

مسحت دمعها المنهمر وقالت لي وهي تنظر لي بلهفة:

-أنا أمك يا حبيبي . . . وهذا بيتك يا ولدي .

نظرت لها متعجبًا وقلت لها وأنا أطمح أن أقوم وأجلس على السرير ولكني شعرت أن جسدي يؤلمني بشدة، ولكني جاهدت نفسي وأنا أسألها بتعجب:

-أمي . . . ؟ وهذا بيتي . . . ؟ أمي من . . . ؟ ومن أنا . . . ؟

بكت أمي وهي تحاول أن تجعلني أمدد وأنام مرة أخرى، وهي تبكي وتبتسم لي بلهفة وهي تمسح على شعري وهي تقول لي:

-أرتاح يا حبيبي ومع الوقت ستبدأ تذكر كل شيء .

أبعدت يدها عني وقلت لها بتشتت:

-من أنا . . . ؟ أريد أن أفهم الآن . . . ؟ ولِمَ جسدي يؤلمني هكذا . . . ؟

-أنت أبني حبيبي الذي أراد الله ألا يحرمني منه، وجسدك يؤلمك لأن . . .

لم تكمل كلامها ، فقلت لها بحيرة:

-لماذا ، قولي لي . . . ؟

-لأنك قمت بحادث وكنت بين الحياة والموت، ولكن الرب استجاب لدعائي وعدت لي من جديد ومع الوقت ستكون بخير يا حبيبي .

شعرت أني أختنق من هذه الغرفة التي لا يضيئها شيء سوى ضوء البدر القادم من بابها ، قلت لها وأنا أسعل:

-أريد أن أخرج من هذه الغرفة، أريد أن أتنفس .

أومأت لي أمي أنها موافقة، وهمت لكي تنادي على البواب والخادمة كي يحملاني للخارج، لأن صحتها لا تسمح لها بحملي .

وبمجرد أن سندني البواب من اتجاه والخادمة من الاتجاه الآخر وتحاملت على نفسي وأنا أسير ببطء للخارج، بدأت أتمالك قوتي، وبمجرد أن ملأ الهواء صدري شعرت أن الروح قد ردت بي من جديد وأنا أنظر للسماء ، هنا نظرت لي أمي بلهفة باكية وهمت تعانقني ، هنا قلت لها بعد أن خرجت من حضنها :

-من أنا . . . ؟ أريد أن أعرف كل شيء .

مسحت دمعها وقالت لي:

-أنت خالد ولدي.

-قولي لي كل شيء عني. . . لا أريد أن أكون تائهًا هكذا . . . ؟

وضعت يدها على صدري كي تهدئني وقالت لي بصوتها الحاني:

-سوف أقول لك كل شيء ولكن تعال اصعد غرفتك بالأعلى وبعد أن ترتاح سوف أحكي لك كل شيء.

صعدت أمي معي الغرفة ولكني لم أنم طيلة الليل، وأمي بدأت تنعس فقلت لها:

-عليكِ أن ترتاحي.

مسحت على شعري بلهفة وقالت لي:

-أنت راحتي يا ولدي، لا أريد شيئًا من الدنيا سواك.

أكدت عليها أن تذهب للنوم وقلت لها:

-أرجوكِ نامي الآن، وأنا لن أعرف أكمل نومي لأني يبدو أني نمت كثيرًا.

-صحيح نمت كثيرًا يا حبيبي، ولكن لكي أستطيع النوم تعالى نام معي في غرفتي.

-وأبي. . . ؟

-أبوك مات منذ عدة سنين .

قمت من سريري وقلت لها متسائلاً :

-ألن تحكي لي كل شيء كي أتذكر ما مررت به قبل الحادث .

سحبتني من يدي وقالت لي:

-أنسَ الماضي يا ولدي، دعنا نبدأ حياة جديدة وإذا جال في خلدك سؤال مثل سؤالك عن أبيك فيمكنني أن أجيبك، ولكن نصيحتي لك أنسَ الماضي ودعنا نبدأ من جديد .

قالت له فريدة متعجبة:

-يعني أنت مصاب بفقدان الذاكرة أيضاً ولا تعلم شيئاً عن حياتك .

أومأ لها خالد أي نعم، عم الصمت قليلاً ومن ثم سألته بحيرة:

-هل يمكن أن تقول لي ما اسم أمك . . . ؟

-أمي اسمها رحاب .

هنا صدمت فريدة وظلت شاردة لبعض الوقت فسألها خالد بحيرة . . . ؟

-فريدة، ماذا بك . . . ! ؟

ازدردت فريدة لعابها بعد ما جف حلقها من الصدمة، وسألته:

-هل لديك إخوة يا خالد . . . ؟

-أنا وحيد ليس لدي إخوة .

-يعني أمك لم تحكِ لك أن لديك أخًا يكبرك سنًا . . . ؟

-قلت لكِ إن أمي لم تحكِ لي شيئًا وطلبت مني نسيان الماضي .

-هل يمكن أن أعرف ما هو اسم أبيك يا خالد . . . ؟

-أمي قالت لي إن اسم أبي فتحي* .

هنا صاحت فريدة بصدمة:

-فتحي . . . !

قال لها خالد متعجبًا :

-هذا ما قالته لي أمي، ولكن لِمَ صدمتِ هكذا . . . ؟

لمعت عينا فريدة وقالت له بلهفة الغريق الذي رأى أن هناك من سينجده:

-أنا متأكدة أن لك أخًا يكبرك سنًا .

نظر لها خالد بلهفة وأردف:

-حقًا . . . ؟

ومن ثم ابتسم وقال ساخرًا :

-ألا يكون أبسل أخي . . . !

ابتسمت له فريدة وخرجت من حالة الجد التي أصابتها وقالت:

-توقف يا خالد ، يبدو أن أبسل قد أصابك وصرت تمزح مثله .

تمالك خالد ضحكته وقال بلهجة يحاول أن تكون جادة:

-حسنًا ، من هو . . . ؟

-لا ، لن أقول لك أي شيء عنه إلا بعد أن أتأكد إن كان هو أم لا ؟

-وكيف ستتأكدين . . . ؟

-هل ما زالت متعلقات والدتك موجودة في الفيلا . . . ؟

-نعم، موجودة في صندوق كبير .

-هل يمكنك أن تأخذني لبيتك .

-أكيد ، ولكن متى . . . ؟

قالت له فريدة بلهفة وكأن روحها قد عادت لها أخيرًا : -حالًا .

الفصل الرابع

الصندوق

خالد وفريدة وصلا أمام الفيلا، وها هي فريدة تغلق باب سيارتها بقوة متعجلة، وخالد يلحقها متعجبًا وهو يقول لها:

-على مهلك يا فريدة، لِمَ أنتِ متعجلة هكذا . . . !

التفتت له فريدة بلهفة وقالت وهي تسحبه:

-سوف أفهمك كل شيء بعد قليل، لا تتعجل، بل الحقيقة سيفهم كلانا كل شيء بعد قليل.

تعجب خالد ولكن سرعان ما همَّ بفتح الفيلا، فالتفتت له فريدة متسائلةً:

-آه، أين الصندوق . . . ؟

أشار لها خالد تجاه الغرفة الموجودة في نهاية الحديقة، وبمجرد ما علمت فريدة المكان سبقته إليه مسرعةً، فأتبعها خالد مسرعًا لكي يلحق خطاها.

حاولت فريدة فتح باب الغرفة ذا مقبض الأبواب القديمة، فنظرت متعجبة، فقال لها خالد ضاحكًا:

-هل يمكن أن تعطيني الفرصة لكي أسبقك وسوف أقوم لكِ بما ترغبين به.

ها هو خالد يخرج من جيبه مفتاحًا ذا طراز قديم نحاسي، وبمجرد ما فتح الغرفة انبعثت منها رائحة عفنة جدًّا لدرجة أن فريدة أوشكت على التقيؤ بسببها، ولكن سرعان ما كتمت أنفاسها ومن ثم سعلت وقالت وكل ملامح التقزز قد رُسمت على وجهها:

-ما هذه الرائحة يا خالد؟

تمالك خالد نفسه وقال لها:

-بعد قليل ستهدأ الرائحة، يمكن سبب هذه الرائحة أني لم أقم بفتحها منذ موت أمي.

ضحكت فريدة ضحكة تهكمية وقالت:

-بعد قليل ماذا . . . ؟ هذه الرائحة تحتاج لسنة لكي تتخلص منها الغرفة، الرائحة تشبه رائحة جثة متعفنة.

نظر لها خالد وعلى وجهه ملامح جد :

-ليس لهذه الدرجة .

نظرت له فريدة ممازحة إياه:

-أنت تقول هذا لأنك ترتدي كمامة .

لم يرد عليها خالد ، فرُسمت ملامح الإحراج على وجه فريدة وقالت متمالكة الموقف:

-أمزح معك يا خالد ، لمَ أنت جاد هكذا . . . ؟ !

ظل خالد ينظر أمامه وهو يهم بالنزول على ركبتيه لكي يقوم بسحب الصندوق من تحت السرير .

وقفت فريدة شاردة لا تدري ما الذي تريده وماذا سوف تستستفيد في كل الحالات، ولكن فضولها قادها إلى هنا وتريد أن تعرف ما يقودها إليه .

أحيانًا ما يقودنا إليه خاطرنا وقلبنا يكون صحيحًا .

ها هو خالد يلتفت ويقول لها قبل أن يفتحه:

-هل تصدقين أني لم يأتِ في بالي قط أن أفتح هذا الصندوق . . . ؟

نظرت له فريدة متعجبة وهي تهم بالنزول أرضاً بجواره وهي تقول له:

-ولكن لماذا . . . ؟

همَّ خالد بنزع كمامته وقال لها :

-لأن أمي لم ترغب بأن تخبرني شيئًا ، فلم أحب أن أبحث عن حياتي السابقة احترامًا لرغبتها ، فبمجرد ما ماتت أمي طلبت من الخدم أن يقوموا بأخذ كل متعلقات أمي ووضعها في هذا الصندوق ولم أترك لي سوى صورتها المعلقة على الدرج.

نظرت له فريدة ومن ثم نظرت للصندوق بلهفة وقالت:

-وهل سنقوم بفتح الصندوق الآن أم ماذا . . . ؟

-آه، أكيد . . .

لم يكمل خالد كلامه وقال وهو يضرب رأسه بكف يده:

-آوه، إن الصندوق مغلق بقفل .

-وأين هو مفتاحه . . . ؟

-صدقيني لا أعرف .

-يجب أن نبحث عنه الآن .

-ولكن أنا لا . . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة خرجت من الغرفة مسرعةً وهي تقول بلهفة وهي تقف أمام باب الغرفة:

-يجب أن نبحث في كل مكان .

نظر لها خالد متعجبًا :

-ولكن لِمَ كل هذا . . . ! أنا صاحب الشأن ولا يشغلني إلى هذا الحد .

دخلت فريدة الغرفة وسحبته وقالت بلهفة صاحبها الجد :

-ولكن يهمني أنا ، يجب أن نعرف كل شيء عن ماضيك وعن عائلتك، لا يصح أبدًا أن تعيش جاهلاً كل شيء عن ماضيك وعن حياتك .

ها هو خالد دخل فيلته وأعطى أمرًا للروبوت للبحث عن مفتاح الصندوق، وبالفعل صعدا وراء الروبوت، وها هو الروبوت يقوم بمسح كافة أرجاء غرفة رحاب بعينيه، لدرجة أن فريدة فقدت الأمل بأنه غير موجود ، ولكن سرعان ما تجدد بها الأمل بمجرد ما سمعت صوت النتيجة الصادر من الروبوت:

-المفتاح. . . غير موجود في هذه الغرفة.

بمجرد ما أتم الجملة قلت همتها، ولكن سرعان ما قالت لخالد بلهفة:

-لن يضر إن بحثنا في كل الفيلا، أليس كذلك. . . !

رفع خالد كتفه بلامبالاة وأردف:

-أنا معكِ للنهاية.

بالفعل قام الروبوت بالبحث في كل أرجاء الفيلا بدون جدوى، وها هي فريدة وخالد في الحديقة.

فريدة شاردة تفكر بصمت، فقطع خالد صمتها بصوته:

-فيما تفكرين يا فريدة. . . ؟

-لا أدري فيما أفكر، ولكن أشعر أن في هذا الصندوق شيئًا مهمًا بالنسبة لك ولي.

-ما رأيك في أن نكسره. . . ؟ !

نظرت له فريدة بلهفة كمن رأى النور من بعد الظلمة وقالت:

-نسينا أن نبحث في الغرفة الموجود بها الصندوق.

ها هو الروبوت يمسح الغرفة بعينيه، وبمجرد ما سمعت فريدة الصوت النابع من الروبوت وضعت يدها على قلبها :

-المفتاح. . . هنا .

همَّ خالد مسرعًا بالبحث تحت السرير، وبالفعل قد وجده .

أخذته فريدة من يده مسرعةً بلهفة وهمت بفتح الصندوق .

ها هي تنظر للصندوق بتعجب، لأن الصندوق برغم حجمه الكبير لا يوجد به إلا بضعة أوراق .

سألته فريدة متعجبة وهي تبحث في الأوراق:

-هل هذه كل متعلقات أمك. . . ؟ !

-كما تعلمين، بمجرد موت أمي طلبت من الخدم أن يجمعوا أشياءها ، يمكن البعض أخذ أشياءها أو قام بتوزيعها ، لا يهمني و. . .

لم يكمل كلامه لأن فريدة صاحت متعجبةً بمجرد ما رأت مجموعة من الصور:

-هل هذه صورة عائلتك. . . ؟

نظر خالد لما في يدها وقال متعجبًا :

-كما تعلمين، أنا لم أَرَ صورة والدي، ولكن هذه المرأة تشبه أمي، يمكن هذه صورتها في شبابها ، وهذا الرجل على ما يبدو أكيد هو والدي، وأكيد هذا الطفل كنت أنا .

نظرت له فريدة بشرود غير مستوعبة، ومن ثم قالت وهي تعيد نظرها للصورة:

-إنهما فتحي ورحاب اللذان أعرفهما .

نظر لها خالد مستغربًا :

-وما المميز في كلامك ذا ، سبق وقلت لكِ اسم أمي وأبي، وأكيد سبق ورأيتِ صورة أمي المعلقة على الدرج.

-لم أتعرف على رحاب من الصورة المعلقة على الجدار لأني لم أركز بها بسبب الإضاءة المتذبذبة يومها ، واليوم لم أنتبه لها لأني كنت أبحث عن ال . . .

قاطعها خالد متعجبًا :

-آه صحيح، لتوك قلتِ لي "أنكِ تعرفين والداي" . . . ! ولكن كيف تعرفين عائلتي . . . ؟ هل نحن أقرباء . . . !

لم تعره فريدة تقديرًا لسؤاله، وقالت بلهجة غلبها الجد وهي تهم بالوقوف وفي يدها كل الأوراق والصور:

-هل يمكن أن آخذ تلك الأوراق لكي أتطلع عليها في بيتي . . . ؟

-ولِمَ تستأذني وأنتِ بالفعل قد أخذتِها . . . !

ابتسمت له ولكن وراء ابتسامتها حيرة تغزو كل ملامحها، وهمت بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:

-سوف أتركك لكي ترتاح قليلًا، أراك غدًا .

قال لها خالد بلهفة وهو يهم لكي يلحقها خارج الغرفة:

-لِمَ لم تجيبيني يا فريدة . . . ؟ ولِمَ لا نرى الصور والأوراق سويًا وتفهميني كل شيء . . . ! ؟

التفتت له فريدة وقالت:

-لا، بل عليك أن ترتاح الآن وأنا كذلك سوف أرتاح، وبعدما أُرتب أفكاري سوف أخبرك بكل شيء .

***

الفصل الخامس

السر

ها هي فريدة تدخل غرفتها وهي تمشي شاردة الذهن، ومن ثم ألقت بالأوراق على المكتب والصور واضحة أمامها، تنظر للصور شاردة وتسأل في قرارة نفسها :

-أنا لا أفهم شيئًا، من خالد هذا . . . ؟ هل هو أخ لفارس . . . ؟ ولكني عندما عدت بالزمن لم يكن لفارس أي إخوة . . . ولكنه أقر بأن من في الصورة هي أمه، ورحاب لم تنجب سوى من فتحي وأنجبت فارس فقط . . . ! أم تكون رحاب تزوجت مرة ثانية من رجل غير فتحي بعد سنوات من موت ابنها فارس . . . ! ولكن رحاب عاقر وانجبت عن طريق السحر الذي فعله فتحي . . . !

آه، أنا في حيرة رهيبة، كيف لخالد أن يكون هو فارس، وفارس مات أمام عيني بل وبين يدي .

من هذا الخالد . . . من هو . . . ؟ يجب أن أعرف السر الذي وراءه . . . ولكن كيف لي أن أعرف وأنا قمت بتحطيم جهاز السفر عبر الزمن كما طلب مني أبسل .

ماذا عليّ أن أفعله . . . ؟ سوف أتصل بدكتور جون، هو من صنع لي هذا الجهاز وهو قادر أن يصنع لي غيره .

لمست فريدة خاتمها لكي تتصل برقم دكتور جون، ولكن الهاتف مغلق وسمعت صوت الرسالة المسجلة:

-أهلًا ، أنا دكتور جون، أترك لي رسالة صوتية وسوف أعيد الاتصال بك في أقرب فرصة .

-دكتور جون، اشتقت إليك كثيرًا ، وأشعر بحزن رهيب يجتاح صدري لأنك لم تحضر زفافي وأنت تعلم جيدًا ماذا تعني لي، على العموم أنا في انتظار اتصالك، أحبك .

ها هي فريدة تخطو تجاه سريرها وتلقي بجسدها متعبة من كثرة التفكير وهي تتمتم لنفسها :

-بعد قليل سوف يتواصل معي جون وسوف يصنع الجهاز مرة أخرى وسوف أعرف الحقيقة كاملة .

ها هي فريدة تفتح عينيها بسبب صوت ارتطام شيء في زجاج شرفتها ، تفتح عينيها فترى ذلك الطائر في شرفتها يحاول أن يخترق الزجاج وينقره بمنقاره، ونقره يزداد أكثر وأكثر إلى أن شرخ الزجاج قليلاً ، وفريدة الذعر احتل ملامح وجهها من بعد ملامح التعجب .

ها هو الطائر ينقر الشرخ أكثر فتحول الشرخ إلى كسر ، وكلما زاد الكسر أكثر كلما ازداد حجمه أكثر ، هرعت فريدة هاربة تجاه باب غرفتها ، وهنا قد تمكن الطائر من دخول الغرفة، وهي تحاول فتح بابها ولكن بلا جدوى وهي تصرخ من شدة الرعب الذي تعيش به، وفجأة بدأت تشعر بحرارة رهيبة تأتي من ورائها ، بمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر البرتقالي ذا الأجنحة النارية، أجنحة نارية بالفعل ليس مجرد وصف لون، لقد تمكنت الشعلات النارية من ريش جناحيه، وعينيه تخرج شرر نار رهيب تجاه فريدة، ولكن سرعان ما تتجنب فريدة تصويبه عليها ، وتلبد النار في الباب، ها هو الطائر يتحرك ويجعل ظهره للباب لكي يقابل فريدة التي أصبحت تجاه شرفتها ، ولكنها لم تتمكن من العبور بسبب كثرة فتات الزجاج في الأرض، ولكن

سرعان ما قررت أن تعبر فوق الزجاج وتقفز قفزة كبيرة على أمل أن تهرب من النار التي تخرج من عين الطائر ولبدت في سريرها .

سقطت فريدة في شرفتها جريحة القدمين بسبب فتات الزجاج المنثور في كل أرجاء الشرفة، وهي تلهث باكية تنظر لقدميها الداميتين ومن ثم ترفع رأسها فترى أن النار قد لبدت في كل غرفتها والطائر يقف أمامها .

ترفع رأسها تنظر لسور شرفتها وهي تمسك بالقطعة الزجاجية من قدمها وهي تكتم نفسها وتهم بسحب الزجاج منها ، حينها أطلقت صرخة قوية لحقتها نعيق الطائر الذي هم بإطلاق شعلة نارية أخرى من عينيه لكي تلبد في الشجرتين اللتين تحيطان بشرفتها ، ومن ثم نعق كأنما يسخر منها وهي أمامه ضعيفة محاصرة غارقة في دمعها ودمها ، كأنه كان تاركًا لها فرصة للهرب ولكن كان يجب عليها أن تذوق ألمًا رهيبًا لكي تهرب، وبعد أن يتلذذ بألمها يغلق في وجهها آخر سبيل للنجاة .

اقترب منها بجناحيه وهم بضمها لكي تلبد النار بها وهي تصرخ، ولكن صوتًا أجش قطع صراخها :

-نهايتك على يدي يا عجيبة .

-عجيبة .

فزت فريدة من نومها مفزوعة، ولكن سرعان ما التقطت أنفاسها ومسكت رأسها ونظرت لأبسل وقالت له متعجبةً:

-ومنذ متى تقول لي يا عجيبة . . . ؟

نظر لها أبسل مستغربًا وقال:

-لم أقل لكِ يا عجيبة، بل قلت لكِ "لَأنتِ نائمة للظهر . . . عجيبة . . . !" أقصد أنكِ قلتِ لي إنكِ ستواظبين على مواعيد العيادة الجديدة .

ما زالت فريدة تنظر له بحيرة ولكن سرعان ما تفحصت خاتمها ولم تجد أي مكالمة أو رسالة من دكتور جون، فقامت برفع شعرها بعصبية وقلق وسألت أبسل:

-أبسل، ألا تعرف أي جديد عن دكتور جون بما أنك عدت لتوك من لندن .

جلس أبسل بجوارها وقال:

-كما تعلمين أن سفري سريع جدًّا، أُكمل أمورًا مهمة في العمل وأعود لكِ من جديد يا عزيزتي .

لمست فريدة خاتمها مرة أخرى وملامح القلق احتلت وجهها وهي تقوم بتشغيل مكبر الصوت من الشاشة المنبثقة أمامها وهي تتصل بالعمة كرستين، أكملت الاتصال ولم يأتِ أي رد .

قامت فريدة من سريرها ووقفت أمام زجاج شرفتها وهي تعاود الاتصال مرة أخرى وفي هذه المرة جاءها صوت العمة كرستين، صوت واهن مكسور:

-ألو.

مما جعل الخوف ران على قلب فريدة التي قالت بصوت مرتجف:

-عمتي كرستين . . . هل أنتِ بخير . . . ؟

سمعت فريدة صوت العمة كرستين وهي تبكي:

-أنا بخير يا فريدة . . .

-ماذا حدث يا عمتي . . . ؟ هل حدث لكِ شيء . . . ؟ ولِمَ جون لا يرد على اتصالي ولِمَ لم تحضرا زفافي . . . ؟

-جون . . . لقد . . .

قطع بكائها صوت فريدة القلق المتسائل:

-ما به جون . . . ؟ قولي لي الحقيقة . . . ؟ ما به . . . ؟

-لقد مات جون يا فريدة، مات .

هنا لم تعد فريدة قادرة على أن تقف وخرت واقعة فاقدة للوعي .

***

ها هي فريدة تقف هي وأبسل وأمها وتين على باب بيت دكتور جون، ها هو الروبوت يفتح لهم الباب ويدخلون غرفة الضيوف التي تجلس بها كرستين التي أصابها العجز أكثر بعد موت زوجها ، صارت مثل الوردة التي قُطفت وأُلقيت على الطريق لكي تلقى مصرعها هي الأخرى .

هرعت فريدة إليها صارخة باكيةً في حضنها ، لأن كرستين وجون اعتبراها ابنتهما بعدما أيقنا أنهما لن ينجبا أبدًا .

من ثم صعدت فريدة لغرفة جون ولمست صورته وهي تقول في قرارة نفسها وهي تبكي بحرقة:

-كنت أظن أني يتيمة بعد موت أبي، ولكن اليوم لقد ذقت كأس اليتم الحقيقي، إن هذا الكأس مُر حقًا ، فَقْد الأب أصعب من السم، لأن السم يجعل المرء يعاني

للحظات ومن ثم يرتاح للأبد ، ولكن كأس اليتم المرير يجعل الغصة تخنقك كل لحظة في يومك .

ها هي تأخذ صورة جون وتجلس على سريره وتقول له باكيةً:

-أتعرف يا جون، كنت أظن أني سوف أكون تلك الفتاة القوية دائمًا ، ولكن موت أبي كسر لي ساقًا وصرت عرجاء أمشي بصعوبة، أدركت حينها أن أبي كان قوتي وسندي، ولكن من هون عليّ كسر ساقي هو أنت يا جون، وصرت لي ساقي الأخرى بل وكنت لي السند والأب الذي أحتاجه، بل واختراعك لكي أرجع بالزمن لكي أقابل أبي شد لي ظهري الذي انحنى بفراقه، ولكن ها أنا الآن بفراقك كُسرت ساقي الأخرى وظهري قد انحنى لأني لن يمكنني أن أرى أبي أو أراك مرة أخرى يا عزيزي .

أنا الآن يتيمة يا جون، أنا الآن يتيمة يا مراد ، أنا مكسورة ضعيفة، أريد كما أن تأخذا بيدي لكي أقف من جديد أو تأخذاني إليكما .

من ثم بكت بكاءً هستيريًا ، فدخل عليها أبسل وهم بضمها وهو حزين على حالتها ويقول لها مهونًا عليها :

-أهدئي يا فريدة، لا تفعلي بنفسك هكذا أرجوكِ .

-أنا وحيدة يا أبسل، وحيدة وليس لي نصيب أن يكون لي أب مثل باقي البشر، مكسورة الجناح أنا يا أبسل وتائهة .

-أنا بجانبك دائمًا يا فريدة، أنا ظهرك، أنا سندك، لا تقولي هذا الكلام أرجوكِ .

***

ها هي فريدة تقف أمام قبر جون وتبكي بصمت، وأبسل يربت على كتفها ويقول لها مهونًا عليها :

-هيا يا فريدة، يجب أن تعودي لحياتك في مصر وتكملي حياتك كما كان يتمنى والدكِ، صار لك شهر هنا ، إلى متى ستظلين هكذا . . . ؟

-متعبة يا أبسل، لقد فقدت آخر ما تبقى من طاقتي بفراق جون .

-هل تريدين أن تبقي في حالتك تلك، أم ستتركين نفسك في حالة صدمة لمدة أكثر من عام مثل عندما مات أبيكِ ؟ فريدة، أنتِ كَبرتِ وتعلْمين جيدًا أن عليكِ أن تواجهي الحياة بمصاعبها ، لا تدعيها تهزمك هكذا ، عودي تلك الفتاة المشاغبة مرة

أخرى، لا تنطفئي يا فريدة، حياتنا مظلمة من دونك، دعي ضوئك يشع مرة أخرى يا شمسنا .

نظرت فريدة نظرة من وجد النجدة بعد ما أوشك على الموت والتقط آخر أنفاسه .

***

فريدة ها تفها يومض باتصال من خالد ، ولكنها لا ترد عليه منذ آخر لقاء لهما .

ولكن سرعان ما يقطع تفكيرها صوت جرس الباب، وكان القادم هو خالد ،

وبمجرد دخوله لغرفة الضيوف همت فريدة بالخروج، فنادى عليها أبسل متسائلًا :

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة، إن خالد جاء إلى هنا خصيصًا لكي يطمئن عليكِ .

جاء صوت فريدة الخافت من بعيد من دون حتى أن تلتفت لأي منهما :

-أنا متعبة، أريد أن أرتاح.

شعر خالد بالإحراج بسبب عدم استقبال فريدة له، فتمالك أبسل الموقف وهمَّ مرحبًا بخالد وأجلسه بجواره على الأريكة، ولكن خالد سرعان ما شرد عن حديثه مع أبسل وهم بإرسال رسالة لفريدة .

-فريدة، لِمَ لا تردين على اتصالاتي وحتى لقائي بكِ تتجنبيه، هل صدر مني أمر أزعجكِ لهذا الحد ؟ في كل الحالات أنا آسف عن كل ما صدر مني بقصد أو من دون قصد ، وصدقيني سوف أبتعد ولن أضايقكِ ثانيةً .

من ثم همَّ واقفًا فجأة، فقال له أبسل متعجبًا :

-لِمَ أنت متعجل هكذا يا صاح . . . ؟

هرع خالد مغادرًا وقال معتذرًا :

-اعذرني، يجب أن أذهب الآن .

-هل سوف أراك لاحقًا . . . ؟

-أتركها تأتي على حسب الظروف .

من ثم رحل، وقف أبسل متعجبًا متمتمًا في قرارة نفسه:

-ماذا يحدث لهما . . . ؟ أشعر أني مثل الأطرش في الزفة .

ها هي فريدة تفتح الدرج الخاص بها وتخرج تلك الصور وتنظر بحيرة وتسأل نفسها :

-كيف لي أن أعرف الحقيقة وراء خالد إن ظهوره في حياتي لغز رهيب، ولقد اعتدت أن أحل أي لغز يواجهني، ولكن كيف . . . ؟

هنا قطع شرودها صوت أحد يطرق على باب غرفتها ، ومن ثم دخلت أمها وبيدها كتاب كعادتها وسألتها بقلق:

-فريدة، لمَ تركتِ خالد هكذا ولم تحسني استقباله . . . !

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لن تتوقفي أبدًا يا وتين عن إقحام أنفك في حياتي، أليس كذلك . . . !

-فريدة، لا تغيري الموضوع وتهربي من الإجابة، هيا قولي لي السبب .

ابتسمت فريدة وقالت مغيرة الموضوع:

-ها قولي لي يا وتين، ماذا تقرأين اليوم . . . ؟ ابهريني .

-تغيرين الموضوع للمرة الثانية يا فريدة . . . !

رفعت فريدة حاجبيها وقالت بثقة:

-تربيتك يا وتين، وعليكِ أن تشربي من نفس الكأس التي تجعليني أشرُب منه .

-كان يجب عليّ أن أسميكِ عنيدة لا فريدة .

من ثم تنفست الصعداء وقالت:

-حسنًا ، ها أنا أقرأ رواية .

-دعيني أطلع عليها .

ها هي فريدة تقرأ اسم مؤلف الرواية ومن ثم التمعت عينيها وقالت بلهفة:

-إن الرواية لـ"رانيا رمضان"، تلك المؤلفة التي تقتني أغلب أعمالها .

أومأت وتين رأسها موافقة وقالت بثقة:

-أنتِ تعلمين يا فريدة إنها من المؤلفين المفضلين لدي .

شردت فريدة في الرواية التي بين يديها وفتحت الصفحة الخاصة بسنة الإصدار

وقالت بتعجب:

-إن هذه الرواية صدرت منذ عامين، هذا يعني أنها على قيد الحياة .

-أي نعم، على قيد الحياة، إن هذه المؤلفة في مثل عمري تقريبًا .

أومأت فريدة برأسها وابتسمت لأمها ، فنظرت لها أمها بحيرة وسألتها :

-ما الذي يدور في خلدك يا فريدة .

ابتسمت فريدة لوتين وأمسكت لها أنفها وقالت لها :

-سوف أخبرك بكل شيء إن توقفتِ عن فضولك ذا ، وهيا بنا ننزل لكي نأكل، أنا

جائعة جدًّا .

من ثم همت تجاه الباب بعفوية تتناقض مع ردة فعلها منذ قليل مع خالد ، فنظرت لها أمها متعجبة وقالت بنفاد صبر:

-أقسم أني أنجبت مجنونة للحياة لا طبيبة نفسية .

***

بعد منتصف الليل، ها هي فريدة تتحرك في السرير غير قادرة على النوم بسبب كثرة التفكير، فقررت أن تجلس على السرير وتتصفح مواقع التواصل الاجتماعي في الشاشة المنبثقة من خاتمها ، وفجأة التمعت في ذهنها فكرة أن تبحث عن حساب رانيا رمضان المؤلفة، ولكن سرعان ما أبعدت الفكرة عن بالها وقالت:

-ما هذا السخف يا فريدة . . . ؟ ما الذي سوف تفيدك به رانيا هذه المرة . . . ؟ في المرة السابقة عدت لعام 2020 لكي أقابلها لكي أستشيرها في مجال لها علم به، بينما الآن ما الفائدة من أن أقابلها في الواقع وليس لي إمكانية السفر عبر الزمن لكي أُكمل ما سوف أبذله .

وهل يا ترى لو قابلتها في الوقت الحالي أي بعد مرور أكثر من ربع قرن، هل سوف تتذكرني . . . !

لا أدري، ولكن بداخلي شعور يقول لي أن أتواصل معها ، واحتمال كبير أن تتذكرني، لقد كنت بطلة لأحد أعمالها في يوم من الأيام، وحاليًا هي بعمر أمي، أكيد سوف تفيدني بخبرتها في الحياة .

ها هي فريدة تبحث عن الحساب الذي قرأته على ظهر الغلاف .

وجدت الحساب ولكنه فارغ تمامًا ، قالت فريدة في قرارة نفسها متعجبة:

-يا لها من غريبة، لَمَ لديها حسابات على مواقع التواصل ولا تستخدمها . . . !

من ثم ركزت في الكلمة التعريفية الخاصة بالمؤلفة: "معكم رانيا رمضان بنت البروفيسور، أديبة وشاعرة ومفسرة أحلام وعاشقة للماورائيات، هذا الحساب ما هو إلا همزة وصل بيني وبينكم لكي تشاركوني قصصكم المميزة وأظهرها للنور، فأنا بكم وإليكم دائمًا" .

هنا التمعت فكرة أخرى في عقل فريدة وقالت:

-أوه، إنها عاشقة للماورائيات، لذا سوف أتواصل معها وأحكي لها بعض الأمور التي أُمر بها وأكيد سوف تساعدني .

أرسلت فريدة رسالة لرانيا :

-أهلًا رانيا، أقصد أستاذة رانيا، سامحيني أني لم أقل لقبك في المرة الأولى، ولكن أتمنى أن تتذكريني، أنا فريدة التي كنت آتي إليكِ من المستقبل عندما كنتِ في بداية شبابكِ، كنا صديقتين، ولكن بما أني الآن فقدت جهاز السفر عبر الزمن صرت غير قادرة على أن أُقابلَكِ في تلك الفترة التي اعتدتِ أن تريني بها، لذا قررت أن أتواصل معكِ في الواقع ضروري، أريد أن أستشيرك في أمور كثيرة أُمر بها يا رانيا، أرجوكِ ردي عليّ، أنا في حاجة إليكِ.

ظلت فريدة تنظر للرسالة على أمل أن تراها رانيا ولكن بلا جدوى، قررت فريدة أن تنام ولكن لم تستطع.

الوقت أوشك على الفجر وما زالت فريدة تفكر، ولكن سرعان ما قطع شرودها صوت رسالة، فلمست خاتمها بسرعة وكانت الرسالة من خالد، فتنهدت بنفاد صبر ولم تعر الرسالة انتباهًا، بعد قليل سمعت صوت رنين خاتمها انبثق من الخاتم شاشة تحمل اسم حساب رانيا، فهرعت فريدة خارجة من غرفتها مسرعةً، وبمجرد خروجها ردت على الاتصال فظهرت أمامها امرأة أوشكت على الخمسين من العمر، تعجبت فريدة من رؤيتها وقالت:

-رانيا . . . ! سعيدة جدًا لرؤيتكِ . . . ؟

-لقد رأيت الصور الموجودة على حسابك وتأكدت أنكِ فريدة، تلك الرسالة لم تكن كفيلة لكي أتواصل معكِ، فلدي عدد كبير من القراء الذين يعرفون قصتك ومن السهل عليهم اختلاق هذه الرسالة .

-سعيدة جدًا لتواصلك معي يا رانيا ، ولكن هل يمكن أن أتواصل معكِ الآن، أم أتواصل معكِ في وقت مبكر . . . ؟

نظرت لها نظرة تعجب وقالت بسخرية:

-يبدو أني تسرعت واتصلت بكِ يا فريدة، لأنكِ لو كنتِ فريدة صديقتي لكنتِ علمتِ أني كائن ليلي .

ضحكت فريدة وهي تهم بالجلوس على أريكة غرفة الجلوس وقالت:

-أعلم يا رانيا ، ولكن قلت في قرارة نفسي أن الوضع قد تغير بحكم السن و . . .

-السن . . . ؟ أتقصدين أني صرت عجوزاً . . . ؟ حسنًا ، يبدو أني تسرعت بالرد عليكِ .

-أمزح معكِ يا رانيا ، على العموم دعيني أدخل لكِ في الموضوع، أنا أُريدك في أمر ضروري، هل يمكن أن أقابلك .

-تنوريني أكيد ، ولكن ها أنا ذا معكِ . . . !

-لا ، أريد أن أراكِ وأريكِ شيئًا مهمًا وأحكي لكِ موضوعًا غريبًا بشكل لا يتصوره عقل .

-ما دام لا يتصوره عقل أكيد يمكن أن تأتي لبيتي، سوف أرسل لكِ موقع عنواني الجديد في القاهرة، سأكون في انتظارك غدًا السابعة مساءً .

***

الفصل السادس

الحل

ها هي فريدة تجلس أمام رانيا في حديقة بيتها ورانيا تقول لها بحيرة:

-لا أفهم يا فريدة ما الذي تقولينه . . . كيف تقولين لي إن فارس مات أمام عينيكِ وها هو خالد يدعي أن رحاب وفتحي هما والديه، كيف له أن يكون هو فارس، وفارس إذا تم إنقاذه لكان عمره الآن أوشك على الخمسين .

هنا قالت لها فريدة بحيرة:

-ولكن يمكن لمرض البورفيريا دور في هذا بأنه لا يشيب ويهرب من الشمس لأنها تسبب له حروقًا جلدية و . . .

-حسنًا ، سوف أسايركِ أن المرض هو سر شبابه إلى الآن، ولكنه مات يا فريدة، مات أمام عينيكِ بل ودفنته أمه في حديقة بيتها ورأيتِ ذلك بعينكِ عندما عدتِ بالزمن .

هنا ضربت فريدة رأسها وقالت بتعجب:

-آه صحيح، لقد دفنته في الحديقة، وهو قال لي إن أول شيء يتذكره في حياته هو خروجه من غرفة ما في الحديقة.

-إن ما يدور في عقلك الآن يا فريدة لا يصدقه عقل، كيف لهذا أن يحدث . . . !

-كيف هذه أريدك أن تساعديني بها، يجب أن نعرف ونتأكد مما مر به فارس، يجب أن نجد الحلقة المفقودة في حياته، هل خالد هو فارس، أم خالد شخص نصاب أو مخادع ولكن لَم يفعل ذلك . . . أم احتمال آخر ؟

ظلت رانيا شاردة تفكر لا ترد على فريدة، ولكن فريدة نادت عليها لكي تنتبه لها:

-رانيا، أنا أتحدث إليكِ . . . ؟

التمعت عينا رانيا وقالت بحماسة:

-وجدتها، سوف تعرفين الحلقة المفقودة.

-ولكن كيف . . . ؟

-لا تقلقي، دعيني أرتاح اليوم وفي الغد سوف تأتين لي في نفس الموعد وسوف تجدين الحل معي.

-ولكن ما هو . . . ؟

-صدقيني، أنا لم أخذلكِ من قبل، خذي كلامي ثقة .

فريدة في المساء تقف في شرفتها وتنظر لفيلا خالد بحيرة، الفيلا مغلقة مظلمة تمامًا بعدما وعدها أنه سوف يبتعد عنها ، ها هي تفكر في قرارة نفسها :

-عليّ أن أقتحم الفيلا، ولكن لمَ . . . ؟ لا أدري ولكن لا يضر . . . !

فريدة تخرج من فيلتها وتتجه ناحية فيلا خالد وتهم بتسلق سور الفيلا وكانت مطمئنة لأنها تعلم أن أجهزة خالد أغلب الأحيان معطلة، ها هي تمشي في حديقة الفيلا وتشعر بشعور مقبض وكئيب بسبب الظلمة الموحشة، ومن ثم وصلت لتلك الغرفة وأخذت تتذكر مكان قبر فارس، ولكن سرعان ما شعرت بحرارة رهيبة وراء ظهرها ، وبمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر الضخم الناري، وهو يهم بإضرام النار عليها ، ولكنها هرعت صارخة هاربة، فلبدت النار في غرفة الحديقة، وفريدة تنظر بندم للغرفة المحترقة وهي تصرخ وكأن طرف الخيط الذي كانت تريد أن تمسك به قد اختفى من يدها .

ها هو الطائر يقترب منها وهي تنظر له وتعود بظهرها للوراء وهي تصرخ إلى أن ارتطمت ببيت الكلب فسقطت أرضًا فصارت تزحف هاربةً بعدما فقدت

قدرتها على الوقوف مرة أخرى، والطائر يمشي أمامها راغبًا في أن تعود بنفسها إلى مقر النار في تلك الغرفة، وها هي تعود بظهرها وكل ملامح الذعر قد سيطرت عليها ، ولكن بمجرد أن أوشكت على أن تلامس النار رأت شابًا يقف وراء الطائر، لم تتضح ملامحه بسبب اللهيب المنبعث من جناحي الطائر .

الطائر يرفع جناحيه وينعق نعيقًا قويًا كان كفيلًا أن تفقد وعيها بسببه .

-فريدة، فريدة . . .

فتحت فريدة عينيها ونظرت بحيرة وتساءلت:

-أبسل . . . ؟ ما الذي أتى بك إلى هنا . . . ؟

-جئت لأني سمعت صراخكِ وأتيت مسرعًا لكي أنقذكِ .

ها هي تنظر حولها وتقول بدهشة صارخةً:

-النار، إنها حقيقة يا أبسل، هل رأيتها . . . ؟

-رأيت ماذا . . . ؟

-ذلك الطائر الناري .

-فريدة، تعالي معي، يجب أن ترتاحي، لا يوجد أي طائر ناري هنا .

-يا أبسل، ألا ترى النار . . . !

-نعم أراها .

-إذن ما رأيته كان حقيقيًا .

-نعم حقيقيًا لأنكِ من فعلتِ ذلك .

-فعلت ماذا . . . ؟

-أنتِ من أحرقتِ الغرفة يا فريدة، لا أدري لمَ فعلت هذا . . . ! ماذا فعل لكِ خالد لكي تقومي بهذا ال . . .

أبعدت فريدة يد أبسل عنها وقالت له بريبة:

-هل تريد أن تقنعني أنني جننت يا أبسل . . . ؟

من ثم أمسكت رأسها كمن تذكر شيئًا وقالت بكره له:

-آه، تذكرت، لقد رأيتك وراء الطائر، رأيت ضحكتك و . . .

-فريدة، لقد جئت لتوي لكي أنقذك، لماذا أضحك وأنتِ في مثل هذا الموقف ؟ وانظري حولك، سوف تكتشفين أنكِ من أضرمتِ النار في المكان، يجب أن تتابعي

مع طبيب نفسي إن حالتك تسوء وصرتِ تمشين أثناء نومك وتوهمك أني شخص سيء زاد عن حده .

بدأ الروبوت في إطفاء الحريق بإشارة من أبسل، وها هو أبسل يهم بالتقرب من فريدة لكي يحملها ولكنها تمنعه:

-ابتعد عني يا أبسل، لا تقترب مني .

-حسنًا ، ولكن يجب أن تعودي للبيت وترتاحي .

هم أبسل بحملها وهي تنظر له بحيرة وتشكك، من ثم قطع الصمت صوتها وهي تسأله: -أنت لا تصدقني يا أبسل . . . ؟

-أنا أصدقك دائمًا .

-ولكن لِمَ لا تصدقني هذه المرة .

-لأني رأيت بعيني ما يثبت عكس كلامك .

نظرت له فريدة بحزن ولم تكلمه، فقال لها :

-سأظل بجوارك دائمًا يا فريدة إلى أن تكوني بخير .

***

فريدة مع رانيا وامرأة أخرى في غرفة الجلوس في بيت رانيا .

-هل تشكين حقًا في أبسل يا فريدة . . . ؟

-أنا حكيت لكِ ما مررت به يا رانيا ، ظهوره كان مفاجئًا في حياتي، والكوابيس زادت في حياتي بمجرد ما تقرب مني، وفكرة الشبه بينه وبين جواد رهيبة و . . .

-نعم، بما إنه يشبه جواد إذن فهو يشبه فارس بل وأسمه أبسل أي الأشجع مثل فارس الشجاع .

-صحيح، وهذا ما جعلني أحبه، أني رأيت به فارس الذي فقدته ومات بين يدي .

-يعني مجرد كوابيس تجعلك تهدمين كل شيء تجاه أبسل .

-أكيد ، أحلامي لها معنى ودلالة يا رانيا .

هنا قطع كلامها صوت تلك المرأة الأخرى .

-ولكن يمكن ظنك في أبسل خاطئ، والذي يثبت ذلك وجودك في الحديقة و . . .

قاطعتها فريدة بانفعال:

-يمكن هو من وضع تلك الأشياء لكي يجعلني أقتنع أني مجنونة وأسير أثناء نومي .

-لن يضر يا فريدة إن تتابعي مع طبيبة نفسية، إن خالة زوجي طبيبة معروفة جدًا و . . .

هنا قاطعتها رانيا وقالت موضحةً بعد ما رأت الانفعال يحتل وجه فريدة:

-ريحانة يا صديقتي، إن فريدة طبيبة نفسية كذلك وتعلم . . .

هنا قاطعها صوت فريدة وهي تقول بانفعال:

-هل هذه هي التي سوف تساعدني يا رانيا، جئتِ بها لكي تتهمني بالجنون.

-لا، بل كانت تقصد أن تقدم حلًا منطقيًا في البداية فقط.

مسكت فريدة رأسها وقالت:

-لا أدري يا رانيا، لِمَ الكل يدافع عن أبسل، أمي وأنتما، كلكم مصرون على أن تشعروني أني ظالمة بظني به، لو رأيتم ما رأيته لكان كلامكن غير هذا الكلام.

قاطعتها ريحانة وقالت بثقة:

-ولكني ما زلت عند رأيي بكِ، يجب أن تتابعي مع طبيب نفسي، لأن حالتك الآن تكثر بها الهلوسة زائد شكك المستمر فيمن حولك، في البداية كان زوجك والآن جارك خالد، عقلك يختلق لكِ نظرية مؤامرة ليس لها وجود في الواقع.

نظرت فريدة كمن خسر النقاش لرانيا وقالت لها :

-وهل أنتِ معها ومع أبسل كذلك أني مجنونة . . . ؟

تنهدت رانيا وقالت:

-صدقيني، أنا لا أستبعد أي احتمال، سوف نعرف بعد قليل .

نظرت لها فريدة بحيرة:

-ولكن كيف . . . ؟

-أوه، ألا تعرفين ريحانة، إنها إحدى بطلات رواياتي، هي بطلة رواية "المهدي المنتظر"، وميزتها يا عزيزتي هي تمكنها من الإسقاط النجمي .

-وهل سوف أتمكن من فعل ذلك معها . . . ؟

-لا، لا يمكنكِ ولكنها يمكنها فقط السفر بالروح.

-حسنًا يا ريحانة، ما أريده منكِ هو معرفة ما حدث لفارس منذ موته، ومن هو خالد ذا . . . ؟

نظرت ريحانة بحيرة لفريدة وسألتها :

-ماذا سوف أعرف عن شخص مات ودفن . . . ؟

ضربت فريدة رأسها بعصبية:

-هذا ما أريد أن أعرفه . . . اعتبرِني مجنونة وسايريني أرجوكِ، أنا في حيرة وأريد أن أرتاح من هذا الأمر أولًا .

***

الفصل السابع

سفر الروح

"ترويه ريحانة"

وقفت أمام رحاب المنهارة الباكية بجوار قبر ابنها الوحيد ، ولكن سرعان ما يقطع بكاءها صوت امرأة ذات لكنة غريبة، يبدو أنها من دولة أفريقية ما واللهجة المصرية صعبة عليها بعض الشيء .

– كفي عن البكاء يا سيدتي أرجوكِ إن البكاء لن يرجع لكِ شيئًا .

استمرت رحاب في البكاء وقالت بحرقة:

– يا ليت الدمع يرجع لي ابني، مستعدة أذرف دمعي ودمي ومالي من أجل أن يعود لي مرة أخرى ولكن يا حسرتاه، فقدته إلى الأبد ، كُتب عليّ أن أُحرم منه دائمًا .

– ولكن إن قلت لكِ يا سيدتي أن لدي طريقة كي يعود لكِ ولدك للحياة مرة أخرى هل ستصدقينني . . . ؟

تحولت ملامح رحاب إلى ملامح الصدمة وقالت بغضب:

– هل جننتِ أم إنكِ تستغلين لحظة ضعفي وبكائي وتظنين أنني جننت . . . ؟

– حاشا سيدتي، ولكن أنا نيتي صادقة، لا أقدر أبدًا أن أراكِ تتعذبين بسبب فراق ابنك وأنا أعرف الحل وأحجبه عنكِ .

بدأت نظرات رحاب تتحول وكأنها صدقت كلامها وسألتها :

– وما هو هذا الحل . . . ؟

– يوجد ساحر من "توغو" وأنا أعرفه شخصيًا ، إنه ذائع الصيت في بلدي ويأتي لمصر مرة واحدة في العام، أي بعد شهر من وقتنا الحالي .

مسحت رحاب دمعها وقالت وهي تزدرد ريقها :

– وما الذي يقدر عليه هذا الساحر يا ألوما . . . ؟

– سوف أشرح لكِ كل شيء يا سيدتي، إن بلدي توغو معروفة بالسحر الأسود لأن ديانة الفودو منتشرة عندنا بشدة وإن كنتِ لا تؤمنين بالسحر إذا رأيتِ بعينك ما يحدث في بلدي لسوف تؤمنين به عين اليقين .

– ولماذا سوف أؤمن بقدرة السحر ماذا يحدث هناك . . . ؟

جلست ألوما تحت قدم رحاب وبدأت تحكي لها :

-في توغو عندنا لكل شيء حل وعلاج عن طريق السحر، وأدوات السحر تباع في الأسواق مثل الأعشاب في العطارة في مصر هنا، والسحرة في بلدنا نلجأ لهم كما تلجئون هنا إلى الأطباء.

- وهل السحر عندكم له جدوى أم مجرد دجالين كما الحال هنا . . . !

- نحن أصل السحر يا سيدتي، السحرة في بلدي لم يختاروا أنفسهم كي يصبحوا سحرة بل الآلهة اختاروهم كي يكونوا يدهم في الأرض كي يساعدوا الناس.

- الآلهة . . . ! هل لديكم أكثر من إله . . . ؟

- في ديانة الفودو يكثر عدد الآلهة عن أربعين إلهًا، وكل إله له دور يلجأ له الساحر على حسب الموضوع الذي جاء له به المحتاج.

- يعني الساحر عندكم قادر على فعل أي شيء.

- نعم يمكنه من خلال الآلهة أن يفعل أي شيء، يوجد الكثير من الفنانين والسياسيين يلجئون لسحرة الفودو من أجل مصالحهم الشخصية.

- يمكن أن أصدق أن الساحر قادر على أن يعطي المرء النجاح أو المال أو الحب ولكنه غير قادر على رد الحياة مرة أخرى لمن فقدها.

– ولكني لم أقل إن الساحر هو من يرد الروح، قلت لكِ أن السحرة في بلدنا يتم اختيارهم من قبل الآلهة وكل شيء يتم بيد إله من الآلهة لا بيد السحرة، السحرة ما هم إلا حلقة وصل فقط، ومعروف أن الآلهة هم من وهبونا الروح وهم من يأخذونها متى يريدون.

– عقلي غير مدرك ما تقولينه لي يا ألوما . . . !

– ما هو الصعب يا سيدتي، كل ما في الأمر أنكِ سوف تجهزين القربان المطلوب من الساحر، ولا تسأليني ما هو القربان أنا لستُ بساحرة، وإن كنتِ غير مؤمنة بالموتى الذين يعودون للحياة مرة أخرى أكيد في مرة من المرات شاهدتِ فيلمًا للموتى الأحياء أي "الزومبي" المشهورة جدًا في السينما الأمريكية.

رسمت ملامح الذعر على وجه رحاب وقالت صارخةً:

– هل تظنين أني جننت كي أوافق أن يتحول ابني لمسخ . . . ؟

– أبدًا يا سيدتي، أنتِ أسأتِ فهمي، إن ما ترينه في الأفلام ليس له علاقة بالواقع أبدًا، سوف أشرح لكِ.

أكيد تعرفين أن الكثير من الأفارقة تم أسرهم كعبيد في أمريكا فبالتالي انتشرت ديانة الفودو في أمريكا اللاتينية وصارت تمارس طقوس السحر الأسود وانتشرت ومن ضمن هذه الطقوس عودة الموتى للحياة من جديد .

يعود كما كان لا كما في الأفلام التي تظهرهم مثل المسوخ.

لم ترد عليها رحاب وظلت تفكر، فنادت عليها ألوما :

– ها يا سيدتي، هل ترغبين بهذه التجربة . . . ؟

تنهدت رحاب وقالت بنفاد صبر:

– أنا امرأة وحيدة وفقدت آخر من لدي في الحياة فلم يعد لي ما أخسره فلم أعد باقية على شيء، سوف أقدم على هذه الخطوة عسى أن يرجع لي فارس مؤنسي وسندي في الحياة.

***

ها هي الأيام تمر وجاء اليوم الموعود وذهبت رحاب وألوما إلى بيت متهالك معباً بالكثير من الناس ولكن كالعادة بسبب مال رحاب الكثير كان كفيلاً أن تدخل فور وصولها بعدما خرج من بالداخل.

رحاب تمسك بيد ألوما وقد أوشكت على فقدان الوعي لأن المكان مقبض للغاية والرائحة به خنيقة جداً، ولكنها تمالكت نفسها وبمجرد أن دخلت رأت عجوزاً شمطاء تجلس على الأرض فنظرت رحاب بتعجب لألوما وهمست لها:

- ألم تقولي لي أنه ساحر لا ساحرة.

قبل أن تنبس ألوما ببنت شفة نطقت الساحرة وقالت بثقة:

- أنا هنا كي أشرح المطلوب للناس لأن الساحر لا يتحدث العربية.

- ولكني أنا أ . . .

قاطعت الساحرة صوت ألوما وقالت بسخرية:

- أعلم أنكِ من نفس بلد الساحر وتفهمينه جيداً ولكن أنا هنا كي أساعد الساحر في بعض الأمور لا قول الطلبات، لأنه لو يرغب بتغيير صوته ولغته لفعل، ولكن ليس كل شيء يجب ذكره.

من ثم نظرت لرحاب المرتجفة وقالت لها ساخرة من خوفها:

- لمَ أنتِ خائفة هكذا، الدار أمان، المكان مكاني وأنتِ تحت حمايتي، اطمئني.

فجأة بدأ يتضح هيئة شخص يجلس بجوار الساحرة، رجل أسود اللون يرتدي سلسلة من أسنان الحيوانات، وفي أنفه حلقة ضخمة عظمية مما زادت من ملامحه رعبًا ، ففزعت رحاب من مكانها ، ولكن سرعان ما وقفت مكانها بمجرد ما سمعت صوت الساحر الذي ظهر من العدم .

فترجمت لها ألوما بسرعة:

– يقول لكِ لا تتحركي من مكانكِ وعليكِ أن تلتزمي باحترامه ما دمتِ بحاجة إليه .

تصلبت رحاب مكانها وأومأت برأسها أي موافقة، فجاءها صوت الساحر وترجمت ألوما في ذات اللحظة:

– أنتِ ترغبين في أن يعود لكِ ابنك من جديد ، لذا عليكِ أن تجلبي للإله ما يريد .

أومأت رحاب أي موافقة وعيناها تذرفان الدمع من شدة الخوف، فأكمل الساحر كلامه وترجمت ألوما :

– يجب أن نحضر نسرًا ذهبيًا وببغاءً برتقاليًا وغرابًا أسود قبل منتصف الليل .

ازدردت رحاب ريقها وقالت باكيةً:

– ولكن كيف لي أن أجدهم بكل هذه السرعة .

– سوف أحضرهم أنا بطريقتي ولكن أريد خمسة ملايين لكي نبدأ في الطقوس .

– لا يهمني المال، سوف أعطيك ما ترغب به ولكن أعد لي ابني .

– سيعود لكِ ولكن علينا أن نذهب حالًا لبيتك كي نبدأ بالطقوس .

***

ها هي رحاب والساحر والساحرة وألوما في جراج بيتها ، من ثم وضع الساحر خمس شمعات وفي المنتصف وضع صحنًا صفيحيًا به الكثير من الفحم الذي أشعله بمجرد نظرة من عينيه هو والشمعات الخمس وبدأ يرمي بشيء أشبه بالرماد كريه الرائحة، بسبب انبعاثه في الجو كان كفيلًا أن تحدث رجفة في المكان واهتزاز شعلة الشمعات بل أدى تمامًا لإطفائها ، بعدها بلحظة واحدة عادت الشمعات كما كانت مضيئة وفي منتصف الصحن المعدني الضخم نسر ذهبي وببغاء وغراب، وبنظرة من الساحر كانت كفيلة أن تضرم النار بهم، والساحر يتمتم بكلمات لم تفهمها حتى ألوما .

كانت الكلمات تزيد من أجيج النيران في تلك الطيور ، وبعد قليل أمسك الساحر بقطة سوداء ظهرت من العدم بين يديه، قام بطعن رقبتها بقوة بناب حيوان من

السلسلة التي يرتديها كانت كفيلة أن تنهي حياة القطة في لحظة، من ثم قام بإخماد النيران بدم ذلك القط، من ثم سحب يد رحاب التي صرخت من هول منظر الساحر وما يحدث أمامها، أمسك بيدها وشق كفها بناب ذا سن حاد، عصر يدها بقوة وهي تصرخ، فأخذت قطرات دمها تسقط على ذلك الخليط بين الرماد والدم.

وهو مستمر في أن يتمتم بكلام غير مفهوم غير عابئ برحاب أو بصراخها.

من ثم وضع بضع قطرات من سائل ما في زجاجة كانت معه ومن ثم بدأ يمزج الرماد والدم والماء سويًا وهو مستمر في قول تعاويذ مختلفة بسببها تتذبذب الشموع بسبب هبوب الكثير من الهواء وكان هذا دليلًا على وجود أطياف للجن في المكان.

ها هي ألوما تمسك يدها كي تطمئنها، من ثم ترك الساحر ما بيده وخرج للحديقة كي يجلب جثة فارس ولكن بمجرد أن خرج رأى تلك الغرفة الموجودة في الحديقة فجاءت له فكرة، فنادى على الموجودين في الجراج كي يخرجوا، من ثم بدأ بإخراج جثة فارس المتآكلة، سألته رحاب بخوف:

– ماذا تفعل بجثة ابني؟

لم يرد عليها وأخذ يخطو تجاه تلك الغرفة ووضع الجثة التي تم تكفينها على السرير ومن ثم أخذ يفتح الكفن عنه، وبدأ يدهن جسده بذلك المزيج الذي أحضره من الجراج وهو يتمتم بطلاسم إلى أن أكمل دهنه للجثة تمامًا ومن ثم نظر لرحاب وقال لها:

– ابنك سوف يكون معكِ مثل اليوم من الشهر القادم.

بمجرد ما سمعت رحاب ما ترجمته ألوما تركت يدها وتوقفت عيناها عن البكاء وظلت تنظر لجثة ولدها المتآكلة المدهونة بذلك المزيج والأمل قد تجدد في روحها أن يعود إليها من جديد.

من ثم هم الساحر بالخروج من الغرفة واتبعته تلك الساحرة العجوز ولكنها توقفت عند الباب والتفتت لرحاب وقالت موضحةً:

– آه عليكِ ألا تصلي ولا تتوضئي ولا تذكرين أدعية أو شيء من هذا القبيل لا أريد أن أوضح وأنتِ تفهميني جيدًا، لا تخربي كل المجهود بفعل أحمق منكِ.

من ثم ابتسمت بسخرية لرحاب الذاهلة مما مرت به.

***

– وبالفعل يا فريدة إنه استيقظ ووجد نفسه في تلك الغرفة كما ذكر لكِ وكان فاقدًا للذاكرة، هو صادق في كل هذا ولكن كان هناك أمر غريب يجب أن أقوله لكِ لأنه يؤكد شكوكك تجاهه، إنه من الموتى الأحياء هذا أمر غريب ولكن ما هو أغرب أنه ظل فترة من دون طعام كل الطعام كان لا يستسيغه و . . .

قاطعتها فريدة وقالت:

– نعم، أنا أعلم أنه لا يأكل مثلنا ولكني ظننت أن هذا بسبب مرضه، بل الحقيقة أن قصته لا يصدقها عقل .

–على العموم تبقى أمر لم أذكره لكِ في يوم انفعل خالد بشدة على أمه لأنه كان جائعًا جدًا وأمه لم تكن تعرف ما هو المناسب إليه و . . .

من ثم قطع كلامها صوت الرنين القادم من سلسلتها ، فلمستها وردت على المتصل:

– حسنًا ، سوف آتي حالًا .

من ثم همت مسرعة، فقالت لها فريدة بصوت عالٍ كي تسمعها لأنها ابتعدت عنها :

– أشكرك كثيرًا يا ريحانة .

ردت عليها ريحانة ولكن صوتها كان خفيضاً جدًا، من ثم نظرت لرانيا وقالت لها متعجبةً:

– آوه كيف لها أن تعرف كل ذلك في تلك المدة الوجيزة من دون أي أجهزة مجرد أنها تتمدد هكذا وتعرف ما تريد .

– هذه هبة ربانية وكما تعلمين أن الروح لا يؤثر بها الزمن، الزمن لا يعني شيئًا في عالم الأرواح الحر الذي يتميز بأنه بلا قيود عالمنا نحن .

– ترى ما هو الذي كانت تريد أن تحكيه . . . ؟

– في أقرب فرصة سوف أتواصل معها وسأعرف لكِ كل شيء، ولكن الآن بعد الذي علمتِهِ ماذا سوف تفعلين . . . ! إن فارس هو خالد ولكنه من الموتى الأحياء .

ابتسمت فريدة لرانيا وقالت لها :

– بل إنه عاد للحياة من جديد من أجلي، وهو ليس من الأموات الآن بل صار خالدًا ولن أُحرم منه مرة أخرى .

– هل تؤمنين بأن فارس عاد للحياة من جديد . . . ؟

– هذا ما رأته ريحانة وأنا أصدقها وأصدق ما رأته عيناها وكأنما رأيته أنا .

– الآن صارت ريحانة جميلة وتصدقينها لأن الموضوع على هواكِ .

– نعم أصدقها ولكن هل تظنين أن أمه أسمته خالدًا لأنه سيكون خالدًا ، أم سيكون له حياة أخرى ؟

– أنتِ منذ قليل قلتِ إنه خالدًا وسيكون معكِ إلى الأبد . . . !

– صحيح هذا ما قلته، ولكن أنا أسألكِ، ما رأيكِ . . . ؟

– أظن أن الخلود فقط لله ولكن يمكن ولا أستبعد دور دم ذلك القط أن له دلالة، هل يمكن استخدمه الساحر لأن معروف للقطط سبع أرواح و . . .

– لا يهم، المهم أن فارس قد عاد لي من جديد .

– أنتِ متزوجة بأبسل يا فريدة أظن أن فارس صفحة وانتهت وفي كل الحالات هو لا يتذكركِ

– أبسل . . . ! أنا لم أحب أبسل قط، أحببته فقط لأني رأيت أن به الكثير من الشبه بفارس، أحببته من أجل فارس ولم أحبه هو قط ولا تنسي أن هناك الكثير من الشكوك حوله بسبب الأحلام التي أراها ، لا تنسي أن جواد توعد لي، وفارس

وعدني بأني سأكون له ومعه دنيا وآخرة، وها هو قد صدق وعده وعاد لي ولكني خائفة أن يصدق جواد كذلك في وعده ويعود لكي ينتقم مني .

- ولكن هذا لا يعني أن أبسل هو جواد .

- يجب أن أقابل ريحانة مرة أخرى كي تساعدني في هذا الأمر .

***

الفصل الثامن

العودة

ها هي فريدة تصل لفيلتها ، فوجدت أبسل في استقبالها وملامح القلق على وجهه:

– هل أنتِ بخير يا فريدة . . . ؟

ظلت فريدة شاردة في عيني أبسل وهي تقول في قرارة نفسها :

–لا يوجد أحد تحمل تقلباتي مثل أبسل، يجب أن أعطيه فرصة أخرى ولا أهدم كل ما بيننا بسبب تخاريف .

ها هو أبسل يقترب منها ويهزها ويقول لها متعجبًا :

– فريدة حبيبتي هل تسمعيني . . . ؟ !

عادت فريدة لتركيزها وأومأت برأسها أي لا، فأخذ بيدها وأجلسها على الأريكة وقال لها بحنو:

– هل واجهتِ كابوسًا أو موقفًا ما في خلال يومك . . . ؟

– أتظن أن الجنون قد تمكن مني يا أبسل . . . ؟

تحسس أبسل وجهها برفق وقال لها :

– لم أظن هكذا أبدًا كل ما قلته لكِ أنكِ مجهدة بسبب ما مررتِ به وتحتاجين إلى الراحة والمتابعة مع طبيب نفسي .

شردت فريدة في عينيه وقالت في قرارة نفسها :

–يبدو أنهم جميعًا على حق، يبدو أني متعبة ولا يجب عليّ أن أحكم على أبسل من مجرد أحلام أو كوابيس وأفعاله في الواقع تثبت حسن نيته تجاهي .

– فريدة، هل أنتِ معي . . . ؟

أومأت فريدة برأسها أي نعم ولكن في ذات اللحظة رأت خاتم أبسل يومض من دون أن ينبعث منه تلك الشاشة المعلنة عن اسم المتصل، سرعان ما تحولت ملامح فريدة إلى ملامح الشك وسألت أبسل الذي لمس خاتمه مرتين فأنهى الاتصال:

– من المتصل يا أبسل . . . ؟ ولِمَ فعلتَ هذه الخاصية مرة أخرى . . . !

ازدرد أبسل لعابه وقال وهو يبتسم ابتسامة نابعة من التوتر:

– أوه لقد نسيت أن ألغيها من الأساس يا حبيبتي .

– إذن دعني أرى من المتصل .

هم أبسل بلمس خاتمه كي يفتحه وفي تلك اللحظة جاءه اتصال مرة أخرى، فنهض من مكانه مسرعًا وقال لفريدة وعلى وجهه ذات الابتسامة:

-حسنًا يا عزيزتي، سوف أرد على هذا الاتصال وأعود إليكِ مرة أخرى وسوف أنفذ لكِ مرادكِ.

ظلت فريدة تنظر له بصمت إلى أن خرج من الغرفة، فمددت فريدة جسدها على الأريكة وأخذت تفكر:

-ترى مع من يتحدث أبسل...؟

من ثم ضربت رأسها وقالت بتعجب:

-لِمَ صرتِ تشكين في كل شيء وتعطين الأمور أكبر من حجمها...! يبدو أن ريحانة عندها حق في حالتي، يجب أن أتغير وأعود مثل ما كنت، يجب أن أتوقف عن الشك.

بدأت فريدة تنعس وهي تكلّم نفسها:

-يجب أن أتوقف عن الشك، يجب أن...

***

ها هي فريدة تستيقظ من نومها ، تعدل من جلستها وتقول في قرارة نفسها وهي تمسح بيدها على وجهها كي تزيل ما تبقى من النوم:

–يبدو أني عندما قررت أن أتوقف عن الشك وفكرة عودة فارس لحياتي من جديد جلبت لي الراحة وأبعدت الكوابيس عني .

من ثم لمست فريدة خاتمها وأرسلت رسالة صوتية لفارس:

– فارس، أقصد يا خالد أريد أن أقابلكَ ضروريًا اليوم في العيادة، سأكون في انتظارك عصرًا كي أوضح لك كل شيء عن ماضيك .

مر بعض الوقت ولم تصل لفريدة أي رسالة فقررت أن تكمل نومها وتحاول أن تصل لفارس بعد استيقاظها .

***

فريدة في العيادة تنظر لساعتها وهي تفكر هل سيأتي فارس أم لا . . . ؟

من ثم سرحت في تلك اللوحة الموجودة وراء كرسيها التي تظهر طائر الفينيق الناري وتفكر وتقول بصوت خفيض:

–لقد قال لي فارس إن ذلك الطائر يعبر عن . . .

– أسطورة البعث بعد الموت، يبدو أن هذه اللوحة تعجبكِ بشدة يا دكتورة فريدة . . .

التفتت فريدة لمصدر الصوت وملامح الدهشة قد رُسمت على وجهها وهمت واقفة وقالت:

– فارس لقد عدتَ من جديد .

– لم أبتعد إلا بناءً على رغبتكِ، لا أدري ما هو سبب تجاهلكِ لي من الأساس، لا أدري لِمَ تغيرتِ معي منذ موضوع الصور ذاك .

من ثم ضرب رأسه وقال لها :

– آه وما قصة فارس هذا الذي تقولين اسمه بدلًا من اسمي، إذا كان لكِ أن تخطئي في اسمي فقولي لي يا أبسل لا فارس وذلك للشبه الكبير بيننا .

أشارت له فريدة كي يجلس وهي تبتسم له ولكنه مستمر في تساؤلاته:

– أم إن هناك شخصًا آخر يشبهني اسمه فارس . . . ؟

ضحكت فريدة وقالت:

– شيء كهذا .

نظر لها فارس بدهشة وسألها:

– تمزحين معي . . . أليس كذلك . . . ؟ ثلاثة أشخاص يشبهون بعضهم في نفس المكان، إن هذا أشبه بفيلم هندي بعض الشيء .

تمالكت فريدة ضحكتها وقالت بجدية:

– إن الأمر ليس كذلك، ولكن سوف أسألك سؤالًا بسيطًا وأريد أن أعرف رأيك . . . هل تؤمن بالبعث بعد الموت . . . ؟

– أكيد أؤمن بالبعث ولكن لِمَ هذا السؤال . . . ؟

عدلت فريدة من جلستها وقالت:

– أظن أنك لم تفهم سؤالي جيدًا، أنا أقصد هل تؤمن بالبعث، أي أن يعود الميت للحياة من جديد و . . .

– نعم أؤمن يا فريدة .

– أنت لم تفهم مقصدي لأنك قاطعتني، أنا أقصد أن يعود الميت للحياة حاليًا في هذه الدنيا لا أقصد يوم البعث والنشور لكل من في القبور .

ابتسم لها فارس وقال له بثقة:

– أقسم لكِ لقد فهمت مقصدكِ من البداية، نعم أصدق وأؤمن بهذا .

– وكيف لك أن تصدق مثل هذا الأمر . . . ؟ هذه الفكرة لا يصدقها عقل .

– أنتِ سألتني عن رأيي وهذا هو، يوجد الكثير من الأفكار التي أؤمن بها إلى أن يثبت العكس، على العموم فكرة الإيمان بها أفضل بكثير من فكرة نكرانها .

ضحكت فريدة وقالت ساخرة:

– إن أولئك الذين ينكرون وجود الإله والبعث وكل تلك الأمور أولئك في مأزق رهيب، هؤلاء مثل بعض الطلاب الفشلة الذين لا يرغبون في الدراسة فكل ما عليهم أن يتمنوا ألا يمروا بامتحان أو ألا يكون هناك امتحان من الأساس ولكن هيهات لا مفر من الامتحان يا عزيزي ودع النكران يفيدهم حينها .

– صحيح لذا الإيمان أفضل من النكران، والاستعداد أفضل في كل الأحوال .

– ولكن الإيمان أيضًا يجب أن يكون مبنيًا على أسس واقتناع، لا مجرد الإيمان بسبب الخوف من فكرة العقاب والعذاب في الحياة الآخرة .

أومأ لها فارس برأسه فقاطعته فريدة ساخرة:

– أنا أقول لك ذلك لا من أجل أن تومئ لي برأسك، بل أريد أن أعرف ما الذي دفعك كي تؤمن بأن هناك بعثًا، وخاصة البعث في هذه الحياة.

– كما تعلمين يا فريدة، أنا ليس لدي أصدقاء ومنذ أول يوم أتذكره في حياتي وأنا لم يكن لي صديق سوى أبسل هو أول من تقرب مني ومن ثم أنتِ، فصرتما أنتما أول صديقين لي، ولكن قبل ذلك كنت أشغل وقتي بالقراءة فقط.

– أوه بسبب قراءتك كل هذه المدة لديك معلومات كثيرة.

– مهما تجرعت من بحر العلم أشعر أني ما زلت عطشان ولم أجترع منه ما يكفيني أبدًا.

– أكمل لي يا فيلسوف زمانك أكمل.

– أنا شخص بسيط، لست فيلسوفًا أبدًا ولكن سوف أقول لكِ ما الذي دفعني إلى التصديق بهذه النقطة، إن فكرة البعث في هذه الحياة ما هي إلا معجزة في بعض الأديان وأمر طبيعي في بعض الديانات الأخرى.

مثلًا في الهندوسية والبوذية يؤمنون بتناسخ الأرواح وعودة الروح من جديد لهذه الحياة لعدة حيوات مختلفة مرة كرجل أو امرأة أو حيوان أو نبات.

قاطعته فريدة بجدية:

– ولكني لا أتحدث عن تناسخ الأرواح أو عودة الروح من جديد أنا أقصد . . .

– أعلم تقصدين عودة المرء بنفس الروح والهيئة التي كان عليها ، أنا فقط أسرد لكِ كل ديانة بمعتقدها ، ولكن الذي تتحدثين عنه ذُكر في القرآن الكريم، ولكن القرآن عكسها كمعجزة إلهية مثلًا في قصة عزير الذي مات لمئة عام هو وحماره وأعاده الله للحياة من جديد كمعجزة لإثبات قدرة المولى على بعث الموتى، وهنا عاد الإنسان ألا وهو عزير والحيوان ألا وهو الحمار وكذلك طعامه وشرابه أي النبات، في هذه القصة إثبات على حدوث هذه المعجزة، وكذلك توجد قصة أخرى تثبت هذه المعجزة وأنا أقول لكِ إن الإسلام يذكر أنها معجزات إلهية، قصة النبي إبراهيم عندما أراد أن يطمئن قلبه تجاه البعث فطلب منه الرب أن يقسم الطير إلى عدة أجزاء وبأمر المولى عاد الطير كما كان، وفي هذه المعجزة إثبات لقدرة الرب على البعث حتى وإن كانت الجثة غير موجودة في مكان واحد بل بأمره يجمع شتاتها من جميع البقاع كي تبعث من جديد .

– صدقت ولكنها تظل معجزة .

– وكل ما هو معجزة ربانية يجب الإيمان به، دعيني أكمل لكِ مثلًا ديانة الفودو المنتشرة في . . .

قاطعته فريدة بلهفة:

– هل تؤمن بهذه الديانة . . . ؟

– مجرد ديانة قرأت عنها مثل باقي الديانات .

– أقصد هل تؤمن بما يفعلونه ومعتقداتهم ؟

– لا أستبعد أي شيء في الحياة، ولكن تلك الديانة لا تمثلني .

– يعني هل تؤمن بقدرة بعض السحرة على إعادة بعض الموتى للحياة من جديد ؟

– السحرة لا يمكنهم فعل شيء ، الديانة والمؤمنون بها يقولون إن من يفعل ذلك هم الآلهة، السحرة ما هم إلا وسيط، يعني مثلًا بما إنكِ مسلمة هذه الفكرة لديهم تشبه القصة التي وردت في سورة البقرة عن قتيل بني إسرائيل وعندما أمر الرب أن يذبحوا بقرة وبالفعل عندما جلبوا تلك البقرة ذات المواصفات المطلوبة عاد الميت للحياة من جديد واعترف وقال من هو قاتله وفي هذه القصة نقول الرب هو من بعث الروح مرة أخرى لا نقول نبي الله موسى من رد الروح، وهذا مثال آخر على بعث الروح في هذه

الحياة وكذلك معجزة سيدنا عيسى عليه السلام عندما خلق الطير ونفخ فيه فصار ذا روح هنا نقول أن النبي عيسى من خلقه أم أنه خلقه بإذن الله كما ذكر في القرآن، وحتى شفائه للأكمه والأبرص والأعمى كل ذلك كان بأمر الله، ولا تنسي أن الانبياء كانوا يتهمهونهم الناس بأنهم سحرة.

ازدردت فريدة ريقها وقالت:

– وهل ستصدقني إن قلت لك أنك متَّ وبعثت للحياة من جديد . . . ؟

رسمت ملامح الصدمة على وجه فارس وقال متعجبًا:

– ما الذي تقولينه . . . ؟

***

الفصل التاسع

الذاكرة

سردت فريدة كل شيء لفارس عن حياته فقال لها فارس متعجبًا :

– لذلك كنت أشعر بأني أعرفكِ، ولكن لا أدري ما هو سبب هذا الشعور .

– نعم كنا سويًا في الماضي في مغامرة أشبه بالخيال .

– ولكن هل تتذكرين أول يوم قابلتك به أنتِ وأبسل عندما كنتِ داخل السيارة، يوم الحادث . . . !

– نعم أتذكره .

– في ذات اليوم حلمت بكِ .

دهشت فريدة وقالت:

– وأنا أيضًا ولكن هل يمكن أن تحكي لي حلمكِ بي ؟

–حلمت كأني في جِنان واسعة وحولي فتيات حسناوات أشبه ب . . .

– بحور العين، وأنا كنت أرتدي زيًا مثل زي الملكات، فوجدتني وأجلستني بجوارك على كرسي أشبه بالعرش، أليس كذلك . . . !

– ولكن كيف عرفتِ ما رأيته في منامي، هل هذا الموقف حدث في الماضي بيننا ويتكرر الآن . . . ! ؟

– لا بل هذه نفس الرؤيا التي رأيتها في ذات اليوم .

أمسك فارس رأسه وقال بتعجب:

– أنا لا أصدق، كيف لي أن أموت وأعود للحياة مرة أخرى بمعجزة بل وأقابلكِ مرة أخرى، إن هذا أشبه بأسطورة يجب أن تروى .

ضحك فارس وقال لها:

– تخيلي يا فريدة أن هذه الرؤيا التي رأيناها لا تكون مجرد رؤيا بل جزء من ذاكرتنا لإحدى حيواتنا في الماضي أنا وأنتِ .

– أتقصد أننا على مر العصور يجمعنا القدر ؟

– ولِمَ لا، أنا لا أستبعد أي شيء .

– أوه لهذا عندما عدتُ بالزمن، شيء ما جذبني لدخول هذا البيت، وكان السبب الحقيقي الذي يجذبني إليه هو أنت، وحينها عندما تكرر لقاؤنا لم أكن أدري لمَ أنا أقحمت نفسي في حياتك ولمَ أرغب في مساعدتك . . . ؟ ! يعني السبب هو أن روحي تعلقت بروحك في زمن من الأزمان .

– حتى أنا عندما قابلتكِ أول مرة عن قرب عندما زرتني مع أبسل في البيت، صرت أشعر أن حالتي تتغير، كانت روحي تتأثر بشكل كبير بسبب حضوركِ .

– يعني هذه الحالة الأشبه بحالة الصرع لم تكن بسبب مرضك . . . ؟

– للحقيقة لا، ولكن روحي شعرت بأن هنالك شيئًا اخترقها فأحياها أو شيء كهذا .

– أوه لذلك لاحظت أنا وأبسل اختلافًا في ملامحك وظننا أن هناك تحسنًا بسبب راحتك النفسية معنا .

– وظنكم صحيح، قربكم مني غيّر بي الكثير، وبخصوص هذا الأمر أريد أن أعترف لكِ بشيء .

– أنا كلي آذان صاغية .

- أنا كذبت عليكِ .

نظرت له فريدة بتعجب:

- كذبت عليّ . . . ! كيف . . . ؟

- كذبت عليكِ بشأن اكتشاف طبيبي الخاص لعلاج خاص لحالتي، بل الحقيقة أنا من بعد لقائي بكِ صرت لا أحتاج لجلسات العلاج الخاص بنقل الدم، لم أعد شاحبًا لم أعد متعبًا بمجرد قربكِ مني لبضع لحظات، لذلك قررت أن أقابلكِ في كل مرة تأتي لي فرصة للقائكِ، وبالفعل اكتشفت أثركِ عليّ .

فتحت فريدة فمها مندهشة من ثم سألت بجدية:

- ولِمَ أنا بالتحديد . . . ؟

- لأن مقابلاتي للناس كانت محدودة ولم ألحظ هذا الأثر على حالتي من قبل، ولا تقولي لي أن أبسل هو من بادر وقد يكون له تأثير . . .

- كيف علمت . . . ؟

– مجرد تخمين، هذا الظن استبعدته وتأكدت أنكِ وحدكِ السبب لأني قابلت أبسل عن قرب قبل أن تأتي لزيارتي بأسبوع تقريبًا ولم ألحظ أي تغيير لحالتي، بل يوم ظهوركِ كان صدمة لروحي، ولكنها صدمة أحيتني فعليًا .

– إن ما نمر به لا يعقل يا فارس .

– أعلم أنه لا يعقل، ولكن بما أنه حدث إذن فإنه يعقل، ولكن أنا متعجب جدًّا لمَ كنتِ منفعلة في هذا اليوم . . . ؟

– لأن يومها رأيت ملامحك وظننت أني جننت لأنك تشبه فارس جدًّا ولكن اليوم الذي وجدت به تلك الصور أثبت لي كل شيء .

حسنًا ، بعد أن تذكرتني ماذا سنفعل وهذا بعد أن علمت بأني قد أحببت أبسل لمجرد أنه يشبهك .

– لن نفعل شيئًا .

صدمت فريدة وقالت متعجبة:

– ماذا تقصد بأننا لن نفعل شيئًا يا فارس . . . ؟

-يجب أن تعلمي أنني الذي بحاجة إليكِ أكثر من حاجتكِ إليّ، ولكن يجب أن تعلمي شيئًا يا فريدة أن ترضي بقدركِ وبأبسل، إن أبسل هو نعم الرجل ونعم الصديق والأخ لي، هو أول من تقبلني وأصر على التقرب مني كي يخرجني من قوقعتي، ولولاه لما كنا سويًا الآن.

انفعلت فريدة وقالت بغضب:

-لا بل القدر هو من جمعني بك هذه المرة مثل ما جمعني بك في المرة السابقة.

-عندكِ حق، ولكن ما تفكرين به غير صحيح أبدًا يا فريدة، من فتح لي ذراعه وبيته لن أطَعنه وأغدر به وآخذ حب حياته لأنه كان لي في الماضي، يجب أن نترك الحياة تستمر كما كتبها القدر.

هنا قطع كلامهما صوت فتح الباب ففزعت فريدة بمجرد أن رأته.

نظر أبسل لفارس وقال متعجبًا ولكن لحق تعجبه تهليل بسعادة:

-أوه خالد . . . نورت العيادة يا رجل.

ابتسم له فارس وقال:

-هذا نورك يا أبسل، ولكن من الآن قل لي يا فارس.

نظر له أبسل بتعجب ومن ثم نظر بحيرة لفريدة ومن ثم سأل فارس:

– ألم تقل لي أن اسمك خالد يا رجل . . . ؟

ضحك له فارس وقال له:

– اعتبر أنه كان اسم الدلع لي .

– حسنًا يا فارس ولكن لِمَ لم ترد على اتصالاتي . . . ؟

– لم أرغب أن أشعر أني ثقيل عليكم .

– لا تقل هذا الكلام مرة أخرى يا رجل، أنت أخي ولكي نجعل علاقتنا وطيدة يجب أن يكون بيننا "عيش وملح" . هيا يا فريدة لكي نأكل سويًا .

نهض فارس من مكانه وقال:

– صدقني لست بجائع أبدًا .

من ثم نظر لفريدة وقال مبتسمًا:

– سبقتك يا صديقي .

***

ها هي فريدة في شرفة بيتها تنظر لفيلا فارس شاردة تفكر به ولكن سرعان ما قطع شرودها خروجه لشرفته، فهمت فريدة بدخول غرفتها، وبمجرد أن دخلت غرفتها استقبلت رسالة من فارس:

– أعلم أنكِ كنتِ تفكرين بي كما كنت أفكر بكِ.

التفتت فريدة ودخلت شرفتها من جديد فنظرت لفارس بحيرة ومن ثم أرسلت له رسالة:

– ولِمَ أنت متأكد هكذا . . . ؟

– لأن روحكِ إن لم تنادِ على روحي لما كنت خرجت وقابلتكِ الآن، روحي وروحكِ مرتبطان سويًا، كلانا توأم شعلة، كلانا منجذب للآخر وكأننا خُلقنا لبعضنا.

–ولكنك رفضت أن نغير قدرنا ونكون سويًا.

– ومن قال لكِ أننا لن نكون سويًا بل سنكون قريبين لبعضنا البعض ولكن بشكل يحترم ما قدّره القدر.

– لماذا تظن أني أقول لك هذا الكلام وفي الغد سوف ننفصل أنا وأبسل وسنكون سويًا ، يجب أن تعلم أن علاقتي بأبسل بعد الزواج صارت متذبذبة بعض الشيء ، وللصدق أشعر أحيانًا أني ظلمته لأني أحببته فقط لأنه يشبهك لا لكونه هو ، وبمجرد ظهورك في الواقع صرت أشعر بداخلي أني هكذا أخونه حتى بظني ، لذا أريد أن أقرر وأن تكون مشاعري حقًا للشخص الذي نبض له قلبي منذ البداية ألا وهو أنت .

– دعي أقدارنا تسير كما كُتبت لنا ، يجب أن نتحمل مرارة القدر أفضل بكثير من اجتراع الحميم بسبب اختياراتنا .

ظلت فريدة تنظر له بصمت من دون أن ترد على آخر رسالة له ، فأرسل لها رسالة أخرى:

– فريدة ، لِمَ لا تردين عليّ فيما تفكرين . . . ؟ لا تفكري كثيرًا لقد أوضحت لكِ أنا صرت في الحياة لا أرغب في شيء سوى وجودكِ فقط ، وفكرة وجود أبسل أشعر أنه نعمة جميلة لكلانا ويجب أن نحبه كما يحب كلانا .

حينها دخل أبسل الشرفة وراء فريدة وأشار لفارس وقال له:

-تعال يا فارس نسهر سويًا .

أشار له فارس أي أنه موافق، من ثم نظر أبسل لفريدة وقال لها برومانسية:

- كنت متأكدًا أني سوف أجدكِ هنا ، صرت أحفظكِ يا حبيبتي .

نظرت له فريدة وقالت بحيرة:

- ولكني مهما حاولت لا أفهمك أبدًا يا فارس، أقصد يا أبسل .

تلعثمت فريدة وشعرت بحرج ولكن سرعان ما قال أبسل متعجبًا :

- يبدو أن الشبه بين كلانا جعلكِ لا تفرقين .

- لا، لم أقصد أبدًا أن . . .

سحبها أبسل من يدها بعفوية وقال بابتسامته المعهودة:

- لا يهمكِ يا عزيزتي، أعرف أنكِ متعبة، هيا بنا كي تخرجي من قوقعة تفكيرك وتقضي وقتًا جميلًا معنا .

***

الفصل العاشر

وهم أم حقيقة . . . !

فريدة وفارس وأبسل جميعهم في الحديقة يضحكون سويًا إلى أن ومض خاتم أبسل فلمست فريدة الخاتم فانبثقت منه شاشة تحمل اسم إيفانا ، فنظرت بحيرة لأبسل:

– من هذه إيفانا التي تتصل بك الآن يا أبسل . . . ؟

توتر أبسل من ثم ابتسم وقال:

– ماذا بكِ يا حبيبتي . . . ؟ إنها إيفانا صديقتكِ .

– غريبة، ولِمَ تتصل بك ومنذ متى . . . ؟

– يمكن تتصل لأنها تريد أن تطمئن عليكِ .

– ولِمَ لم تتصل بي مباشرة . . . ؟

– يمكن لم تستطع أن تصل لكِ، على العموم اسأليها يا عزيزتي، المهم أني ألغيت تلك الخاصية .

من ثم غمز لها ، فوكزته فريدة وابتسمت له، فنهض أبسل وقال لها :

– سأقوم باتصال وآتي في الحال .

من ثم نظرت فريدة لفارس متعجبة:

– ألن تشرب العصير حتى يا فارس . . . ؟

– لا أحتاج لشيء ما دمتِ أمامي .

– هل تريد أن تقنعني أنك لن تأكل أو تشرب أبدًا ما دمتُ معك .

– صحيح .

– وهل هذا يصدقه عقل . . . ؟

ابتسم وقال لها :

– وهل الميت يعود للحياة . . . ؟ !

عاد أبسل بعد ما أنهى مكالمته سريعًا ، فنهض فارس مستأذنًا كي يرحل فذهب معه أبسل كي يوصله:

هنا ظلت فريدة تنظر لفارس وهو يهم بالرحيل وتسأل نفسها متعجبةً:

–آه يا ربي ما هذا الذي أمر به . . . ؟ لو كان فارس الذي حكى لي قصة بعثه للحياة مرة أخرى لم أكن لأصدقه ولكن ريحانة لا تربطني بها أي صلة، مجرد أنها

قالت لي ما رأته وكفى، ولكن كيف له ألا يأكل أو يشرب، يعني في السابق صدقت أنه يعيش على جلسات علاجية، بينما الآن كيف له أن يكتفي بي . . . ؟ يعني إن لم أكن معه سيعود كما كان شاحبًا أغلب الأحيان . . . ؟

– فريدة حبيبتي هل ستظلين شاردة هكذا . . . ؟ أرجوكِ أريحي عقلكِ قليلًا .

قالت فريدة في قرارة نفسها :

–كل ما يريده أبسل أن أتوقف عن التفكير وكفى وكأنني أفكر بعقله .

قال لها أبسل وهو يقوم بسحبها كي تقف معه:

– كثرة التفكير هي التي تسبب لكِ الإجهاد، هيا معي كي نرتاح في غرفتنا .

نظرت فريدة لعينيه وقالت في قرارة نفسها :

–عليّ أن أعطي فرصة لأبسل، خاصة وأن فارس وموضوع عدم تناوله للطعام أو أن يشرب حتى يجعلني أضع عليه علامات تعجب واستفهام .

ها هي فريدة تصل غرفتها مع أبسل، من ثم تفيق من شرودها على صوت أبسل الذي يهمس لها :

– هل تعلمين أني اشتقت إليكِ كثيرًا . . . ؟

تنهدت فريدة وقالت:

-وأنا اشتقت لنفسي كذلك.

- سترتاحين يا حبيبتي صدقيني، سلمي نفسكِ لي وكل شيء سيكون على ما يرام.

فريدة تستيقظ وهي تشعر بأن هناك ألمًا في بطنها، تفتح عينيها فتجد ذلك الطائر ولكن بحجم أصغر ينقر في بطنها وثوبها تلطخ بالدم، وبمجرد أن نظرت له نظر لها بحدة وطعنها بمنقاره فانشقت بطنها فخرج منها حميم، ظلت تصرخ بقوة من شدة الألم...

ها هو أبسل يضرب فريدة على وجهها وهي تصرخ بقوة، إلى أن فتحت عينيها:

- فريدة، توقفي عن الصراخ يا فريدة، أنا هنا بجانبكِ.

فتحت فريدة عينيها تلهث وتنظر بقلق وخوف لأبسل، فلمس وجهها برفق:

- لا تقلقي يا حبيبتي، أنا هنا معكِ، لا تقلقي من شيء.

أبعدت فريدة يده عنها ومسحت وجهها وقالت:

- لا أدري لمَ عادت الكوابيس لي...؟

-أتقصدين أني السبب وفي كل مرة أقترب منكِ بها يحدث معكِ هكذا . . . ؟

-لا يحدث هذا دائمًا ولكن لا أدري ما سبب تلك الكوابيس . . . ؟

سحب أبسل الغطاء عن جسده ونام على جانبه الآخر وهو يقول بصوت قد غلبه الحزن ونفاد الصبر:

-يجب أن أوضح لكِ أن ما ترينه أغلب الوقت ليس بكوابيس، أنتِ الآن كنتِ معي بمجرد ما أغمضتِ عينكِ صرختِ، يجب أن تتعالجي يا فريدة، أريد حبيبتي ترجع لي من جديد .

***

ها هي فريدة تصل لعيادتها وتجلس على كرسيها وتتأمل في لوحة طائر الفينق، وتشرد وتقول في قرارة نفسها:

-لماذا أرى هذه الكوابيس . . . ؟ ما الفائدة منها . . . ؟ لم أستفد منها شيئًا إلا أنها زعزعت علاقتي بأبسل . . . ! وما فائدة ظهور فارس في حياتي مرة أخرى . . . ما المغزى من الذي أمر به الآن . . . وما هو هذا الطائر الذي أراه في أحلامي . . . ؟ على ماذا يدل . . . ؟ هل يمكن أن يرمز لفارس لأن هذا الطائر رمز

للبعث مرة أخرى، ولكن إن كان يدل على فارس عليّ أن أحذر منه لأن هذا الطائر يحاول قتلي . . . كيف لم أنتبه لهذه النقطة . . . ! يعني أحلامي تسببت بأن أشك في أبسل والآن فارس . . . ؟ !

أغمضت فريدة عينيها وقالت بتعب وهي تلمس جفنيها المتعبين:

-يبدو أنكِ متعبة يا فريدة . . . أفضل شيء أن أبتعد قليلًا وأكون بمفردي كي أصل لقرار .

بمجرد ما التفتت بكرسيها فزعت فريدة:

- صرتِ تخافين مني يا فريدة . . . !

تنهدت فريدة وقالت:

- لا أبدًا، أنا لا أعرف ما هو الخوف . . . ؟ لم أكن أظن أن تأتي لي باكرًا هكذا للعيادة .

اقترب فارس وجلس على الكرسي أمامها وقال:

- رأيتكِ تخرجين باكرًا فقررت أن آتي وأكون معكِ، ولكن أرغب أن تسامحيني أني دخلت هكذا من دون استئذان ولكني وجدت كل الأبواب مفتوحة و . . .

قاطعته فريدة بتنهد وتعب:

– لا يهمك يا فارس . . .

ولكن قطع كلامها صوت أبسل الذي دخل العيادة:

– كنت أعلم أنكِ هنا يا . . .

قطع صوته الملهوف بمجرد ما دخل مكتب فريدة ورأى فارس معها ، ولكنه تمالك حيرته وقال بصوت هادئ متعجب وهو يجلس على الكرسي المواجه لفارس:

– أظن أنكما صرتما مقربين جدًا ، هذه ثاني مرة آتي للعيادة وأجدك مع فريدة .

– مجرد صدفة يا أبسل لا أكثر ولا أقل .

نظر أبسل لفارس نظرة ريبة ومن ثم نظر لفريدة بلهفة:

– أعلم أنكِ حزينة مما صدر مني بالأمس، وبمجرد أني رأيتكِ لستِ بجواري فقررت أن آتي لهنا ونفطر سويًا .

ابتسمت له فريدة، وهم أبسل بوضع الطعام على الطاولة الموجودة بين الكرسيين وقال لفارس:

– هيا تفضل معنا يا فارس . . .

نهض فارس من مكانه وقال بابتسامة:

– لا أشكرك يا أبسل، أترككما على راحتكما الآن.

نظر أبسل بحيرة لفارس وقال:

– ما الذي يجري يا رجل لِمَ صرت هكذا عندما أحضر ترغب في أن ترحل؟

من ثم ضحك متعجبًا وقال وهو ينظر لفريدة:

– عندما تحضر الشياطين تذهب الملائكة . . . !

ضحك فارس وقال له:

–يا رجل يقولون عندما تحضر الملائكة تذهب الشياطين.

ضحك أبسل وهو ينهض من مكانه ويمسك بفارس كي يجلس على الكرسي مرة أخرى:

– يا رجل لا أستطيع أن أقول عنك أنك من الشياطين، فالشياطين لا يعرفون الخجل.

هم كي يأخذ كرسيًا آخر وجعل فريدة تجلس عليه، ومن ثم قال لهما:

– هيا نفطر سويًا . . .

وبالفعل بدأت فريدة بالأكل وأبسل كذلك، ولكن فارس لم يمد يده حتى . . .

هنا ضحك أبسل وهو يمسك بلقمة في يده وهو ينظر لفارس:

– يا رجل مد يدك معنا لا يصح أن تجلس وتنظر فقط، أتعلم من هم لا يستطيعون مد أيديهم كي يأكلوا . . . !

ابتسم له فارس وقال له:

– الملائكة كما شبهتني منذ قليل يا أخي .

ضحك أبسل وأكل لقمته وهو يهز رأسه أي نعم، ولكن قطع نظراتهما صوت فريدة:

– لقد شبعت .

نظر لها أبسل بحيرة:

– ولكنكِ لم . . .

همت فريدة من مكانها وهي تقول في عجالة:

– يجب أن أخرج الآن يا أبسل عندي مقابلة مع صديقة لي .

ترك أبسل الأكل من يده ونظر بحيرة وحزن كمن ليس بيده حيلة .

***

ها هي فريدة تركب سيارتها وتقودها بسرعة وتصل لبيت رانيا وتتصل بها :

– رانيا أريد أن أقابلكِ ضرورًيا . . . ؟ أنا أمام بيتكِ .

ردت رانيا بصوت ناعس:

– ولكني لست في بيتي في القاهرة، أنا في الإسكندرية .

– أريد أن أقابلكِ ضرورًيا يا رانيا .

– حسنًا سوف أرسل لكِ عنواني الجديد في الإسكندرية وسأكون في انتظاركِ .

***

ها هي فريدة وصلت لـ "شاليه" أمام البحر مباشرة، رأت أمام باب الشاليه رانيا في انتظارها تؤشر لها ، اقتربت منها فريدة وقالت لها بحيرة:

– رانيا أنا أشعر بحيرة رهيبة . . . أحتاج أن أحكي معكِ .

– حسنًا تفضلي لا يصح أن تظلي هنا هكذا .

أشارت فريدة كأنها تشعر بخنقة رهيبة وقالت:

– أفضل أن نتكلم أمام البحر .

– وهو كذلك، أنا معكِ .

تنفست فريدة بعمق وهي تتأمل في البحر ومن ثم نظرت لرانيا وقالت:

– هل يمكنكِ أن تدعي ريحانة كي أقابلها مرة أخرى، أنا في حيرة رهيبة . . . ؟

– أنا اتصلت بها عندما طلبتِ مني أن أعرف باقي ما حدث، وبالفعل ردت عليّ .

قالت فريدة بلهفة:

– وماذا قالت لكِ . . . ؟

–قالت لي عليكِ أن تحذري . . .

نظرت فريدة بحيرة:

– أحذر من ماذا . . . ؟

– لا أدري يا فريدة . . . لم تكمل كلامها .

– ولِمَ لم تكمله . . . ؟

– الاتصال انقطع .

– اتصلي بها مرة أخرى .

رفعت رانيا حاجبها متعجبة ساخرة:

– على أساس لم أفعل ذلك . . . أنا أحاول أن أتصل بها يوميًا منذ ذلك اليوم . . . لذلك لم أتصل بكِ . . . قلت سوف أتصل بكِ إذا تمكنت من الوصول لريحانة .

– هل تعرفين بيتها . . . ؟

– نعم أعرفه وسألت عنها ولكن لا يوجد أحد يعلم أين ذهبت هي وأسرتها . . . يمكن سافرت الله أعلم وهذا سبب عدم وصولي لها .

أمسكت فريدة برأسها ومن ثم نظرت للبحر وتنفست الصعداء كي تهدأ من التوتر وبعد تفكير طويل وهي مغمضة العينين قالت بلهفة:

– ريحانة قالت إن لها خالة طبيبة نفسية يمكن أن تساعدنا في الوصول لريحانة .

– بالفعل وصلت لعيادتها ولكنها لا تعلم أي شيء عن ريحانة وأخبرتني أنها ستبلغني في حالة تواصلت معها ريحانة .

تنهدت فريدة بصوت فاقد الأمل:

–آآآآآآه، ماذا أفعل الآن . . . ؟

أمسكت رانيا يدها وقالت لها:

– لا تفعلي شيئًا .

نظرت لها فريدة بحيرة:

– إن الشك اشتعل في كل جوارحي ولا أدري ماذا أفعل . . . ! ؟ أريد أن أرتاح يا رانيا ، أريد أن تخمد نيران جوارحي .

– حسنًا يا فريدة يمكنكِ أن تحكي لي ما حدث معكِ وأنا يمكنني من واقع خبرتي في الحياة أن أساعدكِ .

حكت فريدة الجديد الذي مرت به، ورانيا تنصت لها فقط، وبعد أن انتهت من الحديث نظرت لها رانيا وهي تمسك بيدها كي تهدأ من حيرتها :

– سأقول رأيي لكِ وسوف أتخيل أني مكانكِ تمامًا ، لو كنت مكانكِ لأعطيت فرصة لأبسل، إنه شاب حنون وتحمل تقلبات مزاجكِ وشكككِ وقدّر كل ذلك بسبب حبه لكِ . إنسان تحمل شككِ تجاهه بسبب مجرد أحلام، والآن تريدين أن تهجريه لأنكِ وجدتِ حبكِ الأول . . . ! هل أبسل ذنبه أنه أحبكِ كي تجعليه يعاني هكذا . . . ؟ ولن أتكلم عن فارس وحالته الغريبة سواء في عودته أو تصرفاته، أنا أتكلم وأنا أعتبره إنسانًا مثله مثلنا ويأكل مثلنا ولا يوجد حوله أي شكوك لا تختاريه

لأنكِ متزوجة وزوجكِ يحبكِ، احترمي اختيار القدر يا فريدة، ولا تتبعي الضلالات والأوهام. . .

قطع كلامها صوت رنين هاتف فريدة، فنظرت لها رانيا "أي من المتصل" ابتسمت فريدة وقالت:

-أبسل. . .

ابتسمت لها رانيا وهمت من مكانها وهي تقول:

- دعي القدر يسير كما هو، وعليكِ بالرضا وكما قلت لكِ لا تصدقي الضلالات.

أومأت فريدة لرانيا بابتسامة، ومن ثم همت بالرد على الاتصال:

-ألو. . .

- فريدة حبيبتي، أين أنتِ الآن. . . ؟

- مع صديقتي يا أبسل.

- هل يمكن أن تعودي لقد حضرتُ لكِ مفاجأة. . . ؟

- وما هي هذه المفاجأة. . . ؟ !

ضحك أبسل وقال لها:

– ألن تتوقفي عن طبعكِ ذاك . . . ! لا لن أقول لكِ يجب أن تري بعينيكِ الجميلتين .

تنهدت فريدة وقالت له:

– ولكن يا أبسل أرغب في أن أبتعد ليومين أو ثلاثة كي أعود بحال أفضل .

قال أبسل بأسى:

– هل ستتمكنين من البعد . . . ؟

تنهدت فريدة وقالت بأسى:

–أعرف أنك تعبت من وضعي ولكن أحتاج أن أصفي ذهني قليلًا .

تنهد أبسل فاقد الأمل:

– حسنًا يا فريدة كما تشائين .

***

بعد مرور ثلاثة أيام قررت العودة لفيلتها ولكنها لم تجد أحدًا في الفيلا، اتصلت بأمها وهي تشعر بقلق ولكنها لم تجب على الاتصال .

من ثم قررت فريدة أن تتصل بأبسل ولكن أبسل كان مشغولًا حاولت ثلاث مرات ولكن بلا جدوى، فقررت أن تذهب لفيلا فارس وها هي تنتظر كي يجيبها ويفتح

لها الباب، ولكن بلا جدوى، فقررت أن تعود لفيلتها وألقت بجسدها على السرير ولكن فجأة سمعت رنين هاتفها وكانت أمها فنهضت فريدة جالسة:

– أين أنتِ يا وتين . . . ؟

– لمَ أنتِ قلقة هكذا يا فريدة . . . ؟ أنا وجدتكِ سافرتِ أنتِ وأبسل فقررت أن أسافر لأهلي في دمنهور أفضل من وحدتي التي تقتلني .

غضبت فريدة:

– لا تقولي هذه الكلمة مرة أخرى يا وتين لو سمحتِ، أنا متعبة للغاية ولا أستطيع أن أسمع كلامًا يصيبني بغصة تخنقني أكثر مما أنا عليه .

– ماذا بكِ يا بنيتي . . . ؟ قولي لي .

تنهدت فريدة وقالت:

– أنا بخير يا أمي ما دمتِ أنتِ بخير .

– مصرة تقولي لي يا أمي وهذا الأمر يزيد شكوكي يا فريدة .

تنهدت فريدة ضاحكةً:

– وتين توقفي عن مزحكِ هذا، آه ولا تنسي العلاج في الموعد .

-حسنًا يا ماما فريدة.

ضحكت فريدة وقالت:

-بربكِ توقفي يا وتين.

-حسنًا يا عزيزتي انتبهي لنفسكِ ولأبسل.

ها هي فريدة تقوم من على السرير وتقف أمام شرفتها الزجاجية وتنظر بحيرة لفيلا فارس المغلقة تمامًا، فهمت بجعل شاشة خاتمها تنبثق متأهبةً لكتابة رسالة لفارس ولكنها قررت ألا ترسل له شيئًا وقالت في قرارة نفسها:

عليّ أن أحترم القدر لن أرسل له شيئًا هو مجرد جار لا أكثر.

قطع تفكيرها وشرودها صوت رسالة، فاقت من شرودها وقرأتها:

-"فريدة خذي حذركِ".

فريدة حاولت أن تتصل بأبسل كي تفهم مقصده من الرسالة ولكنه لا يرد.

أرسلت فريدة له رسالة:

-"يجب أن توضح لي لِمَ يجب أن آخذ حذري ومن ماذا . . . ! ولِمَ لا تجيب على اتصالي . . . ؟".

من ثم قررت أن ترتاح قليلًا حتى يتصل بها أبسل يوضح لها سبب الرسالة .

من ثم غاصت فريدة في نوم عميق بسبب كثرة التفكير والتشتت اللذين تمر بهما .

ها هي فريدة نائمة على سريرها ، وتشعر أن هناك شيئًا يلمس وجهها برفق، شيء ناعم يلمسها ، شيء أشبه بنعومة الريش .

فتحت عينيها بتعب، فرأت أن ريشًا بالفعل يلمس وجهها . . . !

فزعت فريدة عندما رأت ذلك الطائر على سريرها بجوارها يتأمل بها ويلمس وجهها بريش جناحه الناري .

نهضت فريدة جالسة تنظر له بفزع وحيرة من نظرة عينيه، كانت تشعر أن الطائر ينظر لها بعينين دامعتين .

ها هو يقترب منها وبدأت فريدة تتأثر بنظرة عينيه وقل الفزع من قلبها ، ورأت في عينيه تلألؤًا رهيبًا أتبعه تساقط لدموعه بمجرد ما رأت فريدة دموعه خبأ رأسه في حضنها ، ضمته فريدة وهي تلمس ريشه برفق كي يهدأ ، أغلقت فريدة عينيها عندما بدأت تشعر بالراحة والطائر في حضنها ، ولكنها سرعان ما فتحت عينها مفزوعة:

– ما هذا . . . ؟ ما هذا الذي يحدث هنا . . . ؟

رأت أبسل يقف أمامها مصدومًا ، فقالت له بحيرة:

–متى عدت . . . ؟

اقترب من السرير وهو مستشيط غضبًا :

–هل تريدين أن أستأذنكِ قبل أن أعود كي تخونيني براحتكِ . . . !

من ثم أمسك بفارس وهم بضربه بشدة، نظرت فريدة بجوارها رأت فارس يُسحب من جوارها فصرخت عندما رأته بجوارها ونهضت من السرير تتراجع بظهرها تنظر لأبسل وهو يضرب فارس بكل قوته الذي لا يدافع عن نفسه حتى، فبدأت فريدة تصرخ وتقول وهي تهذي:

– هذا حلم . . . أكيد هذا حلم وسوف أستيقظ الآن . . .

بدأت تضرب وجهها بقوة وهي تقول صارخة باكيةً:

– استيقظي يا فريدة استيقظي . . .

ترك أبسل فارس ملقى أرضًا ونظر لفريدة بنظرة غضب واقترب منها وأمسك شعرها وقال لها باحتقار:

– توقفي عن جنانكِ المصطنع هذا يا خائنة، ماذا تظنين أني مغفل لهذه الدرجة كي تستمري في كذبكِ حتى بعد أن وجدتكِ معه في هذا الوضع . . .

فريدة تصرخ من قبضته ولكنه مستمر في سحبها من شعرها أكثر ورماها أرضاً وهو يقول لها باكيًا :

– لهذا كنتِ تصطنعين المشاكل كي أبتعد عنكِ ويخلو لكِ الوقت معه .

رفعت فريدة شعرها الطويل من على وجهها وقالت صارخةً باكيةً مدافعةً عن شرفها :

– لم أخنك يا أبسل . . . ؟ ولم أصطنع شيئًا إنه كان مجرد طائر وجدته بقربي .

اقترب منها أبسل وسحبها من شعرها وقال لها باكيًا غاضبًا :

– هل تظنين أن بإمكانكِ أن تستغلي حبي وتفعلي ما تشائين، يمكن أن أسامحكِ في أي شيء إلا الخيانة، إلا الخيانة .

من ثم أوقفها أمامه وظهرها للشرفة وبدأ يخنقها بكل قوته وفريدة تحاول أن تدافع عن نفسها وتقول بصوت مخنوق:

– لم أخنك صدقني، كان مجرد طائر صدقني . . .

من ثم التفت بفريدة ويداه ملتفتان حول عنقها ، من ثم تحولت نظرة فريدة من نظرة من يقاوم الموت إلى نظرة المصدوم من شيء من الخلف .

نظر أبسل لفستان فريدة الذي بدأ يُلطخ بالدم فتركها من بين يديه وهو ينظر بحيرة لجسمها من ثم نظر لفارس الماثل أمامه وهو ينظر لجسدها الملطخ بالدم وليده ذات المخالب الطويلة مثل السكاكين . . .

كلاهما نظرا لفريدة التي كانت تنظر لهما بشرود باكيةً من الألم، هم أبسل مسرعًا كي يمسك بفارس ولكنه سرعان ما تحول أمام عينيه إلى ذلك الطائر وفر هاربًا من الشرفة .

هنا نظر أبسل باكيًا متعجبًا من تحوله لطائر من ثم ضم فريدة صارخًا :

– فريدة، انظري لي، ستكونين بخير . .

هم يحملها بين ذراعيه وضمها لصدره وطار بجذائه من الشرفة لأقرب مشفى، وهو يبكي بحرقة ويتمتم باكيًا :

– لا تتركيني يا فريدة، لا تتركيني .

***

الفصل الحادي عشر

كشف المستور

ها هو أبسل يفتح باب غرفة فريدة، تظهر فريدة شاحبة ملقاة على سريرها ومعلق لها محلول، وبمجرد ما دخل الغرفة والتقت عيناه بعيني فريدة، أشاحت بنظرها عنه مسرعةً فتحرك تجاهها باكيًا:

– فريدة، حبيبتي، أرجوكِ انظري لي . . .

تبكي فريدة ولا تنظر له فيجثو أبسل أرضًا باكيًا تجاهها:

– أرجوكِ يا حبيبتي سامحيني، إن الموقف لم يكن هينًا عليَّ أبدًا .

تنفست فريدة بعمق كي تتمالك نفسها وكي لا تبكي، من ثم أمسك أبسل يدها:

– أرجوكِ سامحيني، تذكري لي أي لحظة حلوة .

أشاحت فريدة بنظرها عنه، فنهض من مكانه كي يواجهها مرة أخرى متلهفًا لرؤية وجهها وهو ينظر لها بابتسامة مكسورة:

-إن كنتِ لا تريدين أن تسامحيني لشخصي أنا، فلتسامحيني من أجل ابننا القادم في الطريق.

صدمت فريدة وقالت:

-ابننا . . . ؟ كيف ومتى . . . ؟

اقترب منها أبسل وقبّل يدها:

-تخيلي أن الأطباء يقولون إننا لمحظوظون لقد نجا ابننا ولقد نجيتِ يا حبيبتي.

-منذ متى وأنا هنا . . . ؟

-يومان فقط والحمد لله ها أنتِ معي الآن.

سحبت فريدة يدها من يده ونظرت له محتقرة إياه:

-وما الذي يجعلك سعيدًا بالطفل الذي في بطني، ما الذي يؤكد لك أنه ابنك . . . ؟

-لأني أثق بكِ يا فريدة . . .

ضحكت فريدة ضحكة تهكم وهي تذرف الدمع:

– هههههه، أضحكتني يا أبسل . . . تثق بي أنا . . . ! من هو الذي كان يريد أن أموت بين يديه ؟

– كنت غبيًا يا فريدة صدقيني لم أكن بوعيي لم أدرك ماذا أفعل من هول الصدمة ولكني رأيت برهان براءتكِ بعيني وتحول فارس هذا إلى ذلك الطائر .

– لم يعد لتصديقك لي قيمة، لو كنت صدقتني في تلك اللحظة لكان هذا سببًا لعودة علاقتنا مرة أخرى ولكن بعد الذي فعلته أعتبر أن كل شيء بيننا انتهى .

– أرجوكِ يا فريدة فرصة واحدة لا من أجلي أنا بل من أجل طفلنا .

– للأسف لا أثق بمن يشك بي .

– هل تريدين تركي كي تذهبي لفارس . . . ! ؟

– ما زلت على نفس ظنك يا أبسل .

تنفس أبسل وقال كمن استجمع قواه:

– للعلم فارس هذا لغز كبير ولقد اكتشفت عن حقيقته أمورًا وما زلت سأعرف عنه المزيد .

نظرت له فريدة بغضب وحيرة:

- ماذا تقصد . . . ؟

- سأحكي لكِ ما حدث . . .

بمجرد أن وصلتُ هنا صرختُ بمن في المستشفى كي يلحقوا حالتكِ حينها أغلقتِ عينيكِ ولم تعودي تردي عليَّ، هموا بسرعة بوضعكِ على ناقلة ولكن منعني رجل أمن من الدخول معكِ، أبعدتُ يده عني وقلت بغضب:

- أبعد يدك عني، يجب أن أدخل معها، إن زوجتي تضيع مني .

هم رجل أمن آخر بأن يمسك بيدي الأخرى، استمررت في المقاومة:

- ابتعدا عني، اتركاني أذهب إليها . . .

ولكن سرعان ما وقعتُ على ركبتي نادمًا باكيًا:

- أنا السبب في كل ذلك، أنا السبب لم أستطع أن أدافع عنكِ . . .

فجأة رأيت حذاء رجل يقف أمامي وكزني بالعصا كي أنظر له، بمجرد ما رفعت رأسي رأيت أمامي رجل شرطة ينظر لي بنفاد صبر:

- يا إلهي يبدو أنه يوم متعب، ماذا حدث هنا . . . ؟ الرجال اليوم قرروا قتل زوجاتهم، ما صدقت أن أنهيت استجواب الرجل الأول ها قد جاءني الثاني .

هيا قم من على الأرض وتوقف عن تمثيل هذا الدور، يوجد الكثير غيرك أبدع في تمثيله.

وقفت وقمت بمسح دموعي وقلت:

- ولكني لا أمثل أنا . . .

هم الضابط بالتحرك تجاه غرفة بالجوار وأشار لرجلي الأمن أن يلحقا به ويأخذاني معهما، صرت أنظر بحيرة لكل من بالمستشفى وأقول مدافعًا عن نفسي:

- لم أقتلها، لم أفعل شيئًا . . .

قال لي أحد عمال المشفى مطمئنًا إياي:

- لا تقلق إنه مجرد استجواب.

استمررت أدافع وأقاوم وأقول:

- لم أفعل شيئًا، اتركوني وشأني، دعوني أذهب لحبيبتي.

قطع كلامي صوت الضابط الذي ضرب بكل قوته المكتب وقال بصوت حازم:

- لا أريد أن أسمع صوتك إلا عندما أسمح لك بهذا . . .

توقفت عن كلامي بمجرد ما رأيت غضب الضابط، فقال الضابط بجزم:

– مفهوم . . . ؟

أومأت له أي نعم ومن ثم أجلسني العسكري على الكرسي فازدردت ريقي وقلت بصوت مهزوز وحزين:

– ولكن يا حضرة الضابط أنا أريد أن . . .

طرق الضابط المكتب مرة أخرى وقال بحدة:

– أنا هنا من يتكلم أو يأذن بالكلام .

أومأت برأسي موافقًا ، من ثم هم الضابط بإشعال سيجارة من ثم بدأ في استجوابي:

– لِمَ قتلتها . . . ؟

– لم أقتلها ، لو كنت من قتلها لما كنت جئت بها إلى هنا كي تنقذوها .

نفث الضابط دخان سيجارته بثقة وقال:

– هذا تفكير ذكي من بعض الرجال كي يبعدوا الشك عنهم، ولكن في النهاية يكونون هم من قتلوا زوجاتهم .

– أقسم لك لم أقتلها .

قال الضابط بنفاد صبر:

– حسنًا احكِ لي ما حدث بالتفصيل .

حكيت له كل ما حدث فضحك الضابط ساخرًا ومن ثم أطفأ سيجارته وتحولت ملامح السخرية إلى غضب:

– هل تستخف بي . . . ؟ رجل يتحول لطائر . . . ؟ يعني تريد أن تخرج من جريمة القتل بسبب خيانة زوجتك لك بأن تدعي الجنون، كان غيرك أشطر يوجد كثيرون مثلوا هذا الدور ونهايتهم كانت أنهم تعفنوا في السجن وآخرون أُعدموا .

بكيت وأنا أدافع عن نفسي:

– أقسم لك أني صادق في كل كلمة قلتها لك، أقسم لك .

هم الضابط من مكانه وقال للعسكري:

– ضع في يده القيود وتعال ورائي كي نذهب به هو والحثالة الآخر لقسم الشرطة .

بدأت أدافع عن نفسي وأنا أتحرك وأقاوم وأقول:

– خالد هو من قتلها ، فارس هو السبب، ابحثوا عن فارس أو خالد .

كان الناس ينظرون إليَّ، منهم من ينظر لي نظرة شفقة ومنهم من ينظر إليَّ نظرة أني مجرم وهذا جزائي .

بمجرد أن ركب الضابط سيارة الشرطة وأمر ساعته التي تنبثق منها شاشة بها عدة برامج خاصة بالشرطة "برامج ذات إرسال مشفر" :

– لقد تركت عسكريين لحراسة امرأتين تعرضتا لمحاولة قتل على أمل أن يتم إنقاذ أي منهما ، سوف أصل للقسم ومعي المتهمان، سوف أسلمهما أريد أن يستعد فريق البحث الجنائي كي نبحث في موقعي الجريمة .

قاطعته فريدة بضجر :

– أبسل ما الفائدة من هذا كله . . . ! هل تريد أن تثبت لي أنك تحبني . . . ؟

– حبي لكِ لا يحتاج إثباتاً يا فريدة، بل وغيرتي تلك كانت أكبر دليل على حبي لكِ .

– ماذا تريد مني الآن . . . ؟

– أريد أن أقول لكِ أن الشرطة بحثت عن خالد كما قلت لهم أنه هو الذي قتلكِ ولكن هنا كانت الصدمة .

– ما هي الصدمة . . . ؟

– لا يوجد أي دليل على وجود خالد من الأساس، وإن البيت من الأساس مهجور منذ عدة سنوات .

صدمت فريدة، ومن ثم ازدردت ريقها :

– كيف . . . ؟ ومن هو الذي كنا نزوره في بيته وكان يزورنا . . . ؟

– أنا صدقتكِ حينما تحول لطائر وهذا أثبت لي أنكِ لم تكوني تعلمي بوجوده معكِ ولكن أنا شكي به كان قبلها يا فريدة وعرفت عنه شيئًا لن تصدقيني إن قلته لكِ .

– شيء مثل ماذا . . . ؟

– أرجوكِ أن تفهميني جيدًا ولا تسيئي الظن في نيتي . . .

– قل يا أبسل .

– حسنًا سوف أحكي لكِ كل ما أعلمه عنه .

بصراحة هل تتذكرين عندما قرر خالد أن يرحل من البيت بعد أن أحرجتِهِ أمامنا لم أشك بشيء أبدًا ظننت حينها أنه شعر بالخجل ورحل، ولكنه لم يعد يكلمني أساسًا وبمجرد رجوعكِ لحياتكِ وعيادتكِ ذهب إليكِ مباشرة، حينها تأكدت من مكانتي الصحيحة في حياته، أنا لست صديقه بل أنا مجرد مغفل يربطه ويقربه لزوجته ويستغفله .

توترت فريدة وقالت بغضب:

– ما الذي تتفوه به، إنه نقي شريف في نيته .

– وما أدراكِ أنتِ بنيته . . . ؟

– هو قال لي . . .

ولكن سرعان ما سكتت عندما علمت أنها في مأزق .

– قال لكِ ماذا يا فريدة أكملي .

استجمعت فريدة أفكارها بسرعة وقالت:

– لقد قال لي أننا له أصدقاء وأخوة .

قال أبسل بتهكم:

– وهل تظنين بفعلته تلك أنه صادق في كلامه ونقي وشريف في نيته . . . ؟ ! إنه خائن ائتمنته على بيتي وعرضي ولكنه لا يؤتمن له، لم يكفه ذلك بل كان يريد قتلي أنا ، يريد قتلي كي تكوني له فقط، كنت أظنه مريض اكتئاب فقط أو غريب الأطوار يحتاج من يظل بصحبته كي ينعشه ويخرجه من قوقعة ظلمته ولكن حقيقته أنه مريض بالحقد ، إنه يريد أن يحل محلي ويأخذ حياتي .

ظلت فريدة شاردة في أبسل سارحة مع كلامه الذي يؤيده العقل والمنطق، ولكن سرعان ما أكمل أبسل وقال:

– ها ماذا فعلتُ عندما شككتُ به . . . ؟

أومأت له فريدة أي ماذا . . . ! ؟

– سافرتُ للندن كي أقابل إيفانا وأحكي لها ظنوني . . .

قاطعته فريدة بغضب مكبوت:

– يعني إيفانا هي التي تتواصل معها كل تلك الفترة . . . !

– نعم هي، كنت أتواصل معها من حين لآخر كي أحكي لها تطورات حالتكِ، ولكن سفري للندن كان لسبب آخر .

– ما هو . . . ؟

– كنت أريد جهازاً للسفر عبر الزمن في أسرع وقت كي أعرف ما ينوي له خالد تجاهكِ .

– وهل تمكنت من الحصول على جهاز . . . ؟

– نعم تمكنت من الحصول عليه قبل الحادثة مباشرة وعندما رأيت ما رأيته عندما استخدمت الجهاز قررت الرجوع لمصر مباشرة كي أحذركِ، ولكن الذي رأيته أمامي صدمني ونسيت نفسي و . . .

– أبسل يكفي، مما كنت تريد أن تحذرني . . . ؟ !

– خالد قاتل، بل الحقيقة إنه وحش ومن ضمن ضحاياه أمه . . .

صدمت فريدة وذرفت عيناها الدمع وقالت مصدومةً باكيةً:

– لا أصدق ما أسمعه، لا أصدق كل ما يحدث لي، لا أصدق .

– إن لم تعودي تثقين بي يا فريدة يمكنكِ أن تسأليه .

مسحت فريدة دمعها وقالت:

– وكيف لي أن أسأله . . . ؟ لقد قلت لي أنه ليس له أي وجود .

– إنه يريدكِ لذا سوف يظهر من أجلكِ و . . .

قطع كلامه دخول عسكري الشرطة وهو يقول ها مسًا :

– هيا يا سعادة البيك، الباشا على وصول .

نظر أبسل لها وقال لها بحزن:

– أرجوكِ يا فريدة كوني معي كي أحميكِ مما هو قادم .

– لا لن أكون معك مرة أخرى يا أبسل .

بكى أبسل وقال بحسرة:

– يعني سوف تتركيني أتعفن في السجن بتهمة أني حاولت قتلكِ، أو أكون في مصحة عقلية لأني توهمت معكِ عشيقًا لا وجود له ولكنكِ الوحيدة التي تعلمين بوجوده وتشهدين على ذلك معي، أنا تم إطلاق سراحي ولكني ما زلت تحت المراقبة والضابط سيحسم الأمر بشهادتكِ .

– سوف أخرجك منها يا أبسل لا تقلق سوف تُغلق القضية، العشرة التي بيننا لن تهون عليَّ أبدًا .

– هذا يعني أنكِ موافقة أن نكمل حياتنا سويًا مع ابن . . .

قاطعته فريدة بجدة:

– لا لن أكون معك، إلى هنا وكفى يا أبسل .

– أريد حمايتكِ يا حبي . . .

– لا تكملها، أنا قادرة على حماية نفسي .

هنا سحبه العسكري وهو يتمتم:

– الباشا وصل المشفى لا تضعني في مشكلة .

نظر لها أبسل وهو يخرج من الغرفة وهو يقول لها بلهفة:

– عيني ستظل عليكِ يا فريدة، سأحيطكِ دائمًا .

***

دخل الضابط غرفة فريدة وهو يمشي بتبختر وثقة، من ثم جلس على الكرسي المجاور لها، من ثم لمس ساعته فانبثقت منها شاشة فاختار منها برنامجًا خاصًا لتحويل التحقيقات الصوتية إلى كتابية، وسألها:

– هل تعلمين من الذي حاول قتلكِ . . . ؟

– لا أدري لم أرَ أحدًا .

– من كان معكِ لحظة وقوع الجريمة . . . ؟

– لم يكن معي أحد .

– هل تشكين بأحد . . . ؟

– لا أشك بأحد . . . ولا أريد أن أشك ها أنا بخير لا يوجد داعٍ لكل هذا .

– ولكن زوجكِ هو من أحضركِ لهذا المشفى ويلقي الاتهام على شخص اسمه خالد وكنيته فارس . . . !

– أنا صاحبة الشأن يا حضرة الضابط ولا أريد أن يُتهم أحد .

– ولكن هذا يعني أنكِ معرضة لتكرار نفس الهجوم مرة أخرى . . . !

لم ترد فريدة واكتفت بالصمت فقال الضابط وهو يهم بالوقوف والبرنامج مستمر بتحويل المحادثة على الشاشة:

– يعني صمتكِ هذا يدل على أنكِ لا ترغبين في استمرار القضية والبحث عن القاتل أو حتى حمايتكِ .

أومأت فريدة أي نعم، فقال الضابط وهو يهم بالحركة:

– حسنًا ، كما تشائين .

أُغلقت القضية على رغبة المعتدى عليها فريدة مراد الحبشي .

الضابط/ مصطفى السياف .

***

الفصل الثاني عشر

القاتل

عادت فريدة لبيتها بعد عدة أيام من ذاك الحادث الذي مرت به، وبمجرد ما دخلت بيتها عزمت على تفتيشه كي تسكت عقلها من كثرة التساؤلات التي تدور به .

أمرت الروبوت أن يبحث لها عن جهاز للسفر عبر الزمن، وبالفعل بدأ الروبوت بمسح الطابق الأول بأشعة عينيه ولكن لا أثر له .

قررت أن تصعد للطابق الثاني وقالت في قرارة نفسها بثقة:

-آخر مرة عندما وقع الحادث كان أبسل لتوه راجعًا من السفر وأكيد كان معه هذا الجهاز، احتمال أجده في غرفتي .

وبالفعل صعدت وأمرت الروبوت بنفس الأمر وبدأت تبحث معه من لهفتها ولكن بلا جدوى .

شعرت فريدة بالتعب فقررت أن تجلس على سريرها وهي تنظر لشرفتها وعينها على فيلا فارس وهي تشعر بتردد رهيب، من ثم نظرت للأرض وهي تشعر بأن ليس بيدها حيلة .

ولكن سرعان ما سمعت صوتاً جعلها تنتبه بسرعة:

– هل يمكن أن أدخل يا حبيبتي . . . ؟

فزعت فريدة بغضب وقالت:

– لا يحق لك أن تدخل هذا البيت بعد فعلتك تلك . . . ارحل من هنا .

هم أبسل بدخول الغرفة وشرع يقترب منها بأسى:

– أنا زوجكِ حبيبكِ وأبو طفلكِ .

– لم تعد زوجي، سوف تطلقني، ولا تذكر سيرة الطفل مرة أخرى، لا تجعلني أنتقم منك فيه، أنا نادمة لأن هناك ما يربطني بك .

بدأ أبسل يبكي وقال:

– كيف تمكنتِ من كرهي هكذا . . . ؟

– أفعالك هي السبب .

من ثم مسح دمع عينيه وهو ينظر للغرفة بقلق التي قلبتها فريدة فوضى وهي تبحث عن الجهاز وقال لها:

– ماذا حدث في الغرفة يا فريدة، هل تعرضتِ لأي شيء . . . ! قولي لي . . . أنا هنا لكي أحميكِ .

ابتعدت عنه فريدة بكره وقالت:

–أنا بخير بك أو من دونك . . . كل ما في الأمر كنت أبحث عن شيء .

– وما هو هذا الشيء يمكنني أن أساعدكِ .

– كف عن تودد هذا، إنه يجعلني أشمئز منك أكثر .

– تشمئزين مني أنا يا فريدة . . . ! أنا حبيبكِ الذي فتحتِ له قلبكِ من أول لقاء، صرتِ تشمئزين مني . . . ؟ !

–كف عن الدراما يا أبسل . . . تلك الدموع لن تشفع لك بعد فعلتك تلك، ولكي أكون صريحة معك، كنت أبحث عن جهاز السفر عبر الزمن كي أتأكد من صدق كلامك الذي أشعر بنسبة كبيرة أنك قلت كل هذا بسبب غيرتك وسوء ظ . . .

-توقفي يا فريدة، استحالة أشك في حب حياتي، عليكِ أن تقولي إني شككت في خالد لا بكِ أنتِ.

- النتيجة واحدة يا أبسل لا يوجد مبرر لفعلتك.

- هل يمكن أن تسمحي لي أن أوضح لكِ سبب ظني ذاك. . . ؟ !

- لا يوجد سبب سوى عدم الثقة. . .

أمسك أبسل يد فريدة وأجلسها على السرير وجلس بجوارها وقال لها:

- أرجوكِ اسمعيني يا فريدة، لا تتبعي صوت عقلكِ دائمًا لأنه ليس على صواب في كل الأحيان.

تنهدت فريدة ومن ثم أكمل أبسل كلامه:

- بدأ شكي في خالد منذ أول يوم دخلتُ بيته، بيته غريب جدًا وكنت أشعر أنه غريب الأطوار لا بيته فقط، وعند دخولي لبيته أول مرة لاحظت كلبًا في حديقته وعند خروجي لم أجده أبدًا.

حاولت فريدة الدفاع عنه ولكن سرعان ما أسكتها أبسل وقال لها:

– لا تقاطعيني، دعيني أكمل، وفكرة عدم معرفته أي شيء عن حياته وأهله إنه لأمر غريب ولكن ما هو أكثر غرابة رفضه للأكل أو الشرب حتى، كل هذا اعتبرته مجرد بشر فالناس يختلفون عن بعضهم، ومن ثم تودده لكِ وقربه منكِ جعلني أبدأ أتشكك في صدق إخلاصه لي وأنه يكن مشاعر تجاهكِ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على شكي به لا بكِ أنتِ ومنذ ذلك الحين قررت الحصول على هذا الجهاز كي أتأكد من أمر مشاعره لكِ ولكن هل تتذكرين عندما قررت السفر منذ عدة أيام عندما اتصلت بكِ وقلت لكِ أني جهزت لكِ مفاجأة . . . !

أومأت فريدة برأسها أن نعم من ثم نظرت له بحيرة وهي تنصت له:

– يومها اشتريت لكِ كلبًا هدية وعندما حل المساء، تركته في بيته وصعدت كي أنام.

ولكن بمجرد ما بدأت نومي سمعت زمجرة الكلب ولكن سرعان ما اختفى صوته. هرعت مسرعًا وفتحت الشرفة ونظرت لبيت الكلب الذي وجدته فارغًا وفي غمضة عين رأيت رجلًا ظهر في عتمة الليل في منتصف الطريق، وفي غمضة عين اختفى، وبعدها رأيته في حديقة فيلا خالد.

ولكن سرعان ما اختفى عن نظري، ظللت أنظر لفيلته لا أفهم ما أراه.

حينها قررت أن أنزل وأذهب لبيت خالد.

كان نظام بوابته معطلًا لدرجة أن باب البوابة كان مفتوحًا بمجرد أن قمت بلمسه فتح مباشرة، بدأت أدخل وأنا قلبي ينتفض لا أدري ما أنا بفاعل...! وبمجرد ما اقتربت من باب الفيلا الداخلي بدأت أسمع صوت طرقات أي صوت فأس يطرق الأرض، بدأت أتبع الصوت إلى أن وصلت أمام باب يؤدي لسلالم بدروم، حينها قررت أن أنزل ولا أدري لماذا أتبع عقلي...! وبمجرد ما نزلت الغرفة لم أجد أحدًا ولم أجد شيئًا، ولكن سرعان ما شعرت بضربة عصا قوية أفقدتني الوعي.

ولم أفق لنفسي إلا ووجدتني على سريري هنا وبجواري خالد وهو يقول لي:

- أعذرني يا أبسل عما صدر مني، كنت أظنك أحدًا اقتحم منزلي.

عدلت من نومتي وجلست وأنا أقول له بحيرة:

- ماذا كنت تفعل في البدروم في ذلك الوقت...؟

- إنه بيتي يا أبسل كنت أقوم ببعض عمليات الترميم به لا أكثر ولا أقل، كما تعلم إن فيلتي تحتاج الكثير من الإصلاحات.

من ثم نظر بحيرة وسألني:

– ولكن السؤال الذي يجب أن يُطرح هو، ما الذي أتى بك إلى منزلي من دون سابق ميعاد، لا أقصد شيئًا يا صاح إنه بيتك أعلم ذلك ولكني تعجبت.

– لقد فقدت كلبي وجئت لفيلتك كي أسألك إن كنت رأيته ولكني تعجبت من صوت الطرق ذاك فاتبعته.

من ثم ازدردت لعابي، وبعدما اطمأن عليَّ رحل وحينها قررت السفر وحصلت على الجهاز وعلمت جرائم خالد بداية من أمه وأشخاص وعدة حيوانات كثر وكل تلك الجثث مدفونة في ذاك البدروم.

نظرت له فريدة وقالت له بجزم:

– أعطِ لي هذا الجهاز أريد التأكد بنفسي، لا يمكننا أن نترك ذلك المجرم في الحي هكذا.

وقف أبسل بجزم وقال بغضب:

– لن أعطيكِ الجهاز مرة أخرى، ألا ترين حالتكِ كيف أصبحت بسببه، لا لن أدع حالتكِ تسوء أكثر من ذلك يجب أن تأخذي كلامي ثقة وتتحد سويًا ونبلغ عنه

الشرطة وسيكون هذا البدروم دليل جرائمه وسوف تبحث الشرطة عنه في كل أرجاء البلاد لأنه ليس له أثر هنا .

همت فريدة بمد يدها في جيب أبسل كي تبحث عن الجهاز وهي تقول بحزم وغضب:

-أعطِ لي الجهاز هذه المرة وكفى .

وبالفعل أخرجته من جيبه فسحبه أبسل من يدها وقال بحزم وهو يقوم بتكسيره أرضًا:

-لن أدع تلك المغامرات تدمر ما تبقى من عقلكِ يا فريدة .

نظرت فريدة بدهشة وغضب للجهاز المهشم أرضًا وقالت بغضب:

-قمت بتكسيره لأنك كاذب .

هم أبسل بالخروج من الغرفة وقال كمن فقد الأمل:

-لقد تعبت أوضح لكِ يا فريدة، إذا كنت كاذبًا في نظركِ فيمكنكِ أن تسأليه أو أن تري بنفسكِ .

ظلت فريدة شاردة في فيلا فارس من ثم قررت أن ترسل له رسالة:

-فارس أريد أن أقابلك من أجل موضوع ضروري .

تمر الساعات ولكن لا يوجد رد من فارس .

حل المساء وفريدة قلقة في سريرها ، لذا قررت أن تذهب وتتأكد بنفسها .

همت فريدة بالخروج من فيلتها وها هي تمشي تجاه فيلا فارس وقد غمرها القلق، ولكنها لا يمكنها أن تجمح فضولها بتاتاً .

وبمجرد ما لمست البوابة فتحت مباشرة أي كأنها تحاول دخول بيت مهجور متهالك كل شيء به معطوب .

ها هي تقدم على دخول الفيلا المظلمة وتتذكر كلام أبسل وكلما اقتربت أكثر كلما زاد شعورها بصدق كلام أبسل ولكن تريد أن تسكت آخر نبض من قلبها ينادي بصدق فارس .

ها هي تعتمد على ضوء خاتمها وبدأت في نزول البدروم "القبو" .

بدأت تقول في قرارة نفسها :

-احذري يا فريدة، يجب أن تنتبهي كي لا يحدث بكِ ما حدث لأبسل .

من ثم تنفست بعمق وأردفت:

ولكن الأدهى أن يحدث لي ما حدث لأمه ولا أدري من غيرها .

بمجرد نزولها للقبو أخذت وضع الاستعداد وجعلت ظهرها يواجه المكان الفارغ في الغرفة ووجهها تجاه الباب كي تتأكد من عدم وجود أحد .

أخذت تنظر جيدًا وبالفعل لم يوجد أحد بالغرفة سواها ، فازدردت ريقها ، من ثم قررت أن تستخدم الفأس وتقوم بالحفر كي ترى بعينها .

ها هي تحفر أكثر وأكثر ولكنها لا تصل إلى شيء ، قررت أن تتوقف كي تلتقط أنفاسها وبدأت الظنون تتغير في عقلها وتقول:

-يبدو أن أبسل اختلق بعض الأمور في حق فارس كي أشك به، ولكن أبسل لا يعلم أني بما فعله فارس وتعرضي لهذا الموقف بسببه كرهته هو أيضًا ، ولكن كذب أبسل زاد كرهي له أكثر .

فريدة عليكِ أن تكملي الحفر ولا تحكمي الآن، توقفي عن التسرع في الحكم، هيا فلأبدأ .

وبالفعل ها هي تكمل الحفر، تحفر بكل قواها أكثر وأكثر إلى أن وصلت لشيء معدني ارتطم بالفأس .

هنا تعجبت فريدة من وقع الصوت على مسامعها وقالت في قرارة نفسها بحيرة:

-أنا هنا أبحث عن جثث تدين فارس، لم أكن أظن أني جئت لكي أجد كنزًا .

ومن قال لكِ أنه كنز يا حمقاء، فلتكملي الحفر وكفي عن التفكير قليلًا .

بدأت فريدة بإزالة ما تبقى من تراب إلى أن ظهر أمامها مباشرة طبقة كبيرة جدًا مصنوعة من حديد ، هنا الشكوك تحولت من كونه صندوق كنز إلى شيء لا تعلم ماهيته، جلست وأخذت تنظر للحفرة التي أمامها ولتلك الطبقة الحديدية .

بعد وقت من النظر وجدت أن لها حدودًا ، أي أنها أشبه بالباب، فقالت في قرارة نفسها بلهفة:

-نعم إنه باب . . .

ولكن سرعان ما خمدت نار لهفتها وقالت بتعجب:

-ولكن إن كان بابًا فكيف لي أن أفتحه وهو من دون مقبض حتى ؟

أخذت تنظر حولها فوجدت عتلة، فقامت بغرسها في أحد أطراف الباب وقوة بنيان فريدة ساعدتها على رفعه، كان الرفع بصعوبة ولكنها تمكنت وأمسكت بطرف الباب وقامت بفتحه على آخره فصار موازيًا للحفرة التي قامت بها .

بمجرد ما فتحت الباب هبت رائحة عفنة جدًّا ، رائحة أشبه برائحة الجيف والجثث، رائحة جعلت فريدة تتقيأ .

حاولت فريدة أن تتمالك نفسها وتكمل ما بدأته، فقامت بخلع قميصها وثنيه وربطه حول وجهها مثل الكمامة كي يقيها من تلك الرائحة .

حاولت أن تسقط ضوء خاتمها كي ترى ما الموجود داخل هذا المكان، ولكنها لم ترَ بوضوح من علٍ، فقررت أن تنزل للأسفل ولكن عمق المكان كبير جدًّا ، فقالت في قرارة نفسها :

-يمكنني أن أقفز بداخله ولكن كيف لي أن أصعد ، يجب أن أجد سلمًا .

أخذت تبحث حولها في البدروم إلى أن وجدت السلم، كان سلمًا طويلًا وثقيلًا جدًّا ولكنه مفيد للوصول لهذا العمق، تحاملت فريدة على حمله وقامت بإنزاله وتثبيت طرفه العلوي على أحد أطراف الحفرة التي قامت بحفرها ، وتبقى جزء من السلم

على ارتفاع بسيط بجوار الحفرة، حمدت فريدة الرب على أنها وجدت السلم، همت بالنزول وهي تقول في قرارة نفسها :

-هذه أول مرة أجد للبدروم بدرومًا .

ها هي تنزل وكلما اقتربت من الأرض يرتعش جسدها أكثر وأكثر .

بدأت تمشي في ممر فارغ مظلم لا يضيئه سوى ضوء خاتمها الذي أخذ يخفت شيئًا فشيئًا وذلك لأن بطاريته ضعيفة، فقالت فريدة حينها بغضب:

-ليس وقتك أن تنفد الآن، أكمل معي قليلًا أرجوك .

إلى أن وصلت لغرفة مغلقة، فهمت بفتح بابها ، وهنا كانت الصدمة .

من هول ما رأته فريدة سقطت أرضًا غير مصدقة ما تراه عينها .

لم تعد قدمها قادرة على حملها فبدأت تزحف وهي تنظر لتلك الغرفة المعبأة بالهياكل العظمية، هياكل عظمية مختلفة الأحجام .

تحاول فريدة أن تلتقط أنفاسها وهي تزحف ولكن سرعان ما أوقف تحركها وجود جسد خلفها .

رفعت فريدة رأسها كي ترى من خلفها ولكن سرعان ما يسقط على عينيها ضوء البدروم الذي فتح لتوه.

شوش الضوء رؤيتها لأن عينها اعتادت الضوء الخافت، ولكنها تمكنت من الرؤية بمجرد أن قام بسحبها تجاهه.

ولكن بمجرد ما واجه وجهها وجه فارس رُسم الفزع على وجهها وقامت بإبعاده عنها فبمجرد ما ترك يدها فقدت توازنها مرة أخرى وسقطت وبدأت تزحف للخلف تجاه السلم وهي تصرخ وتقول:

-ابتعد عني، أنت قاتل، أنت مجرم.

أخذ فارس يقترب منها ببطء وهو ينظر لها بتعجب ويقول:

- إذا كنت قاتلًا لَم لَم أقتلكِ بعد . . . !

- يمكن لأنك تكن تجاهي مشاعر وبسبب مشاعرك تلك جعلتني أظهر بصورة غير شريفة أمام أبسل . . . لَم جعلت الأمور تنتهي بهذا الشكل ؟

- يبدو أنكِ لا تفهمين الأمور كما تظنين.

حاولت فريدة أن تتمالك نفسها بمجرد ما ارتطم جسدها بالسلم، حينها همت مسرعةً كي تصعد وتهرب، ولكن قبل أن تضع قدمها حتى على أول درجة في السلم كان فارس أمامها وضرب السلم فسقط أرضاً، حينها التفتت فريدة له وهي تتوسل:

-أرجوك دعني أخرج من هنا وأعدك بأني لن أخبر أحدًا بما رأيته.

-لن أدعكِ تخرجي من هنا قبل أن تفهمي الحقيقة كاملة.

بدأت فريدة تلتقط أنفاسها بصعوبة وتقول بوهن:

-أرجوك، دعني أخرج من هنا، لم أعد قادرة على التنفس، أشعر بالدوار، أنا حامل...

من ثم خرت واقعة، فالتقطها فارس وطار بها، ومن ثم أخذ يصعد بها على الدرج ببطء وهو يتأمل ملامحها، إلى أن وصل غرفته فقام بفرد جسمها على السرير وإزالة القميص من على وجهها.

جلب بعض الماء وحاول إفاقتها به، بعد ما فتحت عينيها قال لها برفق:

– اشربي الماء يا فريدة والتقطي أنفاسكِ، لا يمكن للمرء أن يعرف الحقيقة من منظور واحد، وأنتِ أكثر واحدة تعلم ذلك.

حاولت فريدة أن تعدل من وضعها وجلست وهي تنظر له بريبة وهي تشرب الماء، من ثم قطع فارس تساؤلاتها الداخلية فأردف:

– لا أدري ماذا أقول لكِ. . . ! هل أقول الحقيقة بأني بالفعل قاتل. . . ؟ أم أدافع عن نفسي وأنكر هذا الجرم الذي أرتكبه بدون إرادة مني. . . !

– يعني الحقيقة أنك قتلت أمك يا فارس. . . ؟

– نعم، قتلتها.

– هذا يعني أنك كذبت عليَّ. . . !

– لا يمكنكِ أن تقولي إني كذبت، يمكنكِ أن تقولي إني أجلت الموضوع إلى أن يحين الوقت المناسب الذي تفهمين فيه ما أقوله لكِ.

– لا يوجد مبرر للكذب يا فارس، أنا طلبت منك أن تصارحني بكل شيء في حياتك، ولكنك عاملتني كأني مغفلة كبيرة.

– عليكِ أن تكوني رحيمة يا فريدة في حكمكِ على من حولكِ، لا تكوني صارمة هكذا، على الأقل أعطي لي فرصة كي أدافع عن نفسي وأحسن صورتي أمامكِ.

عليكِ أن تسألي نفسكِ أولًا لمَ قتلت أُمي من الأساس، هل هذا في نظركِ أمر طبيعي . . . ؟ لا تقاطعينني يا فريدة دعيني أحكي لكِ كل شيء ولكِ الحرية الكاملة في ردة فعلكِ.

بعد عودتي للحياة مرة أخرى، حاولت أمي أن تجعلني آكل معها ولكن بلا جدوى، فشلت في أن يستقر الطعام في جوفي، أغلب الطعام لا أطيق رائحته، والبعض حاولت أن أبتلعه ولكن بضع ثوانٍ وأتخلص منه.

حينها أمي بدأت تتعب عندما رأتني وأنا أذبل أمامها ولا تدري ماذا تفعل لي، حينها قررت أن تجلب لي طبيبًا كي يتابع حالتي، قرر الطبيب أن يستخدم المحاليل كي تعوضني عن قلة أكلي، ولكن مرور المحلول في عروقي كان يحرقني ويأكل في جسدي، كنت أصرخ بهستيريا، وقمت بإزالته من يدي، وانفعلت على الطبيب فقرر الرحيل بعد الذي فعلته معه.

حينها قررت أمي أن تسأل الخادمة عن الساحر الذي أعادني للحياة مرة أخرى ولكنه لا يأتي إلا مرة واحدة في السنة، لذا قررت أن تذهب للساحرة التي كانت تعينه، فقالت لها تلك الساحرة العجوز الشمطاء:

– ابنكِ لن يأكل الطعام العادي مثل باقي البشر، ابنكِ خالد والخالدون ليسوا مثلنا، إن غذاءهم اللحم وشرابهم الدم.

– لحم ودم ماذا . . . ؟

– على الأقل عند كل اكتمال قمر يتم قتل أي روح له.

– روح مثل ماذا . . . ؟

– هل تعلمين القربان . . . ؟

أومأت أمي بقلق أي نعم فأكملت الساحرة كلامها:

– عليكم بتقديم قربان بقتل روح واحدة ويفضل أكثر لو كان إنساناً بالغاً من ثم الأطفال، وأقل القليل روح حيوان ولكن التأثير ليس بقوي مثل روح البشر.

– ألم تقولي لي أنه خالد بل إنه سيكون أبديًا في هذه الحياة؟

– كل شيء وله ثمنه وتضحياته يا رحاب.

– وإن لم أفعل ذلك ماذا سيحدث . . . ؟

– إن لم تفعلي ذلك سيفعل هو بنفسه بشكل خارج عن إرادته كي يستمر في الحياة، أقل كمية جثة مع كل قمر وهذه الجثة ستكون كفيلة أن تكفيه لمدة شهر ولن يحتاج لشيء، ولكن إن كانت هذه الجثة جثة حيوان صغير فسيحتاج لشرب الكثير من الدم إلا . . .

– إلا ماذا . . . ؟

– إلا أنه سوف يواجه الكثير من التعب والإرهاق والشحوب وهكذا أكون شرحت لكِ المطلوب، انتهى وقتكِ . . .

– ولكني لا يمكنني أن أفعل ذلك . . .

– من بدأ شيئًا عليه أن يكمله، ومن فعل شيئًا عليه أن يتحمل عواقبه، وأنتِ من طلبتِ تحضير الروح من جديد فتحملي .

خرجت أمي وهي في حالة صدمة لا تدري ماذا تفعل، صارت تمشي وهي تجر أقدام الخيبة والذل والندم على فعلتها تلك وهي تقول:

–ما الذي فعلته . . . ؟ اعترضت على قدر الله وها أنا أعاني مما اقترفته يداي .

قررت أمي أن تشتري لحمًا طازجًا من أجلي ولكن للأسف لم أستسغه أبدًا ،

فقررت أمي أن تطلب ممرضة لكي ترعاني وتجلب معها دمًا من أجلي .

قررت أمي أن تقبل أن تجلب لي الدم يوميًا على أمل ألا تقتل أحدًا من أجلي .

حاولت أمي أن تخرج معي وكي نتقبل الواقع الجديد فخرجنا للسينما ، ولكن للأسف حينها لم أكن أتمكن من التحكم في ذاتي، في أول يوم لي في الخارج تعرضت لموقف، الفتاة التي كانت تجلس بجواري، نظرت لها فظنت مني أني أحاول مغازلتها ، ولكني انقضضت على رقبتها فصرخت بشدة فهمت أمي مسرعةً وقامت بسحبي وهي تعتذر للناس باكيةً:

– أعذروني، أعذروني، ابني ليس على ما يرام، ابني مريض، لم يقصد ما فعله، أرجوكِ سامحيني يا بنيتي، اتصلي بي يا بنيتي وسوف أعوضكِ كما تشائين .

من ثم أخرجت كارتًا خاصًا بها وأعطته للفتاة وهي تهرع وهي تشعر بالخزي وهي تسحبني مثل الطفل الصغير رغم ضخامة بنيتي .

خرجت وأنا في حالة صدمة من نفسي بمجرد ما رأيت انعكاس صورتي ووجهي ملطخ بالدم .

عدت للبيت وحينها أدركت أمي أن ممارستي للحياة الطبيعية تعتبر خطرًا جسيمًا لمن حولي.

ظللت حبيس غرفتي، أشرب بعض الدم، هزيل حزين وحيد بسبب غرابة طبعي، وتعب أمي تعبني أكثر، الندم الذي في عينيها وحزنها على حالي جعلاني أكره نفسي أكثر.

شعور مؤلم جدًا عندما تصير مصدر الألم لمن يحبك وهو كان يظن أنك ستكون له مصدر السعادة.

الخزي مميت يا فريدة مميت.

يجب على البشر بدلاً من أن يسألوا الشخص المكتئب بتعجب: "لمَ أنت مكتئب. . . ؟" بل عليهم أن يسألوا برحمة: "ما الذي جعلك مكتئبًا . . . ؟ !".

كل شيء وله سبب يا فريدة.

استمر الوضع هكذا إلى أن اكتمل القمر وهنا تحولت مثل المجنون، لم أستطع أن أجمح نفسي، هنا أول من رأيته كان أمي ولم أفكر حينها في كونها أمي بل أريد أن أسكت الصوت الذي بداخلي.

هنا أمي صرخت عندما رأيتني أقترب منها ولكن سرعان ما هممت الخادمة كي تدافع عن أمي وكانت هي أول ضحاياي .

أمسكت بها وقمت بمص دمها من رقبتها إلى أن فارقت الحياة، وبمجرد أن فقد جسدها قواه وخرت على الأرض جثوت على جثتها وبدأت في نهش لحمها ، وأمي واقفة تنظر لي وهي تصرخ وتبكي بندم على الوحش الذي جلبته للحياة، وسرعان ما رأيتها تتحرك هاربة خارج البيت، فتركت الجثة التي بين يدي، ولحقت بها ، كنت أعلم أنها فاض بها وسوف تبلغ الشرطة عني لأني كنت سوف أقتلها هي إلا أن الخادمة ضحت بنفسها بدلاً منها .

وقبل أن تصل لباب الفيلا كنت قد لحقت بها وقتلتها .

لم يتبقَّ في البيت سوى البواب فخرجت للحديقة وقمت بقتله كي لا يتبقى أحد ويكون شاهدًا على ما حدث .

منذ ذلك اليوم وأنا وحيد ، أخاف من الخروج كي لا أوذي من حولي، وأخاف أن أحب فيأتي يوم وأقتل أحبتي .

– يعني يمكنك أن تقتلني أنا أيضاً ، لا أمان لمن قتل أحدًا وأنت لم تقتل أي أحد أنت قتلت أمك التي فعلت المستحيل كي تعود لها من جديد .

– ولكن لقد مرت سنوات كثيرة على ذلك الحادث، وتغيرت كثيرًا وصرت مدركًا حالتي جيدًا ، صرت أضحي بأقل القليل كل شهر مجرد قط أو كلب، وأرضى أن أكون متعبًا هالكًا أغلب الأحيان بدلاً من أن أقوم بجريمة أخرى .

وهذا كان حالي إلى أن قابلتكِ حينها شعرت أن قوتي تزيد بقربكِ مني، تأثيركِ عليَّ أشبه بتأثير شرب الدم، لدرجة أني ظننت أن هذا الشهر لن أمر بتلك الحالة التي تدفعني لقتل ضحية جديدة ولكن للأسف أنتِ لم تكوني موجودة فاضطررت أن أقتل مرة أخرى .

– وكانت الضحية هذه المرة كلبي . . . !

– على الأقل كلبكِ لا زوجكِ .

– لا تقل زوجي كل شيء انتهى بيننا بعد الذي فعله يومها ، لمَ فعلت هذا الفعل الشنيع لمَ . . . ؟ !

– سوف أحكي لكِ السبب، أولًا أنا لم آتِ إليكِ كي أضعكِ في هذا الموقف مع زوجكِ، بل الحقيقة أنا جئت لكي . . . .

– لكي ماذا يا فارس . . . ؟

– لكي أقتلكِ . . .

– لم يكن عليَّ الوثوق في قاتل مثلك .

– إذا كنت أريد قتلكِ فأنتِ أمامي لَم لم أفعلها . . . ؟ تعقلي يا فريدة وافهمي ما أقوله لكِ .

بعد جريمة قتلي الأخيرة وقفت أمام مرآتي وكنت أنظر لنفسي بندم رهيب وتمنيت من داخلي ألا أستمر في هذا الوضع باقي عمري، حينها تحرك انعكاسي ونظر لي نظرة شر كلها ثقة وقال لي:

– إن دم البشر أو الحيوانات لا يشبع غريزة الجوع بداخلك سوى شهر واحد فقط وكما تعلم أنت خالد فاحسب معي كم عدد الضحايا التي سوف تحتاجها طوال حياتك .

ولكن هناك حل دائمًا لأي مشكلة .

-وما هو . . . ؟

-أن تقتل فريدة، فريدة ليس مجرد اسم لها فقط بل هي فريدة كذلك، حتى دمها فريد، فما بالك بلحمها، مجرد هالة روحها وطاقتها تغنيك عن شرب الدماء، فما بالك بدمها ذاته.

-هل جننت . . . ؟ هل تريدني أن أقتل حبيبتي . . . ؟ !

خرج انعكاسي من المرآة وهو يضحك في وجهي ساخرًا وبدأ يحوم في غرفتي ويظهر في انعكاس المرآة خلف صورتي:

-ضحية واحدة ومن بعدها حياة طبيعية مستقرة، أم ضحايا كثر وحياة أشبه بحياة الجرذان لباقي عمرك الأبدي . . . !

حينها انفعلت جدًّا فكسرت المرآة وبمجرد ما التفتُ رأيته أمامي وقال بسخرية:

-ضحية واحدة، ضَحِّ بفريدة من أجلك، من أجل حياتك، من أجل أرواح آخرين.

وبالفعل عند رجوعكِ فكرت أن أذهب لبيتكِ وأقتلكِ، ولكني اكتشفت بأني ضعيف أمامكِ يا فريدة، الموت أهون عندي من أن أقتلكِ فلم أستطع يومها سوى

بجرحكِ جرحًا بسيطًا في رقبتكِ ورحلت، والمرة الثانية عندما دخل أبسل وكنت أمص دم إصبعكِ و . . .

– يعني أنت كنت تعلم بأني حبيبتك، كنت تعلم وتتذكر كل شيء عني وعن حياتك .

– وكيف لي أن أنساكِ يا عجيبتي . . . ولكني لم أرغب أن أوضح لكِ ذلك وذلك احترامًا لكِ ولحياتكِ الحالية، فأسرت حبي في قلبي .

– كنت أعلم أنكِ هنا ، بمجرد وصولي للبيت وعدم وجودكِ به في هذا الوقت المتأخر قلت أكيد أنكِ عند عشيقكِ يا سافلة .

– أنت حقير يا أبسل، أنت مريض ولديك إسقاط، أنت الخائن لذلك تظن أني خائنة مثلك أيها الوقح .

– زوجتكِ شريفة يا عديم الشرف .

– هههه صحيح، شريفة هي من تنام في سرير رجل غير زوجها ، ماذا عليها أن تفعل أكثر من ذلك كي أشك بها . . . ؟

أيتها الشريفة قولي لي، من أبو الطفل الذي في بطنكِ . . . ؟

– توقف يا أبسل عد لرشدك وكف عن تفوهك بهذا الكلام، كلانا لم نخنك .

– تخيل يا خالد بعد الموقف الذي حدث منذ كم يوم لمت نفسي وكنت أظن أني ظلمتها ، وبمجرد أن علمت أن هناك رابطًا بيننا قلت لنفسي أن نعطي فرصة لزواجنا ، ولكن بعد الذي فعلته اليوم هذا يثبت خيانتها لي وأنت خنتني يا من كنت أظنك أخي .

– أنت لا ترى الموضوع من الموضع الصحيح .

– مطلوب مني أصدقكما وأكذب عيني مرتين ها . . . ! ؟

– لا أريدك أن تصدق شيئًا ، أريدك أن تطلقني وألا أراك مرة أخرى في حياتي .

– لا تريدين أن تري وجه حبيبك وزوجكِ . . . !

من ثم ضحك بتهكم ساخرًا بشدة وأكمل كلامه:

–واحتمال أكون أبو طفلكِ . . . ! هههه تخيلي كم الحمق والحب الذي أحبه لكِ لدرجة أني مستعد أن أكون متعلقًا بكِ إلى أن يأتي هذا الطفل للحياة ويثبت أني أبوه كي لا ينتهي حبنا . . . لا أقبل أن ينتهي حبنا يا فريدة، حبنا أقوى من أي شيء .

– بعد الذي فعلته اليوم أنت أطفأت آخر شعلة أمل لعلاقتنا ، وصدقني من يشك في شريكة حياته مرة سيظل عمره كله فاقد الثقة بها ، علاقتنا انتهت يا أبسل . . . انتهت .

– أتريدين هجري من أجل هذا الخائن القاتل غريب الأطوار . . . !

– أنا لست . . .

– أبسل لم يتهمك بشيء كي تهم بضربه أنت كاذب ومخادع وقاتل . . . أنا لا أعرفك، أنت لست فارس الذي أعرفه، اتركني وشأني لا أريد أن أراك أنت كذلك .

كلاكما كاذبان مخادعان . . . أكرهكما بشدة أكرهكما .

– لن أدعكِ تكوني لغيري يا فريدة، أنتِ لي أنا فقط .

– ابتعد عني، لا أريد أي أحد لا أنت ولا غيرك .

– لن أتركِكِ يا فريدة، ولن تغيبي عن عيني لحظة، لن أتركِكِ، أتفهمين ؟

***

الفصل الثالث عشر

الجريمة

بمجرد أن دخلت فريدة بهو فيلتها تمكن منها التعب بشدة، فلمست خاتمها كي يأتي إليها الروبوت وبمجرد حضوره سقطت أرضاً وقالت هامسةً وهي تحاول ألا تفقد وعيها:

- اتصل بأمي وأخبرها أني أحتاجها حالاً .

ها هي فريدة تقف أمام مرآة ضخمة ذات إطار مشغول يدويًا بتصميم يعود للحضارة الإسلامية، من ثم تنظر لنفسها وتتأمل فستانها الأبيض الطويل وقد خطف نظرها تلك السلسلة ذات دلاية البومة ذات الحجر الروبي، تنظر لها بلهفة وهي تلمسها ، من ثم تنظر في انعكاس المرآة فترى حديقة خضراء واسعة من ثم يظهر وراءها نفس الشاب ذا ملابس الملوك، فتلتفت له فيبتسم لها فيهم بسحب يدها بلهفة وهي تتبعه مبتسمة ولكنها تنظر له نظرة معناها: "إلى أين . . . ؟" .

فيقف مرة واحدة ويبتسم لها ومن ثم يؤشر للسماء كي تنظر، فترى حصاناً أبيض ذا أجنحة كبيرة يهم بالهبوط.

وما زالت تنظر بلهفة وهي تشعر بكم كبير من السعادة بسبب جمال ذلك الحصان، كان حصاناً أشبه بالأحصنة الأسطورية فائقة الجمال.

وبمجرد هبوط الحصان، حرك الشاب يده لأعلى فبدأت فريدة بالارتفاع عن الأرض فبدأت ملامح القلق تُرسم على وجهها وخاصة أن توازنها اختل، فنظر لها الشاب مبتسمًا مطمئنًا إياها فاطمأنت، فقام بتحريكها إلى أن ركبت الحصان، من ثم صعد على الحصان أمامها، فأمسكت به بشدة وهي في قمة السعادة، بدأ الحصان في العدو وضحكات فريدة تزداد أكثر وأكثر من نشوة السعادة، ومن ثم قفز الحصان وأطلق جناحيه للريح وارتفع عاليًا إلى أن وصل فوق البحر، هنا انبهرت فريدة من جمال المنظر، ولكن هذا الشعور لم يدم طويلًا، لأن السماء الصافية بدأت تتحول إلى سماء مليئة بالغيوم وأخذت تلك الغيوم تزداد ظلمة شيئًا فشيئًا هنا بدأت فريدة تقلق وتتمسك بالشاب بقوة لأن الرياح قد اشتدت، فأمر الشاب الحصان بالعودة لمكان آمن يهبطون به، وبالفعل غير الحصان اتجاهه ولكن فجأة ظهرت دوامة كبيرة

في عمق البحر، كانت الدوامة تجذبهم لأسفل، كان الحصان يقاوم ألا يقع بها، يرفرف بكلا جناحيه، يحاول ويحاول وفريدة تصرخ وهي تتشبث بالشاب و . . .

– فريدة، فريدة، استيقظي يا حبيبتي . . .

فتحت فريدة عينيها وهي تلتقط أنفاسها وقالت بلهفة:

– أنا هنا، أنا بخير.

همت أمها بالمسح على شعرها وقالت بحنو:

– كنتِ تصرخين في نومكِ يا عزيزتي، يبدو أنكِ متعبة جدًّا .

– كيف جئت لسريري يا أمي . . . ؟

– الروبوت قام بنقلكِ لأنكِ فقدتِ الوعي، وبمجرد أن اتصل بي تركتُ أهلي في دمنهور وجئتُ إليكِ، ماذا بكِ يا بنيتي طمئنيني عليكِ . . . ؟

– أنا بخير يا وتين، كل ما في الأمر أني في بداية الحمل . . .

هللت وتين وقالت بطريقة غير مصدقة وهي في قمة السعادة:

– حامل، منذ متى تعلمين . . . ؟

– لا يهم منذ متى يا أمي، المهم أنكِ علمتِ الآن.

- كم أتمنى أن يكون طفلكِ ذا بال طويل عنكِ يا فريدة .

ابتسمت فريدة بسمة مكسورة أنبتت بداخلها نبتة صغيرة وسط حطامها الداخلي

وقالت بلهفة:

- اشتقتُ إليكِ يا وتين، اشتقتُ إليكِ بشدة .

ومن ثم خانتها دموعها وذرفت من عينها فقامت وتين بلهفة وعانقتها :

- وأنا أيضًا اشتقتُ إليكِ كثيرًا يا بنيتي .

تشبثت بها فريدة بشدة مثل الطفلة وهي تبكي بحرقة:

- أرجوكِ يا وتين لا تتركيني، ليس لي سواكِ، لا تتركيني .

مسحت أمها على شعرها وهي تعانقها وقالت بصوت مرتجف:

- سأظل معكِ إلى الأبد يا بنيتي، روحي مع روحكِ إلى الأبد .

بعد مرور بضعة أسابيع وصلت رسالة لفريدة من إيفانا :

"فريدة يجب أن نتكلم، يجب أن أطمئن عليكِ"

فقامت فريدة بالرد عليها برسالة أيضًا :

-"أنا بخير يا إيفانا ، وأنا لستِ مجنونة كما وهمتِ زوجي بأني أحتاج لعلاج نفسي، لا أدري لمَ فعلتِ هذا . . . ! هل كنتِ ترغبين في زعزعة صورتي في نظر أبسل فيلجأ لكِ فتقتربين منه وتكوني أنتِ في نظره العاقلة المنقذة وأنا المجنونة، على العموم أنا وأبسل انفصلنا فهو لكِ الآن، وإن كنتِ قلقة عليّ فأنا في وضع أفضل منكِ بكثير" .

ردت إيفانا برسالة:

-"ما الذي تقولينه هذا . . . ؟ ألن تتوقفي عن جنانكِ هذا . . . ؟ كنت أظن أن بعد مرور كل تلك الفترة تحسنت حالتكِ ولكن يبدو أن الوضع لم يتغير، أنا آتية إليكِ يا فريدة، لن أتركِ هكذا مرة أخرى" .

ردت فريدة برسالة:

-"وجودكِ غير مرحب به هنا ، لا أنتِ ولا أي شخص يتشكك بقواي العقلية" .

بعد مرور بضع ساعات ها هو جهاز إنذار الفيلا يصدر تنبيهًا بقدوم أحد ما ، يظهر على الشاشة المنبثقة من هاتف فريدة شاشة منقسمة بينها وبين إيفانا ، فقالت فريدة بغضب:

-ألم أقل لكِ لا تأتي إلى هنا ؟

تمالكت إيفانا نفسها وقالت:

– اعتبري أن هذا آخر لقاء بيننا يا فريدة، ولكن يجب أن أشرح لكِ بعض الأمور، صدقيني لمصلحتكِ.

قامت فريدة بفتح البوابة فدخلت إيفانا، وبمجرد ما وصلت إيفانا أمام باب الفيلا الداخلي وقفت فريدة أمام باب الفيلا بحزم وقالت:

– قولي ما عندكِ يا إيفانا.

نظرت لها إيفانا بتعجب وقالت:

– هنا . . . ! على الباب . . . !

ومن ثم قامت بإزاحة فريدة ودخلت مجلس الضيوف وجلست وقالت بثقة:

– اجلسي يا فريدة دعينا نتكلم بهدوء.

ضحكت فريدة بتهكم:

– هههههه، آه تمثلين دور الطبيبة النفسية وأنا المريضة المجنونة.

أشارت لها إيفانا كي تجلس وقالت:

– اعتبريني أنا المجنونة يا فريدة وسايريني.

جلست فريدة بضجر وقالت:

– قولي ما عندكِ يا إيفانا، ولكن أسرعي لأني متعبة ويجب أن أرتاح.

تعجبت إيفانا وقالت متسائلة:

– متعبة، ما بكِ...؟

– أنا حامل، وأحتاج لقدر كافٍ من الراحة.

مسحت إيفانا بيدها على وجهها ومن ثم تنفست بعمق وقالت بنفاد صبر:

– يبدو أن حالتكِ ازدادت سوءًا يا فريدة.

وقفت فريدة وصرخت غاضبةً:

– لمَ أنتِ مصممة أن تجعليني أقتنع أني مجنونة، في البداية أقنعتِ زوجي أبسل والآن تريدين أن تسيطري على تفكيري.

وقفت إيفانا بحزم وأمسكت بكلا ذراعي فريدة وقالت بغضب:

– لأن أبسل لا وجود له، أنتِ موهومة.

صدمت فريدة لوهلة ومن ثم عادت لرشدها وقالت بغضب وهي تبعد يد إيفانا عنها:

– توقفي أنتِ عن ظنكِ بي أني مجنونة، كيف تنكرين وجوده الآن وأنتِ رأيتِهِ معي في لندن عدة مرات . . . ! ؟ حسنًا سوف أثبت لكِ أن أبسل له وجود وإنه كان زوجي وأبو ابني .

من ثم تحركت تجاه الباب وأكملت كلامها :

– سوف أحضر لكِ أمي كي تشهد لكِ بصدق كلامي . . . أمي، وتين . . . تعالي إلى هنا . . .

اقتربت منها إيفانا وقالت:

– لن تأتي يا فريدة، لن تأتي، لأنها ماتت منذ أكثر من عام .

التفتت لها فريدة وهي مصدومة وقد امتلأت عيناها بالدمع، وقالت ناكرة:

– توقفي عن كذبكِ يا إيفانا ، توقفي، أمي هنا ، كانت معي منذ قليل، سوف أريكِ بنفسي .

همت فريدة بالتحرك وهي في حالة إنكار وهي تتجه للطابق العلوي وهي تقول لإيفانا :

– سوف أثبت لكِ أنكِ على خطأ وأني على ما يرام، كل ما في الأمر أن أمي متعبة بعض الشيء ويبدو أنها نائمة .

ها هي إيفانا تتبعها وهي تقول لها :

– فريدة أرجوكِ صدقيني، أنا هنا كي أساعدكِ .

هنا فتحت فريدة غرفة أمها ووقفت مذهولة، دخلت وراءها إيفانا ومن ثم نظرت لفريدة بيأس وقالت وهي تلمس يدها :

– أرجوكِ يا فريدة عودي معي وستكونين بخير، كل ما في الأمر أنكِ تحتاجين لعلاج و . . .

تركت فريدة يد إيفانا وقالت بجدة وهي تخرج من الغرفة:

– اتركي يدي لا تتصنعي أنكِ يهمكِ أمري .

وأخذت تنادي على أمها :

– وتين، أين ذهبتِ يا وتين ؟

من ثم نظرت لإيفانا وقالت:

– يبدو أنها خرجت من البيت ولم أشعر بها ، بعد قليل ستعود .

لمست إيفانا سلسلتها فانبعثت شاشة منها وفتحت صورة وقالت لفريدة:

– فريدة هذا قبر والدتكِ، وهذه صورتكِ وأنتِ بجوار قبرها، أنتِ من طلبتِ مني أن ألتقط لكِ تلك الصورة، انظري.

وقفت فريدة تتأمل الصورة وهي مصدومة وعيناها تذرفان الدمع وهي تقرأ اسم والدتها وتاريخ وفاتها وقالت بعد أن أعادت تركيزها ومسحت دمعها:

– كاذبة، إن هذه الصورة ليست حقيقية، أنتِ من قمتِ بـ. . .

صرخت بها إيفانا وقالت:

– ولِمَ أفعل ذلك في صديقتي وأختي لِمَ. . . ! ؟

– هذا السؤال تسألينه لنفسكِ ليس لي أنا وهيا اخرجي من بيتي. . .

– فريدة لا يصح الذي تقولينه لي، أنا أريد مصلحتكِ.

بدأت فريدة تمسك بيد إيفانا وتسحبها كي تنزل من على الدرج وهي تقول بغضب:

– أنا أعرف مصلحتي جيدًا هيا اخرجي من هنا، لا أريد أن أرى وجهكِ.

بدأت إيفانا تنظر لفريدة بحيرة وأسى وقالت وهي تنزل الدرج:

– فريدة هذه ثاني مرة تطردينني من بيتكِ وترفضي اهتمامي بكِ.

هنا وصلت فريدة للباب وفتحته وهي تدفع إيفانا للخارج وقالت بغضب:

– لعل هذه المرة تجعلكِ تفهمين أنكِ غير مرغوب بكِ .

ومن ثم أغلقت فريدة الباب في وجهها ، فقالت إيفانا بإصرار من وراء الباب:

– لن أتركك هذه المرة يا فريدة، سأظل هنا لكي تقتنعي بكلامي .

– كلامكِ كذب لا أريد أن أسمعه .

– أنا أعلم أن فقدكِ لأبيكِ كان صعبًا وبوجود أمكِ معكِ تجاوزتِ المحنة، ولكن عندما فقدتِ أمكِ منذ أكثر من عام، كنتِ حديثة التخرج فقررتِ الهروب من الصدمة بكثرة العمل، هربتِ من الصدمة ولم تعطيها الوقت اللازم للتعافي مثل ما فعلتِ بعد فقدكِ لأبيكِ كي تتعافي من صدمة الفقد ، بل كل ما فعلتِهِ هو أنكِ ضغطتِ على جرحكِ بفقدكِ لأمكِ وأكملتِ عملكِ لحد الإجهاد وعدم تعايشكِ للألم وعدم إعطائكِ حقه فعقلكِ نكر وجحد الفقد من الأساس لذا ساءت حالتكِ، تصنعكِ القوة وممارسة حياتكِ وبدء العمل في العيادة معي والضغط النفسي زاد الأمور سوءًا وذلك بتخيلكِ لأبسل الذي لم أره ولا مرة، وبسبب إنكاري لذلك قررتِ أن تبتعدي عني ولم توافقي أن أظل معكِ كي تتجاوزي تلك

الصدمة لذلك بعد موت والدتكِ اقتربتِ أكثر من شخصية أبسل في عقلكِ، كي يعوضكِ عن الفقد الذي مررتِ به، واختلقتِ أحداثًا جديدة كي تشغلي عقلكِ وتخرجي من تلك الصدمة، ولكن هذا الوهم يزيد الأمر تعقيدًا أرجوكِ افتحي لي، وسوف أثبت لكِ . . .

- ارحلي من هنا لا أريد أن أعرف شيئًا .

***

صعدت فريدة غرفتها ونظرت من شرفتها فرأت إيفانا ما زالت في الحديقة إلى أن حل المساء، بدأت فريدة تشعر بالتعب وقررت أن ترتاح في سريرها إلى منتصف الليل، ولكن النوم لم يعرف طريقه إليها بسبب كثرة الإجهاد الذي تمر به جراء كثرة التفكير فقررت فريدة أن تخرج للشرفة كي ترى إيفانا .

فخرجت ولم تجدها، حينها علمت أنها تعبت ورحلت كي ترتاح.

هنا وقفت فريدة أمام مرآتها وهي تنظر لنفسها بتشكك وتقول في قرارة نفسها :

-هل أنا مجنونة حقًا، هل أنا أتوهم . . . ؟ ! يجب أن أسكت كل هذه التساؤلات وأتأكد بنفسي، يجب ألا أفقد الثقة بنفسي بسبب مجرد ترهات .

تجهزت فريدة وخرجت من الفيلا وركبت سيارتها ، وفي خلال فترة وجيزة وصلت دمنهور مسقط رأس والديها ، فقالت فريدة في قرارة نفسها وهي تقف أمام بيت أهل أمها :

-أكيد أمي عادت للبيت لحدوث أمر طارئ، سوف أجدها هنا .

وبالفعل صعدت فريدة لشقة الدور الأول علوي في البيت وطرقت عدة طرقات على الباب ذا الطراز القديم، فتحت لها خالتها وعلى وجهها أمارات النعاس ولكن سرعان ما فاقت وقالت بلهفة:

– فريدة حبيبتي، عاش من شافكِ يا عزيزتي، كلما كبرتِ صرتِ تشبهين أمكِ أكثر .

ومن ثم عانقتها بشدة بينما كانت فريدة شاردة وهي في حضنها تبحث عن أمها في الأرجاء بعينيها ، أخرجتها خالتها من حضنها بلهفة وهي تنظر لها بعينين دامعتين وهي تؤشر لها بالدخول:

– تفضلي يا حبيبتي، البيت بيتكِ، لقد اشتقتُ إليكِ كثيرًا .

نظرت لها فريدة بحيرة وهي تبحث عن أمها وقالت:

– أين أمي يا خالة . . . ؟

ذُرفت الدموع من عين خالتها ، واقتربت من فريدة وهي تضع يدها على كتفها مواسية لها :

– أمكِ موجودة في كل مكان، أمكِ تعيش بداخل هذا البيت بل وداخلنا كلنا ، وتين لم تفارقنا لحظة .

أبعدت فريدة يد خالتها عنها وقالت بغضب وهي تدخل غرفة أمها باحثة عنها :

– توقفي عن ألغازكِ هذه، أين هي أمي . . . ؟

لحقتها خالتها باكية لداخل الغرفة وقالت:

– أعلم أن فراقها صعب عليكِ يا فريدة بل صعب علينا جميعًا و . . .

التفتت فريدة وقالت بغضب وقد ثبتت عيناها في محجريهما من الصدمة:

– ماذا تقصدين بفراقها . . . ؟

اقتربت خالتها منها وعانقتها بشدة وهي تقول لها وهي تجهش بالبكاء:

– ماتت يا فريدة، ماتت منذ أكثر من عام، تقبلي قدر الله يا بنيتي، أعلم أن الفراق صعب ولكن لنا لقاء مرة أخرى بكل عزيز فارقنا ورحل عن دنيانا .

ظلت فريدة واقفة مرخية جسدها بين ذراعي خالتها شاردة وعيناها تذرفان الدمع من الصدمة ومن ثم ثقل جسدها تمامًا بين يدي خالتها وفقدت الوعي .

***

بعد مرور بعض الوقت ها هي فريدة تعود لوعيها وبجوارها خالتها وبيدها كأس عصير وبيدها الأخرى تلمس شعرها برفق وهي تنظر لها بعينين لامعتين بسبب كثرة الدمع التي تجمح سقوطه وقالت بحنو:

– حمدًا لله على سلامتكِ يا عزيزتي، هيا يا حبيبتي اشربي هذا العصير .

قامت فريدة بتعب وسألت بأسى:

– منذ متى وأنا هنا . . . ! ؟

مدت لها خالتها العصير بإصرار وهي ترد عليها :

– لم يمر الكثير من الوقت، فقدتِ الوعي ولكنكِ لتوكِ أفقتِ، لذا اشربي هذا العصير يا عزيزتي .

أبعدت فريدة يدها برفق وقالت بصوت مكتوم كمن يلتقط أنفاسه بصعوبة وكأن الدنيا كلها بحمولتها وهمومها جثت فوق صدرها :

- لا أريد أن أشرب شيئًا يا خالة صدقيني، أحتاج أن أتنسم الهواء في الشرفة فقط، واسمحي لي أن أكون بمفردي.

أومأت لها خالتها برأسها بأسى متفهمة رغبتها .

ها هي فريدة تقوم بصعوبة، وكأن وجود أمها في حياتها كان يشكل لها فقرات عمودها الفقري وبرحيلها شُلّت تمامًا عن الحراك.

قالت فريدة وهي تتقدم نحو الشرفة بأسى وعينان تنهمران بالدمع النابع من حرقة قلبها:

- كل من يشكل لي سندًا في هذه الحياة رحل عني وتركني، أبي وأمي ودكتور جون، وكذلك ها أنا مجنونة يتوهم لي، لمَ أنا على قيد الحياة. . . ؟

أخذت تتنسم الهواء بصعوبة، ومن ثم رُسمت على وجهها ابتسامة مكسورة وهي تبكي عندما تذكرت عندما رجعت بالزمن ليوم كتب كتاب أبيها وأمها ورأتهما وهما في سن الشباب* .

تذكرت اليوم الذي كانت تقف فيه في الشرفة مع أمها وهي لا تعلم أنها ابنتها وقد جاءت لها من المستقبل.

قالت فريدة بحيرة وهي تنظر للبيت المهجور الذي أمامها :

– وهل يا ترى مغامراتي تلك ورجوعي بالزمن كان حقيقيًا أم لا . . . ؟ ولكن إيفانا قالت لي أني تجاوزتُ فراق أبي لأني ظللتُ مع أمي إلى أن تمكنتُ من التعافي وهذا يعني أن رجوعي بالزمن ولقائي بفارس في هذا البيت المهجور حقيقي .

ولكن إيفانا قالت لي أني اختلقتُ شخصية أبسل وبعد فراق أمي اختلقتُ شخصيتها أيضًا وهذا بسبب شعوري بالذنب لأني تركتها في مصر بمفردها واخترتُ أن أكمل حياتي من دونها .

بدأت فريدة تبكي بحرقة وهي تجثو أرضًا وتتكلم بصوت نادم:

– طلبت مني أن أستقر معها في مصر بعد موت أبي، ولكني رغبتُ أن أرضي رغبة من مات عن رغبتها هي التي معي على قيد الحياة .

رغبتُ أن أرضي أبي الراحل وأن أحقق حلمه أولًا وأكون تلك الطبيبة التي تمناها ومن ثم أعود لمصر .

ضحكت فريدة بتهكم باكيةً وهي ترفع رأسها للسماء :

– أين أنت يا أبي يا من رغبتُ أن أرضيه وتركتُ بسببه أمي كي أكون طبيبة، بنتك الوحيدة يا حبيبي صارت مجنونة.

كنت تظن أن ابنتك ليس لها مثيل في قراراتها، بل ابنتك تمتاز بحمق لا مثيل له.

من ثم انهارت باكية ووجهها للأرض:

– ولكن أقسم لك يا أبي لم يهن عليّ تركها، كل ما في الأمر أني كنت أرغب أن أرضيك ومن ثم أرضيها بقية عمري.

ولكن مشكلتي دائمًا أني لا أنتبه لكلامها، هي قالت لي لا أرحل وأظل معكما في آخر يوم في حياتك يا والدي، ولكني أصررت ورحلت وتركتك.

ومن ثم تركت أمي ولم أنتبه لرغبتها بوجودي معها، المشكلة يا أبي ويا أمي أن المرء يفعل ما يشاء ويترك أحباءه ظنًا منه أنهم دائمون له.

ولكن الحقيقة ألا شيء ولا أشخاص يدومون في هذه الحياة الغدارة.

من ثم مسحت فريدة دمعها وحاولت أن تقف من جديد وقالت بحزم:

– توقفي يا فريدة، توقفي، ليس من طبعكِ الندم، أحمد الرب على ظهور إيفانا في حياتي، تلك الصدمة بالحقيقة ما هي إلا بداية انقشاع نور الحقيقة في حياتي بعد ظلمة الوهم.

يجب أن أرى الأمور على حقيقتها.

أنا توهمت شخصية أبسل كي تعوضني عن فراقي لفارس، وكان موت أمي حافزًا لكي أقترب منه أكثر. ولكن إن كان أبسل وهمًا كما تقول إيفانا أنا حامل مِمَن...؟ الطبيب في المشفى هو الذي أكد لي الخبر.

لا أكيد أبسل له وجود في الواقع أكيد... هل يمكن يكون فارس هو من فعل بي هذا...؟! وكذلك فارس ليس بوهم إن ريحانة أثبتت عودته للحياة.

من ثم نظرت فريدة للسماء وهي تفكر بعمق سارحة في القمر المكتمل وهي تقول في قرارة نفسها:

ـيجب أن أعود حالًا كي أقابل إيفانا كي أصل لحل و...

لكن قطع كلامها الداخلي قلق مفاجئ بسببه تحولت نظرتها إلى الخوف وقالت في قرارة نفسها وهي تهرع خارجة من الغرفة مسرعة:

-إيفانا، يجب أن ألحق بإيفانا .

ها هي خالتها تلحق بها وتنادي عليها بقلق:

-فريدة حبيبتي إلى أين أنتِ ذاهبة الآن . . . ؟

ولكن فريدة لم ترد عليها ورحلت .

***

ركبت فريدة سيارتها وهي تتصل بإيفانا ولكن لا يوجد رد .

من ثم وصلت فريدة شارع فيلتها فرأت أمامها الكثير من الأنوار، قادت سيارتها ببطء تحاول أن تستوعب هذا الحشد من السيارات، وبمجرد وصولها وخروجها من السيارة سمعت صفير سيارات الشرطة وبمجرد أن لمحها شرطي أشار لرجال الأمن أن يقيدوها .

فريدة تجثو على ركبتيها ويقيد يدها من الخلف رجل أمن غشيم .

ولكن فريدة شاردة ذاهلة مصدومة تنظر لما حولها غير مدركة ما تراه وهي تقول في قرارة نفسها:

-هل هذا واقع أم كابوس . . . ؟ ماذا يحدث هنا . . . ؟

هنا يأمر الضابط رجل الأمن أن يقوم بأخذ فريدة في سيارة الشرطة وفريدة مصدومة وعيناها مثبتتان لا تقدر على النطق أو السؤال حتى .

وبمجرد ركوبها لسيارة الشرطة بدأت ترى من نافذة السيارة كل شيء يدور أمامها ، الأسئلة تكثر في عقلها وتدور والدوار يسيطر عليها إلى أن . . . فقدت الوعي من جديد .

***

فريدة تجلس على كرسي فاقدة للوعي مقيدة اليدين للخلف، وفجأة تشعر بدلو من الماء البارد سقط عليها ، كان كفيلاً أن يجعلها تعود للحياة إن كانت ميتة لا أن يعيدها لوعيها إن كانت قد فقدته فقط .

فاقت فريدة وهي تشهق شهقة عميقة، ونظرت بصدمة لأمين الشرطة الذي أمامها ولكن سرعان ما قطع تفكيرها قبل أن يبدأ صوت ضابط الشرطة:

– لن نظل ننتظر حضرتكِ طول الليل أيتها القاتلة النائمة .

نظرت له فريدة بصدمة وقالت بتعجب:

– قاتلة . . . ! من القاتلة . . . ؟

ضحك الضابط وقال:

– الأمين مرسي هو القاتلة.

من ثم حول ضحكته إلى غضب وهو يطرق المكتب بكلتا يديه وهم واقفاً:

– لا تتصنعي الغباء، لا يوجد امرأة غيركِ هنا.

بدأت فريدة تبكي وقالت:

– ولكني لست بقاتلة صدقني.

– المجني عليها آخر من تواصل معها كنتِ أنتِ وكان بينكما محادثة تدور حول شجار على رجل يدعى أبسل بدافع الغيرة وأظن أنه دافع قوي للقتل... وكم أنتِ ذكية، بعدما انتهيتِ من عملية القتل بدأتِ تتصلين بها كي تبعدي الشبهات عنكِ بل ولم تكتفي بذلك بل حضرتِ لمسرح الجريمة بنفسكِ كي تبعدي الشبهات أكثر ولكنكِ لم تدركي أنكِ أقحمتِ نفسكِ في الجحيم.

بدأت فريدة تبكي تدافع عن نفسها:

– صدقني أنا لم أقتلها، كان بيننا سوء تفاهم بسيط ولكني لم أقتلها، بل لم أكن في البيت من الأساس، يمكنك أن تتأكد من وجودي في ذلك الوقت عند خالتي في

دمنهور في العنوان التالي . . . . . بل يمكنك التأكد من الكاميرات في الفيلا لكي تتأكد من صدق كلامي .

– يتم فحصها الآن، ولكن يجب أن تعلمي أن بإمكانكِ التلاعب في كاميرات بيتكِ فلن نأخذها كدليل قاطع .

– صدقني لم أقتلها .

صاح بها الضابط بحدة وقال:

– إذن من الذي قتلها . . . ؟

وضع أمامها صورة إيفانا وجثتها غارقة بالدم وكأنما تم طعنها بخناجر بعرض جسدها .

انهارت فريدة عندما رأت جثة صديقتها وقالت:

– أقسم لك أني لم أفعل ذلك، كان مجرد سوء تفاهم وجاءت لي كي تتحدث معي ولكني رفضت حديثها ، ولكني بمجرد أن راجعت نفسي رغبت أن أقابلها وتتحدث سويًا ، كنت أتصل بها ولكنها لم ترد عليّ .

– وكيف ترد وأنتِ قمتِ بقتلها ؟

– لم أقتلها أقسم لك لم أقتلها .

– إذن من فعل ذلك نيابة عنكِ، يمكن أنتِ سلطتِ أحدًا بدلاً منكِ كي تبعدي نفسكِ عن مسرح الجريمة .

– لم أفعل ذلك صدقني، هذه صديقتي وأختي لا يمكن أن أفعل ذلك بها .

جلس الضابط وتنهد بعمق بعد ما أشعل سيجارة وقال:

– هل تشكين في أحد يمكن أن يفعل ذلك بكِ كي ينتقم منكِ بخصوص أمر ما ، هل لديكِ أي خلافات مع أحد . . . ؟

انتبهت فريدة وقالت كمن تذكر شيئًا بعد ما ازدردت ريقها :

– نعم، أنا أمر بخلافات مع زوجي، بل كان زوجي أنا حاليًا طلبت الطلاق منه .

نفث الضابط دخان سيجارته وقال بثقة:

– جميل، وما هو سبب رغبتكِ بالطلاق ؟

– لأنه يشك بي أني أخونه .

ضحك الضابط وقال ساخرًا :

– هههههه أنتِ تخونيه وهو يخونكِ، يعني أنتما أولاد حرام مثل بعضكما البعض، أكملي .

– أنا لست بنت حرام، لا أسمح لك أن تقول . . .

هنا صاح بها الضابط وهمّ وأمسك بياقتها بقوة وسحبها فصارت أمامه مباشرة وقال لها بتهديد :

– إياكِ أن تملي عليّ ما الذي يجب أن أفعله أو أن أقوله، أتفهمين . . . ؟ وهيا أكملي لي أسباب الخلاف وهل تشكين في شخص آخر قد يكون له يد في هذه الجريمة ؟

ازدردت ريقها وقالت بتردد :

– نعم أشك في فارس، جاري في الفيلا الموازية لفيلتي .

– ولِمَ تشكين به . . . ! ؟

– لأني اكتشفت أنه قاتل متسلسل وعرفت مكان دفن الجثث، يمكن هو من قتلها .

ابتسم الضابط وقال بثقة:

– الله الله، قاتل متسلسل، وأنتِ متسترة عليه، هذه جريمة تضاف لكِ فوق جريمتكِ، يبدو أن سهرتنا طويلة، احكي كل شيء بالتفصيل .

وبالفعل أكملت فريدة التحقيق وأعطت للضابط كل التفاصيل الخاصة بأبسل وفارس.

بدأت الشرطة بالبحث عن أبسل وفارس وهنا كانت الصدمة.

ها هي فريدة تدخل مكتب الضابط وهي مكبلة اليدين للأمام وعلى وجهها كل أمارات التعب.

هلل بها الضابط وهو يقول ساخرًا:

– أهلاً بحضرة القاتلة المخادعة الخائنة.

قلتِ لي أنكِ تشكين أن زوجكِ هو من فعل ذلك لما بينكما من خلاف لأنه يظن أنكِ خائنة.

ولكن يا حضرة الطبيبة أنتِ غير متزوجة من الأساس، ولا وجود لهذا الأبسل الذي تتهمينه أنه زوجكِ.

قالت فريدة وهي مصدومة:

- كيف لا وجود لأبسل . . . ؟ أنا حامل منه . . . ! هو من أوصلني للمشفى عندما تعرضت للطعن، بل وقام ضابط بالتحقيق معه، هل راجعت كشف المشفى و . . .

قال الضابط بغضب وهو يهم واقفًا :

- بحثنا كما قلتِ تمامًا بل وأكثر من ذلك، موظفو المشفى قالوا إنهم وجدوكِ ملقاة أرضًا بعدما هبطتِ من السماء أي أنكِ تحاملتِ على نفسكِ إلى أن وصلتِ للمشفى وهذا ما أثبتته كاميرا المراقبة، ولم يأتِ أحد لزيارتكِ قط .

- ولكن كيف . . . ؟ كيف لا وجود له . . . ؟

من ثم قالت بقلق:

- إذن هو فارس من فعل ذلك . . . هو القاتل .

تنهد الضابط بنفاد صبر وقال:

- إن الفيلا الموازية لفيلتكِ مهجورة منذ عدة سنوات، كانت تملكها امرأة اسمها رحاب كما ذكرتِ ولكنها ماتت وقد سبقها ابنها فارس بالموت .

بدأت فريدة تنظر لما حولها بإنكار وهي تقول بقلق وخوف قد غمرها :

– ولكنه حقيقي، حتى ريحانة قالت إنه حقيقي، أكيد هرب، يجب أن تبحثوا عنه، إنه قاتل . . . هل فتشتم القبو . . . ؟ القبو سوف يثبت صدق كلامي .

– نعم فتشنا القبو، كان قبوًا ذا بلاط قديم وعليه الكثير من التراب ولا يوجد أثر لقدم واحدة، مما يدل على عدم دخول أحد هنا منذ سنوات لا أنتِ ولا غيركِ .

أنتِ المتهمة الوحيدة بقتل إيفانا .

صرخت فريدة وقالت باكية:

– يوجد قبو أسفل القبو صدقني، لم أقتلها ، لم أقتلها .

تنهد الضابط وقال بنفاد صبر:

– ما زلتِ تنكرين . . . ؟

من ثم لمس خاتمه فظهرت الشاشة فقام بتشغيل فيديو ووقف بجوارها وقال لها :

– هل ما زلتِ تنكرين أنكِ لستِ القاتلة . . . ؟ أليس هذا بدليل قاطع . . . ! ؟

كان الفيديو يعكس لفريدة صورتها وهي تفتح الباب لإيفانا وتبتسم لها وتدعوها للدخول، ومن ثم دخلت وراء إيفانا لغرفة الضيوف وأغلقت الباب وراءها ،

والكاميرا الداخلية للغرفة تعكس هجوم فريدة عليها بعدما ارتدت قفازاً ذا مخالب حادة تشبه السكاكين .

قال لها الضابط بثقة:

– قمتِ بطعنها بدون رحمة أي كأنها ألد أعدائكِ، وبعد هجومكِ صعدتِ لغرفتكِ ولكن لم نجد كاميرا سجلت ما حدث في غرفتكِ، ولكن بعد قليل خرجتِ من غرفتكِ بل من الفيلا تمامًا وسافرتِ لخالتكِ كي تلغي الشكوك حولكِ في وقت حدوث الجريمة ولكن يبدو أنكِ نسيتِ أن الطب الشرعي أثبت موعد قتل المجني عليها ، وكان وقت الحادث وقت وجودكِ في الفيلا .

بدأت فريدة تصرخ وتبكي:

– لست أنا ، لست أنا الفاعلة، أكيد أبسل أو فارس وإذا كان لم يكن لهما وجود إذن جواد هو من فعل ذلك .

ضغط الضابط بيده على رأسه وقال بتنهد :

– يبدو أنكِ لن تتوقفي عن اتهامكِ للغير رغم إثبات التهمة عليكِ .

– أقسم لك أنه جواد ، جواد من فعل ذلك، جواد هو السبب .

– خذها يا عسكري لغرفة الطبيب النفسي كي يثبت سلامة حالتها العقلية .

بدأت فريدة تصرخ وهي تدخل غرفة الطبيب النفسي:

– أنا لست بمجنونة، أنا بكامل قواي العقلية .

فقاطعها الطبيب بصوت رخيم:

– إذا كنتِ بكامل قواكِ العقلية فهذا يثبت قيامكِ بهذه الجريمة .

بدأت فريدة تبكي وتتكلم بهدوء بعدما أذن لها الطبيب بالجلوس:

– أنا لست مجنونة أنا فقط كنت أعاني من حالة صدمة وكنت أتوهم بعض الأمور ولكني لست بمجنونة .

– اهدئي يا فريدة أنا هنا كي أشخص حالتكِ، احكي لي كل شيء وأنا كلي آذان صاغية .

حكت فريدة كل شيء مرت به للطبيب وبعدما انتهى الحديث عادت فريدة لحجزها .

***

بعد يوم أصدر الطبيب تقريرًا بأن فريدة مريضة باضطراب عقلي بسبب عدة صدمات متتالية فهذا أثر على عقلها وإنها مصابة بالذهان الذي يسبب لها توهم مواقف لم تحدث وأشخاص لا وجود لهم .

وحالتها متذبذبة بين الواقع والخيال، بعض حديثها مبني على الواقع، يوجد شخصيات ذكرتهم وكان لهم تواجد حقيقي ولها صلة بهم في الواقع مثل الكاتبة رانيا صديقتها ولكن أبسل وفارس وأمها هم مجرد وهم بعد تأكدي بنفسي، لذا أطلب بنقلها لمستشفى الأمراض العقلية كي يتم علاجها وتتجاوز هذا المرض ولا يتعرض أحد للخطر على يدها أو حتى ممكن أن تعرض نفسها وجنينها للخطر .

***

الفصل الرابع عشر

نهاية المعاناة

فريدة في الحجز بمفردها والتعب سيطر عليها وبدأ النعاس يغلبها ولكنها تقاوم وتفكر في حالها غير مدركة ما يجري لها ، ولكن فجأة رأت ما قطع تفكيرها .

رأت فارس أمامها ، ضربت فريدة وجهها وقالت:

-لا وجود لفارس، لا وجود لأبسل، كل شيء يثبت أني مجنونة واهمة، لا تنساقي وراء وهمكِ .

قطع همسها صوت فارس وهو يقول بأسى:

- أنا لست وهمًا يا فريدة وأبسل ليس وهمًا ، لا تنكري الحقيقة التي تراها عيناكِ حتى لو أقنعكِ الناس جميعًا بعكس ذلك .

أغمضت فريدة عينيها وقالت بحدة لنفسها وهي تضرب وجهها :

-توقفي عن جنانكِ يا فريدة لا تسايري وهمكِ، توقفي .

ولكنها سمعت صوتًا جعلها ترفع رأسها .

كان الصوت هو صوت ارتطام قضبان الزنزانة، بمجرد ما نظرت أمامها رأت أن قضبان الزنزانة من المنتصف تم ثنيها وفارس ها هو أمامها وقد ازداد جسمه ضخامة ويده ذات مخالب حادة، وقبل أن تفكر أو تدرك الموقف رأت رجال الشرطة يهمون بالدخول، ومن نظرة عينيها فهم فارس والتفت تجاههم وتحول في لمحة عين إلى ذلك الطائر الضخم، هنا وقف رجال الشرطة لوهلة غير مصدقين الموقف الذي أمامهم ولكن في ذات اللحظة صدر أمر بإطلاق النار على الطائر، ولكن الطلقات لم تؤثر به قط، ظلت فريدة وراءه تحتمي به من ثم قال لها:

- اصعدي على ظهري يا فريدة.

وبالفعل صعدت فريدة ونامت على ظهره كي تحتمي من طلقات النار.

قام فارس بإطلاق نار لمدى قصير كي يبعد رجال الشرطة عنهما وهو يقول:

- افسحوا الطريق لا أريد خسائر لأي روح.

ولكنهم استمروا في إطلاق النار، فاضطر فارس بأن يطلق لهبًا من فمه لهبًا شديدًا كي يبتعد كل من أمامه وبعد أن خرج من الزنزانة أطلق لهبًا بشكل دائري في كل

الجهات كي يبعدهم عنهما كي لا تصاب فريدة بأي طلقة إلى أن خرج من قسم الشرطة وطار في السماء وحلق عاليًا .

بعد قليل توقف صوت طلقات النار ، فرفعت فريدة وجهها وظلت تمسك بالطائر الذهبي بشدة وهي تقول بحيرة:

-أنا أحلم، أكيد هذا الحلم له نهاية .

ومن ثم نظرت للارتفاع فرأت أنها على ارتفاع شاهق كان المنظر كفيلاً أن يفقدها الوعي مرة أخرى .

***

فريدة تفتح عينيها فلا ترى أمامها سوى الظلام فقالت:

-ما زلت في الحجز، كان مجرد حلم، يبدو أن حالتي تزداد سوءًا .

فجأة بدأت ترى الضوء ينسدل للداخل، الرؤية بدأت تتضح أمامها ستارة تُزاح وتكشف عن جدار زجاجي من خلفه سماء صافية وأمامها حمام سباحة، وكأن الغرفة بها جهاز حساس في حالة استيقاظ النائم تفتح الستائر مباشرةً .

بدأت تنظر حولها فوجدت نفسها في غرفة فخمة ذات لوني الأبيض والأزرق فقط .

هنا أمسكت فريدة رأسها وقالت:

-أنا ما زلت في شهر العسل وكل الذي مررت به مجرد حلم .

من ثم تنهدت بعمق وقالت:

-الحمد لله أنه حلم .

هنا قطع تفكيرها صوت قادم من الخارج:

- حمدًا لله على سلامتكِ يا فريدة .

هنا همت فريدة من السرير وقالت بلهفة كي تقابله عند دخوله:

-حبيبي أ . . .

ولكن قبل أن تكمل كلامها ظهر أمامها فارس .

ترددت فريدة وتوقفت مكانها وقالت بحيرة:

- فارس . . . ! ما الذي أتى بك إلى هنا . . . ؟

ابتسم لها فارس وقال لها بثقة:

- لأني من أحضرتكِ إلى هنا يا عجيبتي .

- هل تقصد أني لست في شهر العسل مع أبسل وكل ما مررت به مجرد كابوس ؟

– لا، لقد انتهت علاقتكِ بأبسل، ولقد جئت بكِ إلى هنا كي تصفي ذهنكِ وتتقبلي الواقع بحلوه ومره ولا تجحدي بأي ذكرى مررتِ بها حتى وإن كانت سيئة .

تحركت فريدة تجاه الشرفة وهي تقول بحيرة:

– ولكن كل الأدلة أثبتت ألا وجود لك ولا وجود لأبسل .

اقترب منها فارس ووضع يده على ذراعها كي تلتفت وتنظر له وقال:

– أنا أشهد بصدقكِ وبوجود أبسل وزواجكِ منه لأني حضرت زفافكما ولكن كيف تقولين إن أمكِ ماتت منذ عام وأنا قد قابلتها .

نظرت له فريدة بتعجب وقالت:

– وكيف علمت بهذا الخبر . . . ؟

– كنت بجوارِكِ دائمًا أثناء بوحكِ بكل شيء للطبيب النفسي هل تتذكرين عندما كنتِ بجواري في الموقف ذاته في الماضي* ؟

ابتسمت فريدة وقالت:

– يبدو أن التاريخ يعيد نفسه .

ولكن سرعان ما بدأت تفكر وقالت:

- يعني أنت رأيت أمي ولكن كيف . . . ؟

- لا أعرف أدنى فكرة يا عجيبة .

فتحت فريدة الشرفة وخرجت تتنسم الهواء ، تجاوزت حمام السباحة وقررت أن تجلس على حافة المكان الجبلي وأخذت تنظر للبحر الذي يقبع بالأسفل .

وبعد صمت استمر لفترة وجيزة نظرت فريدة لفارس وقالت بتعجب:

- إذا كنت تريدني أن أقتنع أن ما مررت به واقع وأني لست مجنونة وأنك رأيت معي أمي وحضرت زفافي بأبسل لَم تجد الشرطة لك أي أثر ؟

ومن ثم نظرت بحيرة وسألته:

- آه، وكيف أنت تقف في الشمس هكذا من دون كمامة أو نظارة أو قبعة . . . ؟

ابتسم لها فارس وقال:

- لأني بعد أن قابلتك صرت لا أحتاج إليهم من الأساس، كنت أرتدي هكذا كي أقنعكِ فقط بمرضي لأني أعلم جيدًا أنكِ تفكرين في كل التفاصيل، ولكن بعد أن عرفتِ الحقيقة فلا داعي للاستمرار في الكذب .

بينما سؤالكِ لَيس لي أثر، فكيف تريدين أن يكون لي أثر وأنا مسجل أني توفيت منذ عدة سنوات . . . ؟ كان يجب أن أترك البيت، لأن قصتي لن يتفهمها أحد .

– والقبو الذي به الجثث . . . ؟ !

– لقد قمت بوضع طبقة إسمنتية وبلاط وطبقة من التراب تليق ببيت مهجور منذ عدة سنوات .

– يعني أنت هربت لأنك لا تريد أحدًا أن يعلم عنك شيئًا ، ولكن لَمَ بمجرد وصولي لمصر أنا وأبسل ظهرت لنا في الشارع . . . !

– لأني شعرت بكِ يا فريدة .

– وكيف شعرت . . . ؟

– لا أدري كان مجرد شعور فخرجت لكي أتأكد وبالفعل كنتِ أنتِ .

وأنا من همست لكِ في أول ليلة وصلتِ بها مصر .

هنا نظرت له فريدة بتعجب وقالت:

– يعني أنت من همست لي بعجيبة في هذه الليلة . . . ! لم يكن أبسل هو من قالها . . . !

– بل كنت أنا يا عجيبتي .

أمسكت فريدة رأسها وتساءلت:

– ولكن لمَ أبسل أخفى كل شيء يدل على وجوده . . . ؟

–لا أدري يا فريدة .

– توجد حلقة مفقودة يا فارس، بل يمكن تحليل ما أمر به على احتمالين، الاحتمال الأول أن كل ما مررت به وهم وكذلك وجودك أمامي ما هو إلا وهم .

بينما الاحتمال الثاني هو أنك حقيقي لأن ريحانة أثبتت حقيقة بعثك مرة أخرى وهذا يثبت صدق وجودك معي ولكنك تزيد الأمور تعقيدًا بتأكيدك أن أبسل واقع وأمي موجودة على قيد الحياة وهذا ما أنكرته إيفانا وبالفعل تأكدت من موت أمي بنفسي .

– ماذا تقصدين يا فريدة، لم أفهم تحليلك . . . ؟ !

– أمي ما هي إلا روح وممكن أنا وأنت لدينا قدرة برؤية الأرواح كأنهم واقع . . . ؟ !

نظر لها فارس بتعجب وقال:

–هل تقصدين أن أبسل كذلك من الـ . . . !

أكملت فريدة كلامها وقالت:

-نعم هو من الأموات، ولكن كيف لي أن أكون حاملًا من مجرد روح إلا لو كان . . .

-شيطان . . . !

نظرت فريدة بصدمة لفارس وقالت:

-هذا يعني أن أبسل هو . . .

في نفس واحد وملامح القلق رُسمت على وجه كلاهما :

-جواد . . . !

قالت فريدة وهي تبكي:

-لقد زرع بذرة الشيطان بداخلي يا فارس سأنجب أحفادًا للوسيفر، أعلم لا يمكن لإنسية أن تحمل مباشرة من شيطان ولكن لا أدري ما الحيلة التي فعلها أبسل معي . . . ! ؟ لقد انتقم مني أشد انتقام يا فارس .

بنفس الصدمة قال فارس:

-بل انتقامه مني كان أشد ، لقد نهبكِ مني، لقد سرقكِ الشيطان مني كما سرق الصهاينة أرض فلسطين .

لقد نهب أرضي وزرع بها زرعه الطالح .

قالت فريدة كمن بدأت تتضح له الأمور على حقيقتها :

-لذلك اختفت ريحانة، لقد قرأت قصتها وعلمت أن زوج خالتها من عالم الجن

لذلك يمكن يكون هو من حذرها كي لا تقحم نفسها معي .

من ثم أمسك يد فريدة بقوة وهو يقول لها بجدة:

- لا تفكري بريحانة الآن يجب أن تتخلصي من الشيطان الذي في بطنكِ يا فريدة .

صرخت به فريدة باكيةً:

-يجب أن أجد حلاً آخر .

***

الفصل الخامس عشر

المواجهة الحاسمة

بعد مرور عدة أشهر ها هي فريدة تقف على حافة الجبل، بفستانها الأبيض الذي يزيد جماله أكثر جسمها الرشيق، ها هو شعرها الطويل يتطاير مع الهواء وهي مغمضة العينين وهي تتنسم الهواء بعمق، ولكن سرعان ما تفتح عينها عندما تسمع صوت فارس القادم من البيت:

– أنا مستعد يا عجيبتي .

يظهر فارس وهو يحمل طفلة بين ذراعيه .

ها هو فارس يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة وفريدة تلمس وجهه برفق وتقول له:

– لقد حان الوقت يا عزيزي، ولكن يجب أن تفهم نيتي أنا لا أشك بك أبدًا ولكن يجب أن تعلم أن جواد سكن جسدك في الماضي، أريد أن أتخلص منه كي ننعم في حياتنا سويًا .

– وهل أنتِ واثقة من هذا . . . ؟ !

– هذا طقس يحدث في الهند يقوم الوالدان اللذان يشكان بوجود روح شريرة تسكن جسد ابنهما ، يقومان بإلقاء من يسكن جسده الشيطان من مكان عالٍ مع وجود ملاءة كبيرة كي تلتقطه .

أنا بحثت والبحث أثبت أن السقوط يجب أن يكون من مكان عالٍ، وفي النهاية يصل الجسد سليمًا معافى والروح الشريرة تنفصل عنه في الهواء ولا تعود له ثانيةً .

– حسنًا يا عجيبتي سوف أفعل ما تقولينه لي، سوف أقوم بذلك أنا وهي سويًا كي نتخلص من أثر أي شر بداخلنا وكي يطمئن قلبكِ تجاهنا .

لمست فريدة وجه الطفلة ومن ثم نظرت لفارس وقالت له:

– اجعل ظهرك للماء وتمسك بالطفلة جيدًا ، كلها ثوانٍ ونعيش في نعيم جميعًا .

***

ها هو فارس أعطى ظهره للبحر وضم الطفلة جيدًا ونظر لفريدة وابتسم ومن ثم رمى جسده في البحر .

ها هي فريدة تنظر لفارس وهو يسقط في البحر ويدها على قلبها ، مرت بضع ثوانٍ ولم يخرج فارس من الماء ، بدأت فريدة تنادي بقلق:

– فارس، فارس، هل تسمعني ؟ فارس، اخرج، لا تقلقني عليك، لم نتفق على ذلك .

بدأ دم يظهر على سطح البحر صرخت فريدة من شدة القلق وقفزت في البحر، وبمجرد أن غطست رأت ما لم تتوقع أن تراه .

رأت فارس وقد اخترق ظهره عامود خشبي مدبب وما زال يعانق الطفلة، أمسكت فريدة بالطفلة التي لم يخترقها العامود المدبب، سحبتها فريدة ورفعت رأسها هي والطفلة كي تلتقط أنفاسها وشرعت تبكي غير مصدقة ما رأته بأم عينها وهي تصرخ باكية:

– فارس، عد لي يا فارس أرجوك .

بدأت تبكي وهي تنظر لطفلتها وهي تقبلها باكية من ثم أغمضت عينيها :

–حمدًا لله أنكِ بخير ولكن فارس يا صغيرتي فارس .

هنا سمعت صوتًا أجش:

– قتلتِهِ للمرة الثانية يا فريدة .

هنا فتحت فريدة عينيها وأخذت تنظر حولها باحثة عن صاحب الصوت، ولكن بمجرد أن نظرت للطفلة رأت على رقبتها علامة الشعلة التي أخذت تضيء أكثر، وعيناها الطفوليتان تحولتا إلى جمرتين مشتعلتين، ورُسمت على وجهها ابتسامة قادمة من قعر الجحيم، ابتسامة تليق بطفلة من نسل لوسيفر .

بدأت الطفلة ملامحها تتحول إلى أن أخذت صورة جواد الذي بمجرد اكتمال هيئته بدأ يضحك متهكمًا منتصرًا وفريدة من هول الصدمة متصلبة مكانها لا تحرك ساكنًا .

– هههههه، لا أدري ما أقوله لكِ هل أقول لكِ أني اشتقت لهذا اللقاء بعد ما ظننتِ أنكِ انتصرتِ عليّ منذ عدة أعوام، أم لا يصح أن أقول ذلك لأني لم أتركِ للحظة .

أتظنين أيتها الإنسية الضعيفة الساذجة أن تنتصري على ابن لوسيفر، هل تظنين أن جنسكم الطيني الحقير ينتصر على جنسنا الأسمى، أم غروركم خدعكم أنكم الأذكى . . . ! بل أنتم لا يوجد لغبائكم مثيل .

هنا فريدة حاولت الهرب ولكن في تلك اللحظة كانت مكبلة من قدمها ويديها تحت البحر بنباتات بحرية تمسك بها بقوة شيطانية .

-لا تحاولي الفرار يا عزيزتي، لقد وصلنا للنهاية .

كنتِ تظنين أنكِ ذكية ولكن الحقيقة أنا كنت أجعلكِ تصدقين ما أريدكِ أن تصدقيه، بل واستمتعت بألمكِ النفسي كثيرًا، كنت متأكدًا أن الانتقام السريع لن يكون بنفس اللذة مثل العذاب على المدى البعيد .

وهذا ما فعلته مع رحاب، أكنتِ تظنين أني طيب لهذه الدرجة ولن أنتقم منها ؟ بل انتقمت منها بالألم طويل المدى، جعلتها تفقد ابنها وزوجها وتعاني في حياتها من الحزن بسبب فقد الأحبة، وفي النهاية أعيد لها الأمل بعودة ابنها من جديد بعد موته ولكن الشرط أن تكفر بالقدر وتؤمن بقدرة السحر معترضة على قدرة خالقها الذي أخذ منها وحيدها ، بل لجأت للخالق لوسيفر العظيم كي ينجدها من بؤسها .

من ثم ضحك بتهكم وقال ساخرًا :

-ولكنها حمقاء أعطت الأمان لمن يكره جنس آدم الطيني الوضيع، بل ولجأت إلى عمة أمي عليا تلك الساحرة الشمطاء التي انتقمت لأمي منها ، لذا يجب أن تفهموا أيها الحمقى أننا لن نكون عونًا لكم أبدًا بل نحن مصيدة نوقعكم في شر أعمالكم، نبدأ ندخل لكل واحد منكم من باب يتناسب مع رغباته، باب لا يستطيع فتحه غيرنا ،

ربكم أغلقه في وجهكم لأنه خير لكم ولكن غباءكم يجعلكم تصرون على فتح هذا الباب لذا نحن كل ما نفعله نبدأ نوسوس لكم بهذا الباب الذي حرمكم ربكم منه، ونظهر لكم أن ربكم غير رحيم كما يصف نفسه لأنه حرمكم مما تتمنونه، لذا نحن نقترح عليكم أن نفتح لكم هذا الباب ونأتي لكم بما تشتهون، كما فعلنا مع أبيكم آدم بالضبط .

أعطاه ربه كل شيء ومنعه من شيء واحد فقط ولم يعبأ بما حرمه ربه منه ولكن كان يجب أن يدخل لوسيفر من ذلك الباب كي يثبت للرب أن آدم لا يستحق التكريم وأنه غير صادق في الإيمان والانصياع للأوامر .

لذا نحن ننتهج نهج أبينا لوسيفر تمامًا فندخل لكم من باب الشهوة، والشهوة معروفة أنها متعددة الأقسام، كل ما نسعى إليه أن نكشف وجهكم الحقيقي الذي تخبؤونه أسفل أقنعة الملائكة التي ترتدونها .

قاطعتها فريدة وهي تنظر له بكره:

– على الأقل نعترف بخطئنا ونعود للرب باكين تائبين له مثل أبينا آدم، لذا يغمدنا الرب برحمته وينعمنا بجنته، لسنا أبالسة متمردين مثلكم تخطئون وتكابرون رافضين العودة للخالق .

نحن بني آدم جنس الإنس خطاء تواب لم نصف أنفسنا أبدًا بكوننا ملائكة، وإذا كنت تظن أن جنسك قوي صدقني أنتم لا تقدرون سوى على القليل منا ، لأنكم ليس لكم علينا سلطان .

ضحك جواد متهكمًا :

– هههه ما زلتِ تتصنعين أنكِ ذكية ترددين بعض الأقاويل ناكرة ما فعلته بكِ، ألم تري زفافنا الذي حضرته عشيرة من الجن، استمتعت كثيرًا عندما تهيأ أحد من الجن على هيئة أبيكِ كي أتلذذ بعذابكِ وحزنكِ، حتى أمكِ التي كنتِ تظنين أنها أمكِ طوال هذه المدة بل الحقيقة هي جنية تمثلت بشكلها ، وللحقيقة أنتِ لستِ بمجنونة وأنا كنت معكِ في الحياة الواقعية لا مجرد خيال، وإيفانا شهدت على حبنا . . .

ولكن عندما قبضت الشرطة عليكِ أخفيت كل شيء يثبت وجودي في حياتكِ كي أقنعكِ أنكِ مجنونة .

صاحت به فريدة غاضبة:

– لا تأتِ بذكر اسم صديقتي على لسانك أيها الكاذب، أتريد أن أكذبها وأصدقك أنت . . . !

ضحك جواد ساخرًا:

– إيفانا لم تكن نعم الصديقة لكِ يا فريدة كما تتخيلين، بل كانت خائنة لكِ لذا استحقت نهايتها ، وكما قلتِ إن ليس لنا عليكم بسلطان، ولكن يوجد من هم أبالسة الإنس يستحقون أن نتمكن منهم .

– كاذب، لن تستطيع أن تشوه صورة صديقتي، وأنت كان يحق لك أن تسمي نفسك أبلس لا أبسل يا مخادع .

– لا بل ذكائك خانكِ كالعادة لأن أبسل معناه أن اسلمكِ للهلاك وهذا مرادي يا بنت مراد ، وبالنسبة لصديقتك صدقيني الطعنة لا تأتي لنا من بعيد ، يجب من يطعن الطعنة في ظهرنا أن يكون قريبًا ، بل قريبًا جدًّا منا .

آه وبالفعل أنتِ لم تكوني تعلمين بخبر موت أمكِ من الأساس، لأني في اليوم الذي ماتت به أمكِ طلبتُ من شركة الاتصالات أن تغير رقم هاتفكِ، فبالتالي لم يصلكِ أي

مكالمة من أهلكِ كي تعلمي خبر موتها ، بل أمرتُ تلك الجنية أن تتواصل معكِ من حين لآخر كأنها والدتكِ لذلك لم تشكي في غيابها قط، وبمجرد نزولكِ لمصر قابلتِها .

ظلت الأمور هكذا إلى أن طلبتُ من إيفانا كي تقوم بهذه المسرحية وتقول لكِ أنكِ كنتِ تعلمين بخبر موت أمكِ وتريكِ صورة مزورة لكِ بجوار القبر وتنكر وجودي كي تقنعكِ بجنونكِ .

ذرفت فريدة الدمع وقالت بغضب:

– ولمَ إيفانا تفعل هذا . . . ؟

ضحك جواد متهكمًا :

– ألم تفهمي بعد . . . ! قلت لكِ أنها خائنة .

حسنًا سوف أوضح لكِ .

منذ بداية علاقتنا كانت إيفانا شاهدة على هذا الحب، بل تمنت أن تحظى بهذا الحب لا أن تكون شاهدة عليه فقط .

وبالفعل بدأ الكلام بيننا ومن صداقة إلى خيانة لكِ .

وبمجرد أن تزوجتُ أنا وأنتِ وبدأت لعبتي معكِ بالكوابيس التي أتحكم بها ، بل بالمواقف التي كانت تدفعكِ للجنون، بدأت أشكو لها سوء حالتكِ وأني لم أعد أتحمل حياتي معكِ، لذا قررت إيفانا أن تودعكِ في مصحة نفسية كي أكون أنا لها .

لذا جاءت وكذبت إيفانا وفعلت ما فعلته كي تقنعكِ وتكسب ثقتكِ وتأتي معها .

من ثم ضحك جواد وأكمل:

– وللحق أنتِ ابتلعتِ الطعم وصدقتِ كلامها وشككتِ في نفسكِ أنكِ مجنونة وكنتِ تودين أن تعودي لها لأنكِ واثقة بها لأنكِ ساذجة ولكني كنت قد قضيت عليها .

مجرد خائنة حاقدة لا يحزن عليها أحد ، بل وفعلت ذلك أيضاً كي أنتقم منكِ برؤيتي لكِ تتعذبين عذاباً طويل الأمد سواء في السجن أو مصحة المجانين .

بكت فريدة وهي تنظر بكره لجواد :

– ما الفائدة من كل ذلك . . . ؟

– الاستمتاع والتلذذ بألمكِ، ولقد استمتعت كثيرًا عندما أغلقتُ في وجهكِ كل الطرق التي يمكن أن تساعدكِ في حال شككتِ بي، طلبتُ منكِ كسر جهازكِ، بل

استمتعتُ أكثر عندما كسرتُ جهازي الذي لم يكن حقيقيًا ولكن فكرة أن أرى قلبكِ ينفطر مع كل جزء انكسر في الجهاز جعلتني أستمتع كثيرًا .

حتى ريحانة أصدرتُ تهديدًا لها من خلال الجن ميمون وهي فهمت التهديد جيدًا .

لعبتي معكِ هذه المرة كانت مسلية لأني تلاعبت بفكركِ وشتتكِ بل وجعلتكِ تشكين في حبيب القلب فارس . . . هههههه، لا بل جعلتكِ تشكين في نفسكِ وأنتِ ابتلعتِ الطعم أنتِ والأخرق فارس الذي لا فائدة من حمقه أبدًا سواء في حياته السابقة أو حياته الحالية . دائمًا أزين له طريق الشهوة ولكنه لا ينجرف له، في هذه الحياة خيرته أن يقتلكِ ويكون له حياة أبدية ولكنه من أجل حبه لكِ قرر أن تكون له حياة واحدة وها هو الأخرق قد خسرها ، مات موتة تليق بمصاص دماء وتد خشبي اخترق قلبه .

لذا كما تقولين ليس لي عليه بسلطان ولكن في كل مرة بذكائي أجعلكِ تقتلينه بدلاً مني .

وأنا حاولت أن أجعلكِ تقعي في الفاحشة ولكنكِ لم تنجرفي وراء عاطفتكِ وذلك لأن الشريف فارس أغلق هذا الباب .

لذا قررت أن أقتل صديقتكِ إيفانا وتتهمين بقتلها وتتعذبين في السجن، وطبعًا كان لي سلطان على إيفانا لأنها ارتكبت الكثير من الأخطاء كما قلت لكِ .

ولكن للحق لم تسر الأمور كما أردت ولكن كما تعلمين أن أولاد لوسيفر لا تنفد حيلهم .

نظرت له فريدة بثقة وقالت:

– وأنا لا أخاف من حيلك، أتدري لمَ . . . ! لأن الرب قال إني أعظم وأقوى منك، وأنا لست مغفلة كي أقع في شرك وشر وسوستك مرة أخرى أيها الخناس .

ابتسم لها جواد وقال لها متهكمًا :

– لن أقتلكِ يا فريدة، بل سأجعلكِ في مكانكِ هكذا مقيدة إلى أن تموتي . . . أو أن تختاري طريقي وتكوني زوجتي وتذهبي لعالمي .

هنا تذكرت فريدة حلمها وقالت:

– لهذا كنت أرى تلك القلادة .

ابتسم لها جواد وقال بثقة:

– نعم، قلادة البومة رمز الإلهة ليليث زوجة الإله المتمرد إله النور لوسيفر، ليليث التي تركت آدم وذهبت للقوي لوسيفر .

صدقيني أنا لا أخدعكِ بل عشيرتي يعجبها قوتكِ وإصراركِ، هذا يعني نسلاً قويًا جدًا .

ضحكت فريدة وقالت متهكمة:

– فجأة صرت قوية وذكية، منذ قليل كنت تلعنني أنا وجنسي الأخرق . . . تعفن أنت وعشيرتك وإلهتك ليليث في عالمكم السفلي، ستظلون دائمًا في الدرك الأسفل وسنظل دائمًا المختارين خلفاء الرب ومكانتنا أعلى العليين .

من ثم ضحك جواد متهكمًا وقال:

– إذن ادعي ربكِ كي ينجدكِ من موقفكِ هذا، ها أنا ذا أنتظر .

بدأت فريدة تقرأ سورة الناس:

–أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بسم الله الرحمن الرحيم .

وها هو جواد يضحك متهكمًا ويقول ساخرًا:

-آه، لا توقفي، أنا أحترق، هههههه .

فريدة لم تعبأ بكلامه وأكملت:

-قل أعوذ برب الناس * ملك الناس *

- هههههه كفى، استعاذتكِ بربكِ لن تفيدكِ .

-إله الناس * من شر الوسواس الخناس *

هنا تحولت ملامح جواد إلى ملامح غضب وهو يقول بصوت أجش:

- قلت لكِ كفى .

ملامح القوة بدأت تُرسم على وجه فريدة وتحديها زاد أكثر وهي تكمل:

-الذي يوسوس في صدور الناس * من الجِنةِ والناس .

احمر وجه جواد من شدة الغضب وهو يقول بتحدٍّ:

- توقفي، لن يفيدكِ ما ترددينه سبق وقمتِ به ووهمتكِ بأني كنت بداخل جسد فارس وقتلته ولكني كنت قد خرجت منه، ولم يصبني أي مكروه بل قتلتِ حبيب القلب وعشتِ تعاني بسبب قتله .

لم تكترث فريدة وأكملت:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بسم الله الرحمن الرحيم *

ضحك جواد ضحكة شيطانية متهكمًا :

- لن ينجدكِ كفي عن الاستعاذة به، توقفي واستغلي عرضي لكِ .

-قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق *

صاح جواد وقال بتهديد : - سينتهي الوضع بشكل لا يحمد عقباه .

-من شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد .

- لقد حذرتكِ . . .

هنا غاصت فريدة واختفت عن سطح الماء، فغاص وراءها جواد وهو ينظر لها بجدة ولكن في اللحظة التي رأى بها فريدة كان الأوان قد فات .

كانت فريدة تمسك بفرع مدبب وبكل ما أُوتيت من قوة غرسته في أحشائه وهي تنظر له بتشفٍّ، فبدأ يتحول إلى هيئة الطفلة من جديد وما زال الفرع الخشبي يتوسط أحشاء الطفلة التي فارقت الحياة .

***

الفصل السادس عشر

النهاية

ها هي فريدة ترتدي فستانًا ذا طراز عثماني وتمشي في حديقة خضراء، تمشي شاردة وهي تغمرها السعادة إلى أن يقطع شرودها صوت صفير، فتلتفت فريدة وتبتسم بمجرد ما رأته يؤشر لها كي تأتي إليه وركبت خلفه الحصان الأبيض.

وبمجرد ما اقتربت منه قالت ضاحكة:

– هههه الملابس الملكية تليق عليك كثيرًا يا فارس.

نزل من على الحصان وقال لها بلهفة:

– يجب أن تليق بي كي أليق بسموكِ يا جلالة الملكة.

ضحكت فريدة وهي تلكمه في صدره برفق:

– توقف يا فارس عن مزحك هذا.

ومن ثم غيرت دفة الحديث وقالت مبتسمة وهي تنظر للحصان:

– الآن أنت فارس حقيقي بهذا الحصان الأبيض ولكن لَيس له جناحان مثل الذي رأيته في المنام؟

– لم أجد غيره في الواقع، حمدًا لله أني وجدت الحصان الأبيض كان يوجد بني ولكني بحثت جيدًا إلى أن جلبت لكِ مرادكِ.

تنهدت فريدة بعمق وقالت والسعادة تغمرها:

– حمدًا لله أنك معي يا فارسي.

عانقها فارس وقال وهو ينظر للسماء:

– بل أنا من يحمد الرب على وجودكِ في حياتي يا منقذتي.

قالت فريدة بثقة وهي تضحك ضحكة تهكم:

– جواد لا يختلف عن لوسيفر في شيء، كلاهما نفس الغباء.

ضحك فارس وقال:

– هههههه حقدهم يوقعهم في شر أعمالهم يا عجيبتي.

ابتسمت فريدة وأكملت بثقة:

– لوسيفر بسبب حقده وكرهه لآدم ورغبته أن يجره معه لحفرة الجحيم لم يفده حقده شيء سوى أنه كتب على نفسه الطرد الأبدي من جنة الرب .

بينما جواد الذي قرر أن يأخذ بثأر أمه وينتقم من رحاب ويجرها للجحيم بسبب نقطة ضعفها ألا وهو أنت، كان رجوعك للحياة هذه المرة هو فرصتي لكي أصلح خطئي السابق بقتلك .

ولكن في هذه المرة كان مقدرًا لي أن أكون سبب موتك إذا اخترت حبي أو أكون سبب نجاتك وحياتك الأبدية بموتي .

وبالفعل أنت بسبب صدق حبك لي قررت أن تختار حياة واحدة وفي تلك الحياة مقدر لك أن تموت على يدي .

ولكن أنت في هذه الحياة تختلف عن الحياة السابقة بحاجتك إلى دمي، دمي الذي يداويك ويمدك بالقوة، لذا قررت أن أحملك وأخرج ذلك الفرع الخشبي من داخلك وأخرجتك للشاطئ، ولم يكن أمامي حل سوى حل واحد أن أجرح نفسي، جرحت نفسي بدبوس "البروش" في فستاني .

جرحت ذراعي وبدأ دمي ودمعي يسقطان على جرحك، وبالفعل التأم جرحك وكأن لا وجود له.

ابتسم لها فارس وقال لها:

– لا يوجد لي سوى حياة واحدة ولكني واثق إن أصابني أي مكروه طيلة حياتكِ ستكونين منقذتي، ولكني صدقيني أنا لا أريد أن أعيش من بعدكِ.

سأكتفي في هذه الحياة بالقوة التي أستمدها من قربكِ، بينما إذا قدر لي أن أعيش بعدكِ لن أقتل حيوانًا واحدًا كي أعيش شهرًا من بعد فراقكِ، أنتِ الحياة وسبب الحياة يا عجيبتي.

– أنت قدري يا فارس.

– هل تظنين يا فريدة أننا التقينا في حيوات سابقة لا نعلمها على مر العصور...؟

– سبق وقلت لك أني أحيانًا أشعر أننا كنا سويًا خلال أزمنة مختلفة، على العموم دعك من الماضي دعنا في الحاضر الجميل الذي يشبه النعيم.

نظر لها فارس بحيرة وقال لها:

– آه يا فريدة بما أنكِ قلتِ كيف أنقذتني بالأمس هل يمكن أن تقولي لي كيف تمكنتِ من جواد . . . ؟

– كان جواد يقيد يدي ورجلي بنباتات بحرية بقواه الشيطانية، ولكني تذكرت قصة النبي محمد عندما قرأ المعوذتين ومع كل آية كانت تحل عقدة، وهذا ما فعلته، كان الإيمان واليقين يسيطران على قلبي وكل آية أقولها كانت تحل عني عقدة، إلى أن تحررت تمامًا حينها تذكرت أن هناك شجرة صغيرة تحت الماء غصت وكسرت فرعها وفي ثانية قمت بغرسها في جواد ولا تنسى أن الجني إذا مات وهو متهيأ على هيئة غير هيئته الحقيقية يكون مات بالفعل، لأن جسده أمامي كان جسدًا ماديًا لا أثيريًا، جنى على نفسه لأنه تحدى خليفة الله .

– ولكن أين الطفلة . . . ؟

– بمجرد أن قتلته على هيئته تحول الجسد إلى جسد الطفلة وكان يتوسطها الفرع .

– هل قمتِ بدفنها . . . ؟

– لا بل تركتها تغرق وقررت أن أنقذك .

– ولكن يا فريدة . . .

-يجب أن أنسى أني كنت حاملاً في شيطان في جوفي .

نظر لها فارس بحنو وقال لها :

- بل علينا ألا نفكر في الماضي بعد ذلك، علينا أن نعيش اللحظة كما قلتِ .

ابتسمت فريدة وقالت بحب:

-صفحة جديدة ومن أول السطر .

عانقها فارس وهو يتجه بها تجاه الحصان وهو يهمس لها :

- بل كتاب حياتي الجديد كله لكِ وملككِ يا عجيبتي فلتكتبي قدري وحياتي معكِ كما تشائين .

نظرت له فريدة كمن تذكر شيئًا وقالت بلهفة:

- أوه، صحيح بخصوص الكتاب ذكرتني برانيا صديقتي المؤلفة، يجب أن أحكي لها ما مررت به، ستكون رواية تخطف الأنفاس .

***

تعليق المؤلفة

أهلاً بعزيزي القارئ لا أريد أن أطيل عليك بتعليق طويل،

ولكن لدي خبر لك أن الصراع لم ينتهِ عند هذا الحد بل للصراع بقية .

وبقيته في "الجزء الثالث من أولاد لوسيفر" بعون المولى .

وتذكروا أن لنا في الخيال حياة ولقاء .

دمتم في أمان الله ويبعد الله عنكم شر أولاد لوسيفر الخناس .

ملحوظة: تلك العلامة في الرواية "*" معناها أن هذا الجزء مرتبط بالجزء الأول .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا

إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ

كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ.

***

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق ولكم بالمثل.

والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور

رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين.

***

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفينيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة– كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور – الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 الخطيئة (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "فضفضة بعد منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال 90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

كتاب (رسائل ملائكة الحب)

كتاب فضفضة في الطريق (أدب ساخر)

تمت بحمد الله

رواية "**أولاد لوسيفر**"

الجزء الثاني

"الخناس"

2023-5-15

رانيا رمضان

بنت البروفيسور